تفسيره ان الجندى كان يكره ميدان القتال ويقول فى نفسه انه لو جرح لنجا . فلما انفجرت القنبلة بجواره وجد العقل الباطن الفرصة للفرار من القتال فأوهم نفسه بأنه قد فقد بصره ، وذلك لكى يترك الميدان

٢ — حدث ان أماً أحضرت لابنها وهو فى نحو السادسة لعبة فخمة فرح بها الطفل فرحا عظيما . وبينا الطفل فى فرحه أخبرته بأنها ستسافر وتأخذه معها للمصيف فى جبل ناء . فلم تمض على هذا الخبر ساعة حتى حم الطفل وبقى محموما نحو اسبوع لا يمكن الطبيب أن يهتدى الى حقيقة مرضه . وأخيراً سأل الطفل أمه وهو فى فراشه :

— هل اذا ذهبنا الى المصيف فى الجبل نأخذ اللعبة معنا أو نتركها هنا ؟

فقالت الأم : بل نأخذها معنا وتبقى معنا طول مقامنا هناك

وما أن سمع الطفل هذا الكلام حتى هب من فراشه معافى وذهبت عنه الحمى . وتفسير ذلك ان الطفل توهم بأنه سيسافر مع أمه ويترك اللعبة ولكنه اذا مرض ولازم السرير فانه لن يسافر بل يبقى مع لعبته . وهنا تشبث العقل الباطن بالمرض وأخذته الحمى حتى أزالت أمه عرضها هذا الوهم

وكما يحدث العقل الباطن شللا فى أحد الاعضاء أو زيادة فى حرارة الجسم كذلك يمكن أن يحدث جرحا ينزف فى أى مكان منه . ففى ألمانيا الآن فتاة توهمت فى نفسها القداسة وحلول المسيح بها ، فاذا جاء يوم الجمعة ظهرت على جسمها جروح فى الامكنة التى ذكر الانجيل وجودها على جسم السيد المسيح . وفى رومانيا الآن فتاة أخرى تطابق بين حياتها وحياة المسيح ويجرح وجهها فى مكان اكليل الشوك الذى وضع على رأس المسيح . وقد كان القديس فرانسيس الايطالى موسوما بجروح فى قدميه ويديه على نحو ما ذكر الانجيل انه جرى للمسيح

فهذه كلها « معجزات » فى الظاهر وهى الآثار التى يحدثها العقل الباطن فى الجسم . ولا تختلف عما يحدث فى الكنائس القبطية حين تحمل الفتاة المريضة الى القسيس الذى يصلى عليها يتشفع بمارى جرجس لاخراج الروح الشريرة منها . وهى نفسها تؤمن بكل ما يقوله فلا تمضى لحظات حتى تصرخ وتتألم وتقول بأن مارى جرجس قد طعن الروح فى هذا المكان أو ذاك من جسمها . فاذا كشف عن المكان وجد جرح نازف أو احرار شديد يوشك ان يكون جرحاً واذا بحثنا عن أصل المرض الذى احدثها الصرع أو الشلل لوجدنا فيه رغبة خفية لا تختلف من رغبة الجندى الذى يريد ترك الجيش

والذى يلاحظ أن هذه « المعجزات » كثيرة بين النساء معدومة بين الرجال وذلك لأن المرأة معرضة للامراض العصبية اكثر من الرجل ولكل عشر حوادث من الهستريا بين النساء حادثة واحدة بين الرجال . ويجب أيضاً الا ننسى أن الزار خاص بالنساء ولا يعرفه الرجال وهو برهان على تفشى الأمراض العصبية بينهن

طيور لاتطير



الاوك طائر منقرض

من يقابل بين الزواحف الحديثة كالثعبان والورنة والعظاة والسلحفاة وبين الطيور على اختلاف أجرامها وأنواعها يجد الفرق شاسعا لايجيز القول بأن الطيور كانت يوما ما زواحف ولكن قليلا من التأمل يزيل عنا الشك ويجعلنا نؤمن بهذا الاشتراك

فالطيور جميعها تتراءى لنا متنفخة بالريش. ولكنها عندما ينزع ريشها تقترب جداً فى هيئتها من الزواحف وخصوصا تلك الطيور المائية التى ينسرح جسمها ولا يتكتل. وهذا من حيث الظاهر أما من حيث باطن الجسم فالمشابهة كبيرة جداً. فكل من الزواحف والطيور يتبرز بمخرج واحد ويبيض بيضاً متشابها. والزواحف الآن أسنان ليست للطيور ولكن أحافير الطيور المنقرضة تحتوى أفواهها على أسنان لم تنقرض إلا عندما أخذت المعدة تقوى وتستحيل الى قانصة تؤدى عمل الاسنان وعندما كبرت الحوصلة لنقع الطعام والانة حتى تعصره القانصة

ولايعرف كيف نشأ الطير ان أى كيف عمدت الزواحف الى فتح الهواء والاستيلاء على الجو وانما يمكننا أن نستضىء بما نراه الآن من السنجاب الطائر انصح أن يوصف بالطيران. فان لهذا السنجاب غشاء جلديا بين يديه وبطنه فاذا اراد أن يقفز من غصن الى آخر فى الشجرة بسط يديه وتهادى فى الهواء الى الغصن على مهل بدلا من أن يقفز وعندئذ يحمله الهواء فلا يسقط على الارض. والسنجاب حيوان لبون ولذلك لاينتظر منه أن ينشأ له ريش وانما يتجه تطوره نحو الخفافيش أى أن الغشاء الجلدى سيقوم مقام الريش

وقد استغنى بعض الطيور عن الطيران . ولاستغنائه هذا أسباب أهمها ماحدث من الانقلاب في المعيشة وتحصيل الطعام . فبعض الطيور مما ينشد طعامه في الماء وجد أن السباحة أكفل بعيشه من الطيران . وهذا مافعله البنغوين وغيره وبعضها وجد أن العدو على الارض خير من الطيران مثل النعامة . وبعضها أيضا وجد أن العيش مأمون وأن الاعداء لاتخيف فلم يتكلف الطيران وقنع بالارض.وهذا مافعله الدودو وما يشير اليه دجاجنا الانيس



البنغوين

وهنا عبرة يجب أن يعتبرها القارئ . وهو أن الحيوان اذا فقدعضوا أوكفاية ما بالاستغناء فان هذا العضو أوهذه الكفاية لن تعود بعد ذلك وهذه قاعدة مقررة في التطور ليس لها استثناء واحد . فالطيور فقدت أسنانها مذزمن بعيد لأنها استغنت عنها فلم يظهر بعد ذلك لا في الحاضر ولا في الماضي طيرله أسنان . والخلد استغنى عن عينيه لانه يعيش في الظلام ويحصل طعامه في الليل والبنغوين استغنى عن جناحيه للطيران. والثعبان استغنى عن رجليه ويديه فلا ينتظران تعود هذه الاعضاء ثانياً لأن الطريق قد سدت في وجه التطور . وهنا يجب أن يفكر القارئ قليلا في حجاب المرأة وقصر قواها العقلية على الا تفكر الا في البيت وعليه أيضا أن يعرف أن ما أضاعه الحجاب من قوى المرأة الذهنية لن يمكن استرجاعه أبداً

وقد أدى استغناء الطير عن الطيران إلى انقراض كثير منها . ففي جزيرة موريشيوس كان يعيش قبل نحو ثلاثمائة سنة طائر يدعى الدودو وهو يقرب من الحمام ولكن حجمه كان يبلغ حجم البجعة. ولما كانت هذه الجزيرة خلو من الاعداء فقد كف هذا الطائر عن الطيران وسمن فلما عرفه الهولانديون ادخلوا في الجزيرة بعض الخنازير فقضت على الدودو في بضع سنوات لانه لم يستطع النجاة منها بالطيران . ولم يبق منه سوى بعض البيض ذكرى لحياته المنقرضة

وكان في مدغشقر طائر كبير يزعم بعض الاوربيين أنه هو الذي ذكره مؤلفو الف ليلة وليلة باسم الرخ ونسبوا اليه صفات بولغ فيها . فاذا صح ذلك فالرخ لم يكن

الكيوي طائر من فصيلة النعام ولكن ليس له جناحان ظاهران

يطير وانما كان ضخما جداً وقد انقرض فى عهد قريب . وفى المتحف البريطانى بيضة له يبلغ طولها ٣٢ سنتمتراً

ومن الطيور المنقرضة حديثا طائر الاوك وكان طائراً مائياً وكان كثير الشبه بالبنغوين . وكان يعمر المناطق الشمالية من البحار والشواطىء يعيش ما بين القطب الشمالى وانجلترا كما يعمر البنغوين المناطق الجنوبية الآن ويعيش ما بين القطب الجنوبى وأفريقيا . وقد دأب الصيادون فى صيده حتى انقرض وكان آخر ما عاش منه طائر قتل سنة ١٨٤٤ وتتغالى الآن المتاحف فى شراء بيضه ويقال أن عدد هذا البيض لا يزيد عن ٧٠ بيضة فى العالم بيعت الواحدة بنحو ٣٤٠ جنيها وكان انقراضه لعجزه عن الطيران

الدودو طائر منقرض

أما البنغوين فلا ينتظر أن ينقرض قريباً ولو أنه أيضاً لا يطير وذلك لأنه اتخذ وطنه فى القطب الجنوبى حيث يعيش ملكا لا يجد من ينازعه أرضه من الناس أو الحيوان

ومن الطيور التى استغنت عن الطيران وما تزال حية النعامة فى أفريقيا والامو فى استراليا والكيوى فى زيلاندة الجديدة والرئه فى امريكا الجنوبية وهى كلها تعدو عدوا سريعاً وقد استحال ريشها إلى ما يشبه الشعر وقد استؤنس بعضها وستعيش بالاستئناس

حدود الذهن البشرى

إذا استضأنا بضوء التطور فى الماضى وعرضنا أمام أعيننا الغايات التى رمت اليها الطبيعة فى ايجاد الأعضاء لجسم الحيوان لم نجد مفرا من الاعتراف بأن غاية الطبيعة فى الانسان لاتختلف بتاتاً عن غاياتها فى الحيوان . فاذا كانت الطبيعة قد أوجدت الجهاز العصبى فى الحيوان لكى يخدمه فى حياته فهى أيضاً أوجدته فى الانسان لهذه الغاية . فالجهاز العصبى كله بما فيه الدماغ يخدم الحيوان فى عيشه ويهديه إلى تجنب اعدائه واختيار أصدقائه وترسم مصالحه فى التلاقح والطعام ونحوهما . فهنا الجهاز العصبى لم يخلق للتفكير المجرد والبحث عن الحقائق

وهذا الذى نجده فى الحيوان نجده أيضاً فى الانسان . فالغاية من ايجاد الدماغ الانسانى على ضخامته ليس البحث عن الحقائق والوقوف على النظريات والتفكير المجرد . وانما هى العيش بجميع ما يلابسه من اتقاء للضار واجتلاب للنافع للجسم البشرى . ولو كانت غاية الدماغ الوقوف على حقائق الكون لوجدنا لها أصلا ولو بسيطاً جداً فى عالم الحيوان الذى نشأنا منه . وهذا مالا نجده أبداً اذ ليس فى العالم حيوان يجعل همه التفكير المجرد والبحث عن الحقيقة لانها حقيقة فقط وانما كل ما يريده أن يعيش . فهو لا يحاول معرفة شىء إلا بمقدار ما يتأثر فى عيشه بهذه المعرفة

ونحن إذا وضعنا هذا النظر نصب أعيننا فى جميع ابحاثنا استطعنا أن نهتدى إلى حقيقة علاقتنا بهذا الكون الذى يحوطنا واستطعنا أن نعرف الحدود التى تقف عندها اذهاننا كما أننا نستطيع أن نبتدع طرقا جديدة فى التفكير تقودنا الى ما يجدى وتوقف بنا مالا يجدى

وأول ما نعرف من هذه الناحية أن الذهن البشرى ليس مرآة للكون ترتسم فيه حقائقه وأنه ليس هناك أى دليل على أن أفكارنا تنطبق على الواقع . وذلك لان كل فكر من أفكارنا انما هو خلق جديد وليس صورة طبق الاصل للواقع . فنحن عندما نقول أن هذا الشىء أبيض أو أصفر لا تنقل لنا اذهاننا صورة ، طبق الأصل ، لما نراه بأعيننا وانما نحن قد خلقنا خلقا بهذه الصفرة أو هذا البياض لكى نميز بهما جسمين مختلفين . وليست الغاية من هذا التمييز أن نعرف حقيقة ما وانما هى الاهتداء فى حياتنا إلى ما ينفعنا وما يضرنا لكى نستعين بهذه المعرفة على العيش فى هذه الدنيا . فقد ثبت الان أنه ليس فى العالم صفرة ولا خضرة ولا بياض وانما هناك موجات تختلف وحركة تنتقل الى اذهاننا لونا معينا

وقد احتاج الفلاسفة لهذا السبب إلى أن يميزوا بين نوعين من الحقائق . أحدهما الحقائق الموضوعية أى كما هى واقعة . والاخر الحقائق الذاتية أى كما هى منقولة بحواسنا متخيلة فى اذهاننا

وقد اتضح فى كثير من الاحيان هذا الاختلاف بين الحقيقة الذاتية والحقيقة الموضوعية . بل احيانا يصير الاختلاف تناقضا بينا . وهذا التناقض يثبت ما قلناه من أن اذهاننا ليست مرايا تنقل صور هذا الكون وانما هى تخلق صوراً جديدة غايتها العيش فقط

ولنضرب مثلا على هذا التناقض بالجبرية والحرية . فاننا إذا آمنا بالعلوم الطبيعية وسلمنا بنواميسها لم يبق عندنا شك فى أن الطاقة الكامنة الآن فى قوى الطبيعة عند ما تخرج من كونها وتصير طاقة عاملة فانها لن تتجاوز حدودها المفروضة فى كونها السابق . فالطبيعة من هذه الناحية جبرية ليست حرة . ولو اننا عرفنا كل ما فى هذا الكون من طاقة كامنة لاستطعنا أن نتنبأ على وجه الضبط بما سيقع فيه بعد ثلاث سنوات أو ثلاثة قرون فنقول مثلا أنه بعد عشرين سنة سيقع المطر فى هذا المكان فى تلك الساعة ولن تستطيع القوى الطبيعية أن تحيد عما نتنبأ به . بل نحن نفعل ذلك الآن فى الكسوف والخسوف ولا نجد ان الشمس أو القمر يحيد عما نتنبأ به . والجسم الانسانى هو من الكائنات الطبيعية لا يمكنه أن يحيد عن النواميس التى تقرر مصير الكائنات الاخرى . فالطبيعة كلها جماداً ونباتاً وحيوانا تنادى بالجبرية أى أن المستقبل مضمر فى الحاضر والحاضر مضمر فى الماضى لا يمكن أى جسم أن يحيد عما هو مقرر له فى الطاقة الكامنة السابقة

فهذه الجبرية حقيقة موضوعية نفهمها ونعترف بها ونبنى عليها تصرفنا بالأشياء . ومع ذلك فنحن نحس بالحرية فى أنفسنا والبرهان على ذلك أننا نستطيع أن نختار بين شيئين أو ثلاثة أو اكثر وهذا الاختيار هو الحرية التى تناقض الجبرية . فنحن اذن بأزاء حقيقتين متناقضتين نؤمن بهما ولا نرى حرجا فى هذا التناقض . وإنما جاء هذا التناقض من أن أذهاننا لا تنقل الينا صورة الاشياء الخارجية كما هى فى الواقع وإنما نحن نخترع بها حقيقة هى أشبه الشىء بالوسيلة لكى نستعين بها فى التصرف بالأشياء

وهذا يجرنا الى القول بأن جميع ما نعرفه من حقائق انما هو وسائل فقط نتوسل بها الى فهم الكائنات . ولكن الغاية من فهمنا ليست الوقوف على كنه الشىء ولبابه وانما فقط التوسل الى التصرف به لكى نعيش

ومن هنا يجب أن نشك فى قيمة الابحاث المجردة أى تلك الابحاث التى لا تتصل بعيشنا . فان اذهاننا لم تخلق لهذه الابحاث وانما خلقت لكى تدلنا على الوسائل حتى تعاوننا على الطعام والتلاقح والدفاع ونحو ذلك. ومن هنا الخطأ العظيم فى الفصل بين المعارف والاعمال . فقد كان دأب الفلاسفة من قديم ان يفصلوا بين الفلسفة و بين العمل فيشطحون فى أبحاث عويصة هى التفكير المجرد العقيم . وهو عقم لانه ينافى طبيعة أذهاننا التى لا تستطيع التفكير المجدى إلا فى الاعمال المتصلة بالحياة . ومن هنا

وبذلك تصير مجدية لأنها تترك الخيال القديم وهو البحث عن كنه الشيء ولبابه وتقنع بمعرفة علاقته بنا كما هي طبيعة أذهاننا

ولنضرب مثلا على عقم التفكير المجرد الذي لايتصل بالعمل . فهذه الاشتراكية اخترعها روبرت أوين قبل ١٢٠ سنة فبقيت نظريات مجردة لاتتقدم لان مجال التفكير فيها كان مجرداً كأن غايته البحث عن الحقائق الموضوعية

ولهذا السبب لم يتقدم التفكير الاشتراكي طول القرن الماضي لانه لم يتصل بالعمل ولم يتحرر بالممارسة والمزاولة . فالاشتراكية الآن في ذهن الانجليزي الحاضر هي كما كانت في ذهن روبرت أوين . ولكن هذا المذهب قد بدأ بالتحرير والتصحيح عندما شرع في تطبيقه . أي ان أذهاننا لم تستطع التقدم في التفكير المجرد ولكنها تقدمت بالتطبيق والمزاولة عندما زلنا بالذهن الى طبيعته الاصلية وهي التوسل بالحقيقة للفائدة العملية المحسوسة . اما حين نتركه يفكر تفكيراً مجرداً فانه يقودنا الى العقم . ومن هنا عقم البحث في الحقائق المجردة كالبحث عما وراء المادة وأصل الكون ومصيره ومنشأ الخلق ونحو ذلك مما لايتصل بمهمة الذهن — الجهاز العصبي — الاصلية وهي ترسم مصلحة الجسم من طعام وشراب ومسكن وتناسل

تراث قديم

منذ نحو ستة آلاف سنة اخترع المصريون القراءة والكتابة فاصبح هذا الفن تراثاً انسانياً مثل اكتشاف النار أو الزراعة أو الملابس ومع ذلك بعد مرور هذه المدة الطويلة مايزال فى الناس أميون لايستطيعون التمتع بهذا التراث . ومعنى هذا أنه مايزال يعيش بيننا وفى عصرنا أناس لم يبلغوا بعد درجة المدنية التى بلغها ذلك المصرى القديم قبل ستة آلاف سنة لانه كان يقرأ ويكتب بينا هم مايزالون أميين . ومكتشفات الانسان ومخترعاته القديمة هى تراث الانسانية جميعاً فمن حق الجميع أن يتمتعوا به ومن حقهم أن يطلبوا ازالة العوائق التى تحول دون تمتعهم به فقد تقوم فواصل عدة بين المتحضر والمتوحش ولكن أهم فاصل بين الاثنين هو أن الاول قد عرف القراءة والكتابة وألف الكتب واستطاع بذلك أن يجعل من ذاكرته الشخصية ذاكرة للانسانية كلها ويجمع الى تجاربه الفردية تجارب الامم والافراد الاخرى واستبدل بالمعارف التى يكتسبها الفرد فى حياته ثقافة تمتد الى أبعد الاقطار وأنأى الازمنة

وهذا التراث القديم يرجع الفضل فيه الى جدودنا الفراعنة العظماء فاولى الناس بالانتفاع به هم أبناؤهم هؤلاء المصريون ، ولكننا نجد عكس ذلك فالامم الاوربية التى تسلمت هذا التراث من مصر تنتفع به وتعمم بين أبنائها التعليم بالمدارس والكتب والصحف أكثر منا ، بل نحن أقل انتفاعاً بهذا الاختراع المصرى القديم

وأعظم ما يعمل لبقاء الامية شيئان أولهما أمية الفاقة التى تضطر الابوين الى استغلال أبنائهما دون تعليمهم والثانى صعوبة الهجاء واختلاف اللغة المكتوبة من لغة التخاطب ، وقد كانت الصين مضرب المثل لهذا العائق الثانى فعمدت الى لغتها العامية فاتخذتها وتركت اللغة القديمة ، وقد ذكرت الصحف أن إحدى الجمعيات هناك نشرت ألفى كتاب فى العلوم الحديثة بهذه اللغة العامية فنشرت بها على الناس نوراً جديداً من الثقافة الحديثة

ونحن فى مصر نجد أن العائق الاول وهو الفاقة أقوى من العائق الثانى بل هذا العائق الثانى لانكاد نحس به اذا عمدنا الى البساطة فى التعبير ولم نتقعر ونستقص الغريب من الالفاظ فليس أمامنا سوى العائق الاول وهو الفاقة التى يجب أن تعالجها بالاصلاحات الاجتماعية حتى يستطيع صبيان الفلاحين أن يتوفروا على التعليم ويعرفوا اختراعاً انسانياً اخترعه آباؤهم قبل ستة آلاف سنة وأصبح العالم كله يتمتع به دونهم

س . م .

بحث علمي أدبي

ابن خلدون وأخوان الصفاء

ابن خلدون ينقل فصولا بأكملها عن رسائل الاخوان
ولا يتنبه لذلك أحد حتى الدكتور طه حسين

فى سنة ١٩١٧ تقدم الدكتور طه حسين برسالته القيمة « فلسفة بن خلدون الاجتماعية » الى « كوليج دى فرانس » فنوقشت ونال بها أجازة الدكتوراه ومنحت الرسالة جائزة سنتور السنية والرسالة بعد أن ترجمها الأستاذ عنان ثروة ثمينة فى التأليف العربى ككل ماتدبجه براعة أستاذنا العبقرى ، وهى الثمرة الشهية الثانية التى كانت احدى طلائع مجده الخالد حيث كان يسعى بين يديها نور أبى العلاء من قبل

الرسالة قيمة حقاً، سيما وهى — كما يقول الدكتور — تتناول بالنقد والتحليل احدى الشخصيتين العظيمتين فى الحياة الاسلامية جميعاً . غير أن الباحث يعجب ايما عجب كيف سهى على الدكتور النابغة فلم يشر بكلمة واحدة الى رسائل أخوان الصفاء التى هى فى الحقيقة كما ثبت لى الآن أم المصادر التى اغترف منها ابن خلدون أكثر معلوماته فى مقدمته ! واذا كان الدكتور الجليل قد تناول بن خلدون من الناحية الاجتماعية التى هى الغرض من الرسالة فاذا كان يمنع من التحرى عن المصادر التى ركن اليها بن خلدون قبل أن أن يضع مقدمته خصوصاً وقد ذكر الدكتور طه حسين أن من هذه المصادر التى انتفع بها المؤرخ العربى العظيم « عيون الاخبار » لابى قتيبة — و « أخلاق الملوك » لمحمد بن الحارث التعلبى و « دائرة معارف النويرى » و « نزهة المشتاق » للادريسى و « كتب المسعودى » التى ألفها فى رحلاته . ولنا عن كل من هذه الموسوعات كلمة

عيون الاخبار

ألف أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة فى أواخر القرن الثالث الهجرى طائفة من الكتب منها « طبقات الشعراء » و « عيون الاخبار » و « غريب القرآن » و « غريب الحديث » الخ وكتابه عيون الاخبار كتاب عتيق وبه كثير من الخرافات . ونشك كما شك الدكتور طه فى قراءة بن خلدون كتاب الاغانى وكتاب أصول الفقه لابن الحاجب فى قراءته هذا الكتاب أيضاً

دائرة معارف النويرى

موسوعة ألفها العلامة النويرى فى القرن السابع الهجرى حشر فيها كافة العلوم التى كان يعرفها الناس الى عهده ، والموسوعة ذات ثلاثين مجلد مهلهلة تضرب الفوضى فى كثير من أنحائها وللخرافة

فيها نصيب كبير ونلاحظ أن رسائل أخوان الصفاء وضعت قبلها بثلاثة قرون مما يؤيد أن النويرى اقتبس شيئاً من معلوماته عنها

نزهة المشتاق للادريسى

ألف محمد أبو عبدالله الادريسى كتابه « نزهة المشتاق فى معرفة الآفاق » وهو يعمل فى بلاط « روجرس » ملك صقلية فى القرن السادس الهجرى « ٥٦٥ هـ » واذا علمنا أن الادريسى هذا قد تنقل فى شمال أفريقيا وآسيا الصغرى والأندلس عرفنا أنه « مثل بن خلدون » زار بلاداً درست فيها الفلسفة الصفائية ورسائل الصفائيين ويقول بن خلدون أنه يلخص فصوله الطويلة عن الجغرافيا وأثر البيئة والهواء فى ألوان الناس وطباعهم عن الادريسى . . ويقوى ظننا فى أن الادريسى نقل الجزء العلمى من جغرافيته عن الرسائل ما ستنقله فيما بعد

تاريخ المسعودى

تكلم ابن خلدون نفسه عن هذا الكتاب وغلا فقال أنه أمام المؤرخين لطول باعه فى هذا الفن « المقدمة ص ٢٧ » ولما كان المسعودى سابقا لاوان الاخوان ولما كانت الرسائل لم تشمل شيئاً جديا من التاريخ فنحن ندع هذا المؤلف

●●●

بقى أن نذكر أن أكثر موضوعات المقدمة التي تناولها الاستاذ الجليل الدكتور طه حسين بالنقد والتحليل موجود مثلها فى رسائل الأخوان وسنورد فيما يلى موازنة تبين ذلك راجين أن نقرأ للاستاذ كلمة فى هذا الصدد على صفحات « المجلة الجديدة » ليكون هذا أول بحث أدبى تاريخى عربى تنشره مجلة الثقافة المصرية وراجين أيضا أن نسمع صوت العلامة « الحنديذ » احمد زكى باشا الذى هو بحق واسطة التعارف بيننا وبين المشتغلين بالعلوم والمعارف الشرقية من علماء الغرب . واذا رجوت الدكتور أن يسمعنا صوته فذلك لسابق فضله الكبير على بن خلدون نفسه وعلى رسائل الاخوان كذلك ـــ فقد ذكر الدكتور طه أنه اعتمد كثيراً على النسخة الشمسية من المقدمة المهداة من الباشا الى الاستاذ كازنوفا استاذ الآداب العربية فى جامعة فرنسا والباشا كذلك قد كتب كلمة طيبة عن الرسائل نقلها طابعها فى طبعة سنه ١٩٢٨ وكذلك قد كتب الدكتور طه مقدمة طيبة لنفس الطبعة

ولنبدأ الآن بالموازنة راجين أن يرجع القارىء الى الرسائل والمقدمة كلما رأى إيجازا فيما نقدمه بين يديه واعدين أن نعود انشاء الله فنكتب عن الفصول المتشابهة فى المؤلفين بما تسمح به صفحات مجلتنا المحبوبة

من مقدمة ابن خلدون	من رسائل اخوان الصفاء

—١—

ص٣٧ : فى قسط العمران من الأرض والاشارة الى بعض ما فيه من الأشجار والأنهار والأقاليم جاء فيه ما يلى :

ان شكل الأرض كرى وأنها محفوفة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما أراده الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له الخلافة على سائرها .. وقد يتوهم من ذلك أن الماء تحت الأرض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الأرض ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل .... والخالى من جهة الجنوب أكثر من جهة الشمال ... ثم يخلص من ذلك الى صفة الاقاليم السبعة مشيراً الى كتاب رجار أو (روجرس) وتعديد ما فى كل من هذه الاقسام من مدن وبحار وأنهار . ... الخ .

جزء ١ ص ١١٠ فى قسم الجغرافيا من رسالة الرياضة ما يلى فى صفة الأرض وكريتها ص ١١٤

الارض نصفها مغطى بالبحر الأعظم المحيط والنصف الآخر مكشوف مثلها مثل بيضة غائصة نصفها فى الماء والنصف الآخر ناتىء من الماء ...... ثم يخلص الى صفة الأقاليم السبعة كما فعل بن خلدون وقبل ذلك فى ص ١١٢—١١٣ يقول :

« وذلك انهم يتوهمون ويظنون بأن سطح الأرض من الجانب المقابل لموضعنا هو أسفل الارض .... وليس الأمر كما توهموا .... وذلك أن أسفل الأرض بالحقيقة هو نقطة وهمية فى عمق الارض على نصف قطرها وهو الذى يسمى مركز العالم .. الخ .

—٢—

ثم تناول بن خلدون وصف الاقاليم واحداً واحداً وانتقل فى ص ٧١ الى ٧٤ يتكلم عن أثر الهواء والبيئة فى أخلاق البشر وألوانهم ومعائشهم ثم قال بعد أن وزع الحرارة والامطار وذكر أثر هذا التوزيع فى غلات هذه الاقاليم وخص سكان الاقاليم الثلاثة المتوسطة (الخامس والرابع والثالث) بأطيب الميزات على ما عداها ، ولهذا كانت العلوم والصنائع والمبانى والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكون فى هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر أعدل

وفى الرسائل مباحث لا تكاد تختلف عما تناولته المقدمة وذلك فى الصحائف ١١٧—١٣٠ —٢٢٧—٢٣٢ ص ج ١ فالرسائل هنا أيضا تتكلم عن أثر البيئة والهواء فى أخلاق البشر وألوانهم وبقية أحوالهم

ص٢٣٢ ج١ :

« واعلم يا أخى أن ترب البلاد والمدن والقرى تختلف وأهويتها تتغير من كونها فى ناحية الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب أو على رؤوس الجبال أو فى بطون الأودية أو الأنوار أو على سواحل البحار .... وهذه

أجساما وألواناً وأخلاقا وأديانا . . . . ، وذكر ما يدأبون عليه من صنعة مشيرا الى أهل المغرب واليمن والشام والروم . . الخ ثم يجرى بعد ذلك موازنة بين سكان الاقاليم تتفق تماماً وما جاء فى الرسائل بهذا الشأن

كلها تؤدى الى اختلاف أمزجة الاخلاط وهذه تؤدى الى اختلاف أهلها وطباعهم وألوانهم ولغتهم وعاداتهم وآرائهم ومذاهبهم . . . ثم ضربت أمثال عن أجزاء الاقاليم الجنوبية (الحبش والنوبة والهند) وانهم سمر الالوان لشدة الحرارة (والضوء !!) بعكس أهل الاقاليم الشمالية . والحق ان هذا فصل قيم فى الجغرافية البشرية الحديثة كان اخوان الصفاء أساتذة للجميع فيها

— ٣ —

ص ٧٤—٧٥—٧٦ يأخذك بلون طريف من ألوان البحث فى أثر البيئة فى الاخلاق وأثر الجوع والخصب عليها

وتجدمثل ذلك فى الرسائل فى ص ٢٣٦ ج ١ وأن يكن الكلام هنا مما له علاقة بعلم النفس أقرب من أن تكون الى علم الجغرافيا البشرية الاقليمية

— ٤ —

ص ٧٩ — ١٠٤

ويتكلم بن خلدون هنا عن أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرياضة ثم عن الوحى والرؤيا ويعقد فصلا آخر عن حقيقة النبوة والكهانة والرؤيا والعرافة ومدارك الغيب — ثم هنا (كما قرر الدكتور طه) تغلب عليه النزعة الصوفية . بعض الافكار التى يتورع عن أمثالها أمثاله من العلماء . ويكاد البحث يتفق تماما وما جاء فى الرسائل

الرسائل ج١ من ٢٦٤ — ٢٨٦ وتتناول الرسائل هنا أيضا عباد الله الصالحين وما فرضه الله عليهم وعلى أنبيائه من أشياء يفعلونها لينالوا مثوبته والوسيلة التى تقرب طالب العلم من ربه ثم كلمات عن الزهد ودرجات الناس وعلاقات أولياء الله وكيف أتاهم ربهم القدرة على ادراك الغيب ومعرفة ما بطن من الامور وكل ذلك فى أسلوب سهل واضح كأنه هو الذى سار فيه بن خلدون فى مقدمته

— ٥ —

٢٩٠ — ٤٣٩ — ٤٤٣ — ٤٤٩

يتناول بن خلدون فى هذه الفصول كتاب جفر (الجفر) ويؤمن به وبنتائجه وأن يكن فى شك من تخرصات المنجمين ثم يطلعك

٣٧٣ — ٤٠٨ — ٤١٠ — ٤١٤ — ٤٤٩ — ٣٩٠ من الجزء الرابع

لا تتشكك الرسائل هنا فى علم النجوم بل هى تحضك على أن تنظر الى المشترى فيكون

على أسرار الحروف وعلم السيمياء واستخراج أجوبة المسائل من زايرجة العالم . . . . .

ويقول أنه ينقل هذا عمن لهم نصيب فى هذا الأمر كله !! من هم ؟! وهو فى تقريراته يكاد يشبه اخوان الصفاء

كيت والى زحل أوالقمر أوالشمس أو المريخ أوعطارد فيكون كذا وكذا ، ثم تنقل لك فى حكمالهند (نوبهرات) ألواناً مضحكة من هراء فارغ ثم تتى كما يثق ابن خلدون فى السحر وتأثيره

— ٦ —

٣٦٩

فصل طويل عن الغناء وفنون الالحان ومخارج الأصوات . . . . الخ

١٣٢

رسالة الموسيقى جزء أول

— ٧ —

٣٧٤ — ٤٣٠

وهنا أهم أقسام المقدمة تقريباً (بعد استنتاجاتها الاجتماعية) إذ يشمل موجزات عن العلوم الى عصر بن خلدون (العلوم الرياضية والكلام والتصوف والجبر والهندسة والهيئة والمنطق والطبيعيات والطب و . . .)

٢٣ الى ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٧٢ من الجزء الأول ٣٢٠ ج ٤

وهنا تقرأ الرسائل ما تقرأ فى المقدمة وفيضاً آخر من كل علم وفن (ارجع الى المقدمة والرسائل لتثق مما نقول)

— ٨ —

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣١ أيضاً

ملاحظة من أدق الملاحظات تجذب نظر القارىء فى هذه الصفحات ـ ذلك أن الشعوبية تبدو بأجلى مظاهرها فى ثنايا ما يسطر ابن خلدون وان كان ما يسطر حقاً ـ وذلك أيضاً أنه يجرد العرب من كل شىء ويرميهم بكل نقيصة ، وأى نقيصة أنكى من أنهم اذا تغلبوا على أمصار أسرع اليها الخراب وأنهم أبعد الامم عن سياسة الملك وانهم لا يتغلبون الا على البسائط وأنهم لايحصل لهم الملك الا بدعوة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة !!!

وقبل أن أذكر شيئاً بهذا الصدد عما فى الرسائل من أشباهه ألفت نظر القارىء الى ماذكره الدكتور طه فى المقدمة التى كتبها عن الرسائل ص ١٤ وملخصا ان الرسائل قصد بها الى تهيئة نحو خاص من السياسة . وماذا ترى كانوا يقصدون بهذا الشىء غير انتزاع ما بأيدى العرب من سيطرة وسلطة يرون أنهم لا يستأهلونها ؟ ولماذا أخفى الاخوان أسماءهم وستروها ؟ أيفعل هذا الا الجماعات السياسية التى تعمل فى الخفاء ؟!

ان قرأت ما كتبه ابن خلدون ثم قرأت

ثم هو فى ص ١١٢ يعزو صراحة أنسابهم الى أنهم (متوحشون فى الفقر هم ومن فى معتام !!) .

وفى ص ٣١٣ يثبت أن مبانيهم التى يختطونها يسرع اليها الخراب

وفى ص ٤٩٩ يثبت ان أكثر حملة العلم فى الاسلام من الأعاجم

ما كتبه الدكتورطه فاقرأ فى الجزء الثانى من الرسائل تلك القضية التى رفعها الحيوان على الانسان أمام ملك الجن واحكم — بعد أن تقرأ كلمة الفارسى الذى فضل قومه على جميع العالمين — كيف كان هؤلاء القوم شعوبيين وأنهم أبداً كانوا ينظرون نظرة ازدراء الى كل ما هو عربى الا الأقل النادر

وفى الرسائل مواضع للغمز والدوران تثبت ملاحظتنا هذه

***

وبعد ، ففى الرسائل وفى المقدمة غير هذا وذلك ما يطول استقصاؤه وما أردت الا ضرب أمثلة فقط — وقد أكون غلوت فى هذا البحث — أو قد يكون ابن خلدون قصد الى أشياء لم يقصد اليها الاخوان وعلى كل حال فقد ذكر الاستاذ زكى باشا أن الرسائل قد وصلت الى الأندلس وتدوولت بها قبل عهد ابن خلدون ، فلم لا يكون هو أحد من شغفوا بها سيما وهى من عمل قوم كانوا ينازعون دولة العرب فى المشرق التى كان ينازعها فى المغرب بلاد البربر والأندلس ؟! وهل فلسفة ابن خلدون الاجتماعية الا ثمرة من ثمرات هذه الرسائل ؟! واذا صح هذا فهل آن الوقت الذى يصرف فيه علماؤنا جهودهم للكشف عما فى الرسائل من كنوز ؟ سنرى

محمد الربيعى همشة

العناية بالقراءة

من أقوال تين المؤرخ الفرنسوى المعروف أن التفكير ليس من عمل الفرد وانما هو من عمل الجماعة . وهو يعنى بذلك اننا نتأثر بالوسط الثقافى الذى نعيش فيه فاذا قرأنا العلماء أصبح أسلوبنا فى التفكير علميا ولكن إذا قرأنا الصوفيين اصبح تفكيرنا صوفيا . وشتان بين الاسلوبين

وكما نتأثر بالكتاب الذى نقرأه كذلك نتأثر بعشرة الاخوان الذين نختارهم أصدقاء ورفقاء بل نتأثر بعشرة المربيات والخادمات . فقد ذكر أحد الكتاب فتاة نشأت بين الخادمات لان أبويها لم يباشرا تربيتها بانفسهما تطبعت بنظر الخدم انا قعدت الى الناس قصت عليهم قصص الابطال من الخدم وذكرت مآثرهم فى المطابخ والاسواق . ومن هنا صحة تلك الكلمة التى قالها تين وهى اننا نفكر بعقل الجماعة نتخذ أساليبهم وغاياتهم سواء كانت هذه الجماعة مؤلفين نقرأ هم فى الكتب أو عشراء ورفقاء نعاشرهم ونصطفيهم لصداقتنا

ومن هنا أيضا وجوب العناية باختيار الكتب والصحف لابنائنا لانهم سينشأون على أسلوب هذه الصحف فى التفكير ينشدون الغاية التى تنشدها ويتكلمون بلغتها

وقد فشت فى القاهرة فاشية من الصحف التجارية التى تقص على أبنائنا قصص الخدم والصعاليك والمتشردين والشحاذين وتنشر صور هؤلاء الناس مكبرة فى مكان اعتاد القراء أن يروه خاصا بالعلماء والملوك والعظماء . تذكر حافظ نجيب فتقول انه « الاستاذ حافظ نجيب » وترسم الحشاش وحوله أدواته المخدرة وتذكر من القصص ما يستهوى القارىء الصغير الذى ينشأ وله عقلية هؤلاء الذين يرى صورهم ويقرأ قصصهم

والتفكير كما قال تين من عمل الجماعة وليس من عمل الفرد وحده . فعلينا لذلك أن نختار لابنائنا تلك الجماعة التي ستؤثر فى أخلاقهم وأسلوبهم فى التفكير حتى لا يشبوا ولهم عقل الخدم والصعاليك ، وعمر الانسان أقصر من أن يتسع لقراءة السخيف من الافكار والمبتذل من المعانى ولذلك يجب أن نقيهم من الصحف التجارية كما نقيهم من السموم وعلينا ان نوجه أذهانهم الى ما يسمو بها من أفكار العلماء والفلاسفة لا الى ما يحطهم من قصص المتشردين والحشاشين

س . م

ابواب المجلة الجديدة

أخبار عمرانية

تقدم العلوم والفنون

المرأة والمنزل

أسئلة القراء

مختارات من الجرائد والمجلات

خبار عمرانية

الصين وعصبة الامم

طلبت جمهورية الصين من عصبة الامم أن تعاونها فى اصلاح أحوالها الصحية . وقد أجابتها العصبة وأوفدت اليها لجنتها الصحية الدكتور بارك لكى يوسس وزارة الصحة . وستوفد هذه اللجنة أطباء آخرين لتنظيم المحاجر فى الموانى، وتأسيس مستشفى كبير لتخريج أطباء صينيين مدربين وكذلك سيجعل المندوبون الذين توفدهم عصبة الامم من أغراضهم مكافحة الملاريا والجدرى وكلاهما منتشر فى الصين

ومن هذا الخبر يعرف القارىء كيف يتطور العالم فهذا الشرق الذى كان يدافع عن استقلاله ويمنع تدخل الغرب قد صار الآن يطلب هذا التدخل وذلك لانه وثق من النية الحسنة التى تشمل أعضاء العصبة

حرص المرأة على الحرية

حدث ان مدير أحد السجون الكبرى فى انجلترا اقترح إعفاء النساء من عقوبة الاعدام . فما كان من . عصبة الحرية النسائية . الا أن سارعت فاحتجت على هذا الاقتراح وقالت سكرتيرة العصبة انها مع انها تعتقد بوجوب إلغاء هذه العقوبة للنساء والرجال معاً فانها لا تقبل أن يمتاز الرجال بهذا الحق دون النساء وما دامت المرأة تطلب المساواة بالرجال فى الاجور والانتخابات وسائر الحقوق المدنية والشخصية فهى لا ترضى أن تمتاز عن الرجال بأى اعفاء من الواجبات

زوال الزراعة فى انجلترا

يشهد العالم الآن شيئاً غريبا وهو زوال الزراعة من البلاد المتمدنة . ففى الشهر الماضى حدث نزاع بين أسرة انجليزية مات مورثها وبين جابى الحكومة الذى يجبى لها ضريبة الوفاة أو ضريبة الميراث . وكان مبلغ الميراث ٢٠٠٠ فدان تقع فى شمال لندن وتبعد عنها بنحو ٦٥ ميلا وبالارض ست منازل كبيرة للمزارعين وقرية حافلة بعدد كبير من منازل العمال ، ومع كل ذلك قدر الجابى ثمنا للفدان الواحد خمسة جنيهات فرفض الورثة وادعوا ان الارض لو عرضت فى مزاد لما بلغ الفدان هذا الثمن . فتأمل

الصراحة فى الشئون الجنسية

قال رئيس أساقفة انجلترا وهو الذى يملأ أسمى مركز دينى فى البلاد :

« انى ألاحظ أن المناقشة المرة الثانية قد أخذت مكان الصمت فى الشئون الجنسية سواء أرى

ان هذا تحسن عظيم ، وقد كان الصمت يدفع فى الايام السابقة باحدى الغرائز الطبيعية الضرورية الى داخل الجسم . أما الآن فالناس يعترفون بان المسائل الجنسية هى من أهم المسائل الاساسية وأعظمها فى الهيئة الاجتماعية

وعلى المفكر ، أن يشتركوا فى مناقشة هذه المسائل وبحثها . . انا محتاجون الى أن نطلق الغرائز الجنسية من الوهم بأنه يجب أن تحاط على الدوام بقيود وتحذيرات سلبية والى أن نضعها فى مكانها الحقيقى حيث نستطيع استغلالها للخلق والتكوين ،

وهذا كلام رجل من رجال الدين

تحريم المسكرات

يعرف القراء أن الولايات المتحدة كانت قد سنت منذ ١٠ سنوات قانونا لتحريم المسكرات صناعة وتجارة . ولكن اتضح الآن أن هذا التحريم لم يفدها وان الجمهور ساخط لأن تهريب الخمور أصبح تجارة رائجة متسعة تشمل جميع أنحاء البلاد ولأن الخمر التى تباع فى الظلام وتصنع خلسة تكون غاية فى السوء فتؤذى صحة شاربيها . ثم ان الرشوة انتشرت بين رجال الادارة والشرطة حتى يتغاضوا عن التهريب

وقد سألت مجلة (ليترارى ديجست) قراءها جملة أسئلة خاصة بالمسكرات فأجابها عنها ٤٨٣ر٢٤٤ر١ قارئا

ومن هؤلاء ٩٧٨ر٣٣٣ طلبوا تأييد قانون التحريم ، و١١٧ر٣٨٣ طلبوا تعديله بالترخيص ببيع النبيذ والبيرة فقط ومنع الخمور الاخرى . و٣٨٨ر٥٢٧ طلبوا الغاء القانون كله

مجلس المستهلكين

قدمت الحكومة البريطانية للبرلمان مشروعا عن انشاء (مجلس المستهلكين) لكى يقرر أعلى ن للحاجيات كالاطعمة والاقمشة والوقود . والتاجر الذى يبيع بأثمان أعلى من الاثمان المقررة يعاقب لأول مرة بغرامة قدرها خمسة جنيهات وثانى مرة بغرامة قدرها عشرة جنيهات أو الحبس الذى لا يزيد عن ثلاثة أشهر . وكما يدل اسم هذا المجلس يرى القارىء انه يقصد منه حماية المستهلكين من ارتفاع الأثمان فوق الربح المعقول

الانتخابات الانجليزية

يؤخذ من الاحصاءات التى قامت بها الحكومة البريطانية ان الانتخاب الأخير لمجلس العموم كلف الامة ٥٠٦ر٢١٣ر١ من الجنيهات . وان عدد الأصوات التى اقترعت ٣٧٥ر٦٤٨ر٢٢ وعدد النواب ٦١٥ وبلغ عدد الذين رشحوا أنفسهم للانتخاب من الأحزاب المختلفة ١٧٣٠ شخصا

اللغة الانجليزية للعالم

كتب المستر كوكس يدعو الى تبسيط الهجاء الانجليزى حتى يطابق السمع ولا يكون شذوذ .

وذلك لانه يعتقد أن اليوم قد بات قريبا حين تصير اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية للعالم المتمدن وذلك لسهولة أجروميتها التى يستطيع الاجنبي أن يحذقها بجهد صغير . واللغة الانجليزية يتكلم بها الآن نحو ٢٠٠ مليون من المتمدنين فى أنحاء العالم المختلفة وهى لغة التفاهم فى الهند بين الهنود أنفسهم وكثير من الامم الناهضة يجعل تعليمها الآن الزاميا . وقد فعلت انجلترا ذلك أخيراً

شكوى من استراليا

استراليا احدى مستعمرات الدومينيون البريطانية أى انها مستعمرة مستقلة والانجليز يعجبون و يزهون بهذا الاختراع الذى اخترعوه فى الاستعمار و يعدون الهند بأنها ستكون بفضلهم احدى هذه المستعمرات

وقد قرأنا مقالا لأحد الاستراليين يتضح منه ان هذه المزايا التى يزهى بها الانجليز هى أشبه بالنقائص منها بالمزايا . فمن ذلك ان سكان استراليا ستة ملايين فقط ولكن ديونها بلغت ١١٠٠ مليون جنيه أى انها فى السكان لا تزيد الا بنحو مليون عن ثلث سكان مصر وفى الدين تزيد عنا بنحو ١١ ضعفا . وهذا الدين تكبدت معظمه فى الحرب الكبرى التى دافعت فيها عن بريطانيا

فهذه احدى مزايا الارتباط ببريطانيا كما يفهمها البريطانيون . واحدى النقائص كما يفهمها الاستراليون . ثم ان استراليا مقسمة الى سبع ولايات لكل منها حاكم وبرلمان ونظام قضائى مستقل وهذا كله يكلفها أموالا عظيمة كان يمكن أن تنفق فى المصالح العامة

واستراليا تشجع الصادرات بطريقة غريبة وهى انها تفرض الضرائب على ما يباع فى بلادها من حاصلاتها وترفع هذه الضرائب على ما يصدر . فالنتيجة غلاء المعيشة فيها حتى ان رطل الزبدة الاسترالى يباع فى القاهرة أو لندن بنحو سبعة قروش بينما هو يباع فى استراليا نفسها بعشرة قروش

سن الزواج والحضارة

مما يلاحظ فى أوربا أن عبء الحياة الاقتصادى يثقل على الرجال حتى أنهم لا يستطيعون الزواج إلا حوالى الاربعين أو بعد هذه السن حين يكونون قد جمعوا من المال ما يستطيعون به الترفيه عن أنفسهم والقدرة على النفقة التى تحتاج اليها الأسرة . والعادة عندئذ أن يختار الرجل فتاة دونه فى السن بنحو ١٠ أو ٢٠ سنة . وهذا التفاوت فى السن بين الزوجين كثيراً ما يكون سببا للنفور والتباغض

ولكن فى الولايات المتحدة الآن ظاهرة جديدة قد محت هذا التفاوت . فان المرأة هناك تشتغل كالرجل ولذلك لا يخشى الشاب الزواج فى العشرين أو حواليها بفتاة فى مثل هذه السن لانها هى أيضا تكسب مثله فعبء الأسرة يتناصفه الزوجان ويشتركان فيه . وفى الولايات المتحدة الآن أكثر من مليونين من النساء المتزوجات اللواتى يشتغلن فى المصانع والمكاتب والمتاجر

أوربا الحديثة

فى أوربا الآن ٤٥٣ مليون نفس تتوزعهم ٣٣ أمة بين صغيرة وكبيرة أكبر من هذه الأمم الست عشرة

روسيا	١٠٠ مليون	تشكوسلوفاكيا	١٤ مليون
المانيا	٦١ »	يوغوسلافيا	١٣ »
بريطانيا	٤٧ »	هنغاريا	٨ ملايين
ايطاليا	٤٠ »	بلجيكا	٧ »
فرنسا	٣٩ »	يونان	٧ »
بولندا	٢٧ »	هولاندا	٧ »
اسبانيا	٢٢ »	النمسا	٧ »
رومانيا	١٧ »	برتغال	٦ »

ويلى هذه الأمم أسوج وسكانها ٥ر٨٠٠ر٠٠٠ ثم دنمركا ٣ر٣٠٠ر٠٠٠ ثم نروج ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ وتسمى ثلاثتها البلاد الاسكندناوية . وهى على قلة سكانها أكثر بلاد أوربا حضارة وعلماً وأخلاقاً . أما سائر الأمم فجمهوريات أو أمارات صغيرة

مصر والسودان

أخفقت المفاوضات بين مصر وبريطانيا بسبب الخلاف على السودان . وانحصر الخلاف بشأن هجرة المصريين الى السودان فالانجليز يرفضونها والمصريون يطلبونها . والانجليز هم أنفسهم الذين قرروا هجرة اليهود من جميع القارات الخمس الى فلسطين بلا قيد ولا شرط بينما هم الآن يقررون منع المصريين من الهجرة الى السودان ، وفلسطين لا تتحمل هجرة واحد من اليهود لأنها مزحومة بأهلها من العرب المسلمين والمسيحيين والسودان يتحمل هجرة عشرة ملايين نفس

فالى متى تعيش هذه الامبراطورية البريطانية ؟

العالم سنة ٢٠٣٠

اللورد بيركنهد هو وزير الحقانية فى حكومة المحافظين الانجليزية الماضية . وقد وضع كتاباً يتنبأ فيه عن حالة العالم بعدمائة سنة. قال فيه أن مدهشات الطرف المستقبل القريب لن تأتينا من الطبيعيات وانما من العلوم الجديدة مثل الكيمياء الحيوية والبيولوجية واليوجنية ثم يقول هذه الكلمة وللقارىء أن يقدر مغزاها .

« ومن المعارف الانسانية فرعان يمكننى أن أكتب عنهما بثقة ومعرفة وهما السياسة والقانون ولكنهما لسوء الحظ أقل الفروع تأثيراً فى المستقبل »

ثم يقول عن الوطنية : « إن مسألة الوطنية هى أخطر المسائل التى سيعالجها السياسى فى المستقبل . ولا بد أنه سيحلها قبل سنة ٢٠٣٠ وإلا فانها ستدمر نظام المدنية الحاضرة . وذلك لأن الوطنية كما هي ممثلة الآن فى قارة أوربا تعيش وتغتذى من عوامل قاتلة مدمرة مثل المباراة فى التسلح والمنافسة التجارية والحماية الجمركية . وهى تتنافى مع الحكمة الهادئة والعقل الرزين . وأحب الاغذية اليها استثارة العواطف والهستريا ولغة الحرب »

تقدم العلوم و الفنون

أتوميل دملر

ذكرت الصحف الانجليزية ان شركة دملر قد اخترعت اتوميلا صامتا وهذا الاختراع يشير الى يوم قريب حين يستغنى تماما عن « النقل » فى الشروع فى تسيير الاتوميل وبذلك تصير سياقته بسيطة وهذا زيادة على محو الضوضاء التى تحدث الآن وتعج بها الشوارع فى المدن

احمد تيمور باشا

توفى فى الشهر الماضى عظيم من علماء اللغة والتاريخ فى مصر هو المرحوم احمد تيمور باشا عميد أسرة تيمور التى يعرف القراء فضلها على الادب المصرى منذ ظهرت عائشة التيمورية أخت الفقيد الى محمد تيمور الذى كان أول من اهتم للمسرح المصرى وألف له ودعا الى استعمال اللهجات العامية الى محمود تيمور الكاتب القصصى المعروف . وقد كانت أبحاث الفقيد خاصة باللغة وله كتاب فى معجم الالفاظ العامية والبحث عن أصولها نرجو أن يوفق أبناؤه الافاضل الى طبعه ونشره قريبا

التربة والماشية

يحدث أحياناً أن تعمد الماشية الى العظم أو الرمة فتأكلها مع انها بهائم لا تأكل سوى الاعشاب وهذه الظاهرة تدل على خلل فان البقرة أو النعجة التى تعمل ذلك لا تلبث أن تتورم مفاصلها وترق عظامها . والاغلب أن تموت لأن جسمها لا يقوى على مقاومة الفساد الذى تحدثه المكروبات التى بالرمة أو العظام

وهذه العوارض تحدث لان التربة التى تتغذى منها الماشية تنقصها بعض الاملاح مثل الجير والفصفور وكلاهما ضرورى لبناء العظم فى الحيوان . فاذا أكلت الماشية أعشابا ينقصها هذان العنصران ظهر النقص فى حالة الجسم ثم فى خلل الغرائز حين تأكل الرم والعظام تريد أن تعتاض بما فيهما من جير وفصفور عما نقص فى التربة

والفصفور والجير ليسا ضروريين لبناء العظام فقط بل هما ضروريان أيضا لتمثيل الاطعمة . ولذلك فان الجسم لا يستطيع التغذى ، والعجول لا تجد فى اللبن الغذاء الكافى فتموت

وأحيانا ينقص التربة عنصر الحديد فتبدو على الماشية عوارض الانيميا كما تبدو فى الانسان وهى هزال شديد ينتهى بضعف حتى لا تحمل البقرة ثقلها . وأحيانا ينقصها اليودين فتتضخم [illegible] . [illegible] الغدة أو [illegible] مرض الغوطر كما تحدث للانسان

والنبات يتناول جميع عناصر غذائه من الارض ما عدا الاكسجين أو الكربون اللذين يتناولها من الهواء . ولذلك فان الحيوان الذي يعيش بالاعشاب يحتاج الى أن تحتوي التربة على اليودين والحديد والفصفور والجير . وعلى المزارعين أن يضيفوا هـذه العناصر الى الارض اذا وجدوا نقصاً في أحدها

أسنان الاطفال

قلما يزور الانسان طبيب الاسنان إلا بعد أن يشعر بالألم . وفي هذه الحال يكون المرض قد بلغ منتهاه فلا يبقى سوى اقتلاع الضرس أو السن النخرة أو عندما تكون اللثة قد تقيحت وملأت الجسم بسمومها . ولكن طبيب الاسنان لايفيدنا بأعظم فوائده إلا اذا زرناه ونحن في حال السلامة أو ماتوهم أنها السلامة . وعندئذ يستطيع أن يبين لنا بوادي الامراض ويفحص عنها وينصح لنا بما يمكننا أن نخفف منها أو نعالجها قبل أن تستفحل . والاطفال يحتاجون إلى مثل هذا الفحص حتى يتخذ له اليوم الحيطة اللازمة لوقايتهم من الامراض

أشعة رونتجن والاشجار

تستعمل الآن أشعة رونتجن للفحص عن الاشجار لكي يعرف هل الفساد قد نخر وكن في جزء منها أم لا . فقد يحدث أن يكون الفساد في جزع شجرة ولا تكون له علامات ظاهرة فاذا خربتها الريح القتها فتقتل بسقوطها من يكون قريباً منها من الناس أو تهدم ما يجاورها من بناء . ولكن أشعة رونتجن تبين الآن الفساد المختفي في جزعها

فخار جديد

عرف المصريون القدماء الذين اخترعوا الفخار ثلاث حقائق نقلتها عنهم الأمم الاخرى وما زالت تستعملها إلى الآن . وهذه الحقائق الثلاث هي : ١ — الفرن المقفل . و ٢ — الدولاب و ٣ — تموين الفخار بالمينا

وقد بقيت صناعة الفخار تجري على هذه المبادىء إلى الآن . واذا كانت قد تحسنت فالتحسن من ناحية الاتقان واختلاف المواد فقط . ولكن أستاذاً في احدى الكليات في امريكا قد اهتدى الى طريقة ستحدث انقلاباً عظيماً في صناعة الفخار . وهذا الاستاذ هو المستر جوزيف شو . فالعادة المألوفة من قديم الازمنة للآن أن يصنع الفخاري آنيته على القالب الذي يريده ويصوغها وهي طين في الشكل الذي يهوونه ثم يدخلها الفرن . ولكن الاستاذ جوزيف شو عكس هذه الطريقة وذلك أنه يدخل الطين في الفرن حتى يتصهر ويقارب البلور الزجاجي وعندئذ يصبه في القالب الذي يريده فيصير الفخار متيناً جداً لايتكسر بالسهولة التي تكسر بها الفخار العادي

قيمة اللبن

ليس بين الاطعمة ما يساوى اللبن فى الفائدة . وليس هذا غريباً إذا عرفنا أن الطبيعة لم تضع طعاماً سواء خاصاً بالبشر والحيوان اللبون على العموم . فهى لم تخلق الخضراوات أو اللحوم أو الفواكه طعاما خاصا للانسان ولكنها خصت اللبن باللبونات وعلى رأسها الانسان

واللبن لهذه المزايا هو طعام الاطفال والشيوخ والمرضى وهو أحسن ما يضاف إلى طعام الرياضيين لتقوية عضلاتهم . ثم هو يحتوى على جميع الفيتامينات مالم يكن طعام البقرة ناقصاً أو ما لم يكن مخزوناً مثل اللبن الذى يباع فى العلب

وقد أعطى اللبن لتلاميذ المدارس باستمرار بضعة أشهر فوجد أنه يزيد الذكاء والقامة والصحة . ولهذه الاسباب يجب ألا يخلو منه بيت به طفل أو مريض أو شيخ . بل يجب على الشاب أن يتناول مقداراً صغيراً منه كل يوم حتى يحصل منه على ما ينقصه من الفيتامينات

المجمع المصري للثقافة العلمية

اجتمع هذا المجمع فى الشهر الماضى وقرر دعوة حسين سرى بك لرئاسة المجمع فى اجتماعه فى السنة القادمة

وألقى الدكتور م . شرف بياناً لأبحاث لغوية انتهى المجمع بعد مناقشات بقبول هذه الالفاظ منها :

قبيل	phylum	فصيلة	family
قسم	class	جنيس	type
مرتبة	order	جنس	genus
ضرب	variety	عترة	strian
هجين	hybrid	خلاسى	crosireed

الكركدن في بولندا

وجد فى بولندا فى أحد المناجم كركدن (وحيد القرن) كامل بجلده ولحمه وسائر أعضائه . وكان قد طمر أيام العصر الجليدى فبقيت الجثة محنطة بالثلج لم يعتورها فساد حتى الآن مع ان المدة التى يفرض العلماء مضيها على انطماره فى الثلج لا تقل عن ٢٠٠٠٠ سنة

فالكركدن الآن لا يوجد إلا فى أواسط أفريقيا ولكن المحقق انه كان يعيش فى أوربا ومصر ثم ما زال ينحسر حتى اقتصر على أعالى النيل ووسط أفريقيا . وقد وجدت أحافيره فى أوربا كما وجدت رسوم رسمها انسان العصر الحجرى تمثله وتمثل الماموث الفيل الشعرانى المنقرض . ولكن لم يوجد حيوان كامل الأعضاء مثل هذا الكركدن قبل ذلك فى أوربا والفضل فى بقاء الجثة للثلج

المرأة والمنزل

المرأة والالم

اعتدنا أن نقرن الى المرأة رقة الاحساس ولطافته اذا قوبلت بغلاظة الاحساس عند الرجل. ولكن الحقائق الواقعة تخالف ذلك فان الجراحين وأطباء الاسنان يعرفون باختباراتهم ان المرأة تتحمل الالم وتتجلد له أكثر من الرجل. وقد قال أحد الجراحين المشهورين أنه رأى نساء كان يقطع لحمهن فلا يبدين ألما كانه لحم غريب عنهن. وحوادث الانتحار تؤيد ذلك فالمرأة لا تنتحر كالرجل أى انها تستطيع أن تتجلد لمشاق الدنيا وتصبر على الشقاء والفاقة والحرمان أكثر منه ففى المانيا تنتحر ١٨ امرأة لكل ٣٧ رجلا وفى ايطاليا تنتحر ٣ نساء لكل ١٣ رجلا وفى نروج تنتحر خمس نساء لكل ١٠ رجال

وقد علل أحد العلماء بان الطبيعة أعدت المرأة لتحمل الالام حتى تستطيع أن تتجلد لالام الولادة لانها لو كانت تحس كاحساس الرجل لكانت كل ولادة عذابا جديدا لها

ملابس النساء

قدم أحد أعضاء مجلس النواب مشروعا لمنع النساء من التبرج. والقارىء لمقدمة المشروع يفهم منه أن المقصود من التبرج هو الكشف عن بعض أعضاء الجسم كالذراعين والساقين. أو المقصود بعبارة أخرى هذا الزى الجديد الذى شاع بين النساء الغربيات ونقله عنهن نساؤنا وهو الملابس القصيرة أو الاختصار فى الملابس

ولكن ينسى الذين ينتقدون هذه الملابس ان الاطباء يجدونها أوفق للصحة من ملابس النساء السابقة الضافية ومن ملابس الرجال المحبوكة الكاسية. وذلك لانها لخفتها لا ترهق الجسم بثقلها ثم هى تعرض جزءا كبيرا منه لضوء الشمس المفيد. وهذا زيادة عما فيها من الاقتصاد لقلة القماش الذى تستهلكه. وفى انجلترا الآن جمعية تريد اصلاح ملابس الرجال وقد اتجه نظرها الى الاقلال من اللباس على نحو ما يرى فى النساء.

الطفولة والشيخوخة

تمتاز المرأة على الرجل فى طفولتها وشيخوختها. فهى لا تموت طفلة من أمراض الطفولة كما يموت الاطفال الذكور، وهذه حقيقة مألوفة تعرفها الأمهات. ثم هى كذلك لا تموت فى الشيخوخة كما يموت الرجال، فاذا تساوت الظروف المعاشية بين الرجل والمرأة أسنت المرأة أكثر من الرجل. وقد أحصى الدكتور أورنستيف عدد النساء المسنات وقابله بعدد المسنين من

الرجال في اليونان سنة ١٨٧٨ فوجد أن اللواتي بلغن الثمانين من الرجال ١٢٩٦ ومن النساء ١٣٤٧ واللواتي بلغن المائة من الرجال ٣٠٥ ومن النساء ٣٧٠

ولكن مع قلة الوفيات في الطفولة والشيخوخة من النساء لا تزال كل أمة تحتفظ بالمساواة في العدد بين الجنسين . فكيف يعلل ذلك ؟

يعلل ذلك بأن المرأة تموت بين سن العشرين والخمسين أكثر من الرجل وذلك لامراض الحمل والولادة واضطرابات الرحم

النائبات الانجليزيات

في مجلس العموم الانجليزي ١٤ امرأة نائبة نذكر أسماءهن والحزب الذي ينتسبن اليه:

الفيكونتس استور	: حزب المحافظين	الآنسة جني لي	: حزب العمال
الدوقة اتول	: حزب المحافظين	الآنسة لويد جورج	: حزب الاحرار
الدكتورة اتل بنتام	: حزب العمال	الليدي موزلي	: حزب العمال
الآنسة بونفيلد	: حزب العمال	الدكتورة ماريون فلبس	: حزب العمال
المسز هاملتون	: حزب العمال	الآنسة بكتون توبرفيل	: حزب العمال
الكونتس اياج	: حزب المحافظين	الآنسة رابتون	: مستقلة
الآنسة لورانس	: حزب العمال	الآنسة ولكنسون	: حزب العمال

شيخوخة النبات

فحص عن الفيتامين الذي بالجزر فوجد انه يقل كلما شاخ ويزداد وهو صغير في بداية نموه . ووجد أيضاً ما يؤيد ذلك في كثير من الخضراوات ولذلك يجب أن تجتنب البقول الشائخة ، كما تجتنب لحم الدواجن المسنة

أي الوجبات نستغنى عنها

يكفي الانسان اذا كان قد جاز الثلاثين أو قارب الاربعين وجبتان في اليوم ، ومعظم الكهول لا يتعشون بل يتعشون بالفطور والغذاء . والاستغناء عن العشاء ضروري في الكهولة والشيخوخة وقد قال أحد الاطباء انه لم يستدع في حادثة تحدث في الليل الا ووجد انه كان للعشاء تأثير سيء وان الحادثة كانت تكون أخف وأسلم لولا العشاء

ولكن الذين يرغبون في النحافة من الشبان يمكنهم أن يستغنوا عن الغذاء ويقتنعوا بالفطور والعشاء . واستغناؤهم عن الغذاء يقيهم من التراخي والفتور ويمكنهم من اداء عمل اليوم على أنشط وجه . واذا كان الجوع مضاً ففي المستطاع تخفيفه بفنجان من القهوة واللبن

الطبخ بالبخار

شاع الطبخ بالبخار لان أملاح الطعام تبقى فيه لا تذوب فى المرق . وقد صنعت آنيةخاصة بالطبخ بالبخار بعضها رخيص و بعضها غال . ولكن يمكن ربة البيت التى لا تريد أن تشترى هذه الآنية أن تضع ما تريد طبخه فى قماش نظيف كالصرة تتدلى برباط حول غطاء الأناء بحيث لاتصل الى القعر . ثم تضع قليلا من الماء فى الأناء وتسلط عليه النار حتى يغلى فيبلغ البخارالطعام و يطبخه دون أن يخرج منه أملاحه . وهى اذا فعلت ذلك مرة فانها لن تعود الى الطبخ بالماء لان البخار يطبخ الطعامويبقى فيه عصارته وأملاحه وطعمه الذى يفسد بالمرق

الخيام فى المصيف

شاعت فى السنوات الاخيرة عادة ابتكرتها أندية الطلبة فى الولايات المتحدة وهى تمضية شهر أوشهرين من الصيف فى خيام تضرب على شاطىء البحر . والطلبة أوأعضاء النادى يجتمعون فى خيامهم حيث تنظم لهم وسائل التسلية والانسة واتعليم وهم ينزلون البحر كل يوم ويقومون بتجوالات قصيرة حول مضارب الخيام وترتب لهم محاضرات . واجتماعهم هذا بعدد كبير ينقص النفقات فلايتكلف الفرد سوى القليل جدا لمبيته وطعامه . وقد عمدت جمعية الشبان المسيحية منذ سنوات الى ادخال هذه العادة فى مصرفنجحت فيها . وحبذا لوجارتها فى ذلك جمعية الشبان المسلمين

التيفوئيد والنزلات المعوية

هذا الشهر والشهران التاليان هى أشهر التيفوئيد فى مصر . وهى ايضا أشهر النزلات المعوية فى الاطفال . وقد تزيد الوفيات على المواليد فى القطر بسبب هذه النزلات

والبيئة التى تحدث النزلات للاطفال هى نفسها تحدث التيفوئيد للبالغين وان كان لكل من المرضين مكروب خاص . وهذه البيئةهى الذباب والبراز والاطعمة الملوثة . وقد يكون من السهل على ربة البيت أن تتقى الاطعمة الملوثة بغسل ما يمكن غسله منها كالفواكه بالماءوالصابون واغلاء ما يمكن اغلاؤه منها كاللبن والخضروات

ولكن يبقى الذباب وهذا لايتقى بسهولة إذ يحتاج الى عناية دائمة وقتل كل ذبابة تعرض. والاوربيون يقتلونهابلا اشمئزاز ولذلك تخلو بيوتهم منها أوتكاد تخلو ولكننا نحن نشمئز من هذا العمل . ولاشمئزازنا سبب وهو أننا نقرن الذباب فى أذهاننا إلى القاذورات التى نراها يحط عليها بينما الاوربى لايرى فى بلاده هذه القاذورات فهو يقتلها كما نقتل نحن البعوضة بلا اشمئزاز. ولكن اذا كنا نشمئز من قتلها باليد فعلينا أن نقتلها بأى وسيلة أخرى

وخطر الذباب ينحصر فى نقل التيفوئيد والنزلات المعوية للاطفال . وهو يحط على الاطعمة بعد أن يكون قد تلوث بالبراز فتنتقل بوساطتهعدوى هذه الامراض

اللسان الاغبر

غبرة اللسان أوكدرته برهان على أن الامعاء أو القناة الهضمية كلها ليست في أحسن حال اما لتعفن قد نشأ من امساك أو لزيادة في الحموضة أو لأي سبب آخر . وكثيراما ترافق كدرة اللسان بحرق في التنفس قد لاتكون له علاقة بالاسنان

واذا اعتاد الانسان ذلك أو رآه يتكرر عنده فعليه بتناول الخاثر كاللبن الرائب أو خميرة الشعير يفرك قليلا منها على طعامه و يأكله . والاغلب ان يستعيد اللسان حمرته بعد هذه المعالجة السهلة

الفواكه وقشرها

إذا ترك الطفل على هواه أكل التفاحة بقشرها بينما أبوه يكلف نفسه إزالة قشرتها بعناية وصبر . وإذا كانت التفاحة نظيفة فالطفل يفضل أباه في العناية الصحية لأن قشور الفواكه مثل قشور الحبوب تحتوي على اليودين . وهذا العنصر ضروري للجسم بل نقصه يؤدي إلى مرض الغوط أو تضخم الغدة الدرقية ، واليودين معقم ولذلك فان الفواكه والحبوب تحتمي به من القطر الذي يحاول أن يخترقها ليدخل في باطنها ويتغذى منها . وماقيل عن التفاح يصح أيضاً عن الكمثرى والمشمش والخوخ وسائر الفواكه بل هو يصح عن الحبوب كالقمح الذي يجب أن يؤكل خبزاً مع نخالته أي مع جزء منها

الزبالة والنظافة

يتخلص الامريكيون من زبالة المنزل بإحراقها في محرقات كهربائية صنعت لهذه الغاية ، وهذه المحرقات تتكلف كثيراً ألا يمكننا استعمالها لفقرنا . ولكن هذه الطريقة هي خير ما يصنع بالزبالة لولا تكاليفها . وفي بعض المدن الاوروبية تحتم المجالس البلدية على ربات البيوت أن يشترين كل منهن صندوقاً للزبالة يصنعه المجلس . ولهذا الصندوق غطاء محكم لا تمكن صرصوراً أن يدخله وتصان الزبالة الى الصباح حين تحمل في عربات المجلس البلدي المتصرف بها واستهلاكها أو استغلالها . وبيوت القاهرة منكوبة بالصراصير لأن التصرف بالزبالة في غاية السوء ولن يمكن التخلص من الصراصير ما دامت الحال كذلك

المؤلفات الجديدة

خطرات نفس للدكتور منصور فهمى

طبع بمطبعة المعارف صفحاته ٢١٣ من القطع المتوسط

منذ أكثر من عشرين سنة رحل الى باريس فى طلب العلم ثلاثة من الشبان المصريين هم محمود عزمى ، ومنصور فهمى ، وعبدالحميد سعيد . وعقد ثلاثتهم العزم على استبقاء الطربوش مهما أقاموا فى باريس يبغون بذلك الاحتفاظ بشرقيتهم أزاء هذه المدنية الغربية الطاغية

فاما محمود عزمى فقد وجد بعد شهر من مقامه فى باريس ان المدنية الغربية خير مما عرفه من مدنية الشرق فعمد الى طربوشه فنزعه ولبس القبعة . وما تزال على رأسه الى الآن بل هى قد صارت عنده دعوة يدعو اليها . وأما منصور فهمى فقـــد احتاج الى أربع سنوات قبل أن نزع طربوشه ورضى باتخاذ القبعة . وأما عبدالحميد سعيد فقد لزم طربوشه فلم يلبس قبعة قط واغلب الظن أنه يأسف الآن على انه لم يلبس العمامة

ومغزى هذا أن محمود عزمى يدعو الى الحضارة الغربية فى جرأة وعجلة . ومنصور فهمى يريد طريقاً وسطاً بين الشرق والغرب ويخشى العجلة فى التفرنج . وأما عبد الحميد سعيد فشرق قح لو أسعفه رأسه باختراع للقضاء على أوربا لفعل ولكنه لا يسعفه

وهذا الكتاب « خطرات نفس » هو طائفة من المقالات التى نشرها الدكتور منصور فهمى فى السنوات العشرين الماضية

وهى إذا تتبعها القارىء رأى فيها مصداق ما قلناه من ان المؤلف يريد المصالحة والتوفيق بين المدنيتين الغربية والشرقية فهو ينزع نحو الآراء الاشتراكية التي اخترعها الغرب ولكنه يحن أيضا الى العقائد الصوفية التى اخترعها الشرق ثم هو مع كراهته للمادية الغربية يكره أيضا الجمود الشرقى

ومن الأقوال الشائعة أن الناس يستفيدوون من التجارب وينتفعون بما ينزل بهم من المحن وهذا صحيح فى مجمله ولكنه ليس كذلك فى التفاصيل لأن من التجارب ما يبعث فى النفس الخوف والجمود حتى لتصد عن التفكير فى الموضوعات التى يحق للبشر أن يبحثوها فاذا هى تقف جامدة كما يجمد الانسان أمام المحرمات الدينية لا يجيز لنفسه الكلام فيها والاعتراض على أوامرها وعندئذ تعمل التجارب للاعاقة والحجر والخوف . وقد حدث للدكتور منصور فهمى ان خانه صديق عند أول مجيئه من أوربا وعمد الى جريدة المقطم يكتب فيها فى بيان المخالفات التى ارتكبها الدكتور منصور فهمى ضد الدين وينبه أذهان علماء الأزهر ويدعوهم الى الاحتجاج والمقاومة .

وقد نجح فى ذلك وعوقب منصور فهمى بالجوع والتشريد نحو خمس سنوات . فهل يلام بعد ذلك على انه يكتب فى تقية وخوف ؟

كلا . لا يلام ، ولكن المحقق الذى يعرفه كل قارىء أن ذلك الصديق الخائن لا يؤمن بدينه أكثر مما يؤمن به منصور فهمى وأن أصحاب المقطم لا يحبون الاسلام عشر معشار ما يحبه منصور فهمى

ولكن هذا قضاء يقضى به على بلادنا من آن لآخر . ولو لا هذا القضاء لرأينا للدكتور منصور فهمى كتباً ضخمة فى ما يهز الأمة من المسائل الاجتماعية والعمرانية ،ولكن بدلا من هذه الكتب يجب أن نقنع منه الآن بمقالات هذا المجلد الصغير عن : الله أكبر . الدعوات . نصف شعبان . أيام العيد . انت انت الله الخ .

البهاء زهير لمصطفى عبدالرازق

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية صفحاته ٩٤ من القطع المتوسط

البهاء زهير شاعر مصرى الروح وليس عربيا بل هو مصرى أكثر من شوقى وحافظ يمكن الفلاح أن يتغنى بأشعاره كما يتغنى بالمواويل ويجد فى نفسه صدى لمعانيها ، بل لو ترجمت هذه الأشعار الى العامية لصارت مطابقة من الطراز الأول ، وأى شىء مصرى أكثر من قوله :

هات زدنى من الحديث عن النيـ ـل ودعنى من دجـلة والفرات
وليالى بالجزيرة والجـ ـيزة فيما اشتهيت من لذات
حيث يجرى الخليج كالحية الرقـ ـطاء بين الرياض والجنات

فهذا كلام تألفه نفوسنا ونتعرف به إلى عواطفنا المصرية ونجد فيه الصدى لما نحس . ولكننا لانحب البهاء زهيراً لمصريته فقط بل أيضا لعبقريته . وهنا يقول الاستاذ مصطفى عبد الرازق :

«جاء البهاء زهير . . . فابتدع فى الشعر والانشاء نمطا جديداً خرج بعض التقاليد المرسومة فى صور المخاطبات وفى الاساليب . فهو موجز لايحب الاطناب وهو مقتصد فى زينة اللفظ وهو نزاع إلى الوضوح والبساطة فلا يرضى كثرة المجاز والكناية وهو عدو للجمود على نظم فى البيان تقتل مواهب الابداع والتفنن . ثم هو لايريد أن يستبدل الناس بكلامهم العادى كلام الجاهلية الاولى إذا نظموا الشعر أو كتبوا . وانما يريد أن يصحح الشعراء والكتاب أساليبهم على مقتضى القواعد العربية حتي لاتنقطع الصلة بين ماضيهم وحاضرهم من غير أن يجنى ذلك على سهولة التفاهم ولا على حركة اللغة ونموها وحياتها»

ومصداق هذا الكلام هو هذه الابيات التالية :

ياغادرين ألم يكن بينى وبينكم عهود
ظهرت وبانت لى فضا ئحكم فما هذا الجحود



رحلتم ماخنتم وعلى خيانتكم شهود
يامن تبدل فى الهوى يهنيك صاحبك الجديد
ان كان أعجبك الصدو دكذاك أعجبنى الصدود
واعلم بأنى لا أريـ د اذا رأيتك لاتريد

وقد ولد البهاء زهير سنة ١١٨٦ ومات سنة ١٢٥٨ بالقاهرة وقد صادق ابن مطروح الشاعر المصرى

وقد خدم الاستاذ مصطفى عبد الرازق الادب المصرى الحديث بترجمته لهذا الشاعر القديم الذى يمكن كل مجدد أن يستأنس بلغته وأفكاره

العاصفة لمترجمها أحمد زكى أبو شادى

طبعت بمطبعة المقتطف صفحاتها ١٥٨ من القطع الكبير

هذه الدرامة هى من أشهر درامات شكشبير وقد نقلها إلى العربية الدكتور زكى أبوشادى ونشرها فى فصول متوالية فى مجلة المقتطف . وقد علق عليها بحواش كثيرة فى شرح بعض الالفاظ التى تختلف معانيها الآن عن المعانى التى استعملها لها شكسبير . وعلق تعليقات أخرى تبلغ نحوستين صفحة فى درس هذا الشاعر العظيم ودرس هذه الدرامة وشرح اشخاصها ووقائعها . وقد زينها بالرسوم الفنية المتقنة مما جعل هذا المجلد تحفة فريدة للطالب والقارىء العادى

وقد قال المترجم فى تصديره هذه الكلمة الصادقة :

« وعندى أن هذا الشاعر العالمى الخالد جدير بأن تترجم دراماته شعراً مرسلا أو شعراً حرا وكلاهما مستطاع لولا حقارة الجزاء من الناشرين أو من القارئين أو من جميعهم. ولكن إذا كانت ظروف البيئة ماتزال قاصرة من مكافأة الشاعر المجتهد المبتدع فان ذلك لايسيغ بحال التهاون فى الترجمة النثرية وقد تكون على تواضعها قادرة على انصاف فن شكسبير وانى على هذا الاساس أعرض هذه الترجمة على انظار القراء والنقاد »

تاريخ الفن الجميل لعبد الحميد العجاتى ورياض ج . ملطى

جزآن طبعا بمطبعة دار الكتب المصرية صفحاتهما ٢٨٠ من القطع المتوسط

يتناول أحد هذين الجزءين تاريخ الفنون الجميلة فى القرون الوسطى ويتكلم فيه المؤلفان عن البناء والتصوير والنحت مع ذكر المميزات للفنون القوطية والعربية والقبطية

ويتناول جزء آخر تاريخ الفنون من عصر النهضة الاوربية إلى الوقت الحاضر. فيتكلم المؤلفان عن البناء والتصوير والنحت فى المانيا وانجلترا وايطاليا وفرنسا ومميزات كل منها. ولهجة المؤلفين تعليمية أكثر منها أدبية وهذا يتفق مع قصدهما وهو افادة الطلبة فى المدارس الثانوية

وهذا موضوع لم يكتب فيه فى اللغة العربية — باستثناء كتابنا عن تاريخ الفنون — ولذلك فانه يحسن بكل من يرغب فى تلافى النقص فى ثقافته أن يقرأ هذين المجلدين

تاجر بغداد لكامل كيلانى

عنيت بنشره مكتبة النجاحة المصرية بالقاهرة صفحاته ١٠٤ من القطع المتوسط

اشتهر الاستاذ كامل كيلانى بعنايته بتأليف الكتب المفيدة الجميلة للصبيان يتوخى فيها عبارة ناصعة واسلوبا سهلا ويختار لها القصص الحسنة من كتب الأدب العربية ويزينها بالرسوم التى تجذب عين الصبى فلا يسأم القراءة وهذا المجلد الجميل يحتوى على قصص تاجر بغداد ، على كوجيا ، وقد الحقت بكل قصة أو واقعة من وقائع على كوجيا أسئلة عن موضوع القصة وتفاصيلها. والكلام كله مشكول مضبوط فيمكن الصبى أن ينشأ على معرفة صحيحة للالفاظ من الجهة اللغوية التى كثيراً ما تهمل فى كتب التعليم مع ضرورتها القصوى فى لغة مثل لغتنا حيث لا تحتوى الكلمة على الحركات

دانتى اليجييرى لطه فوزى

طبع بمطبعة الاعتماد صفحاته ١٥٠ من القطع المتوسط

الاستاذ طه فوزى من الادباء المصريين القليلين الذين يجيدون لغة الديكتاتور الايطالى وقد وضع هذا المجلد اللطيف مستقيا مواده من الاصول الايطالية : وقد شرح فيه حياة دانتى وذكر مؤلفاته مع الشرح والتلخيص . وقد ولد دانتى وعاش قبل النهضة الاوربية التى هو أحد أسبابها . وهذه النهضة تبتدىء عرفا واصطلاحا سنة ١٤٥٣ عند دخول الأتراك القسطنطينية ولكنها فى الواقع ترجع الى قبل ذلك بنحو قرن أو أكثر وقد مات دانتى سنة ١٣٢١ . وكانت حياته رمزا للتجديد القادم : فهو قد دافع عن استقلال مدينة فلورنسا أمام سلطان البابا وبذلك قال بانفصال السلطة المدنية عن الدين . وأعاد الى الايطاليين ذلك الوجدان الرومانى القديم بأحيائه الثقافة الرومانية . وحياته تملأ فترة من الزمن يجدر بالقارىء المصرى أن يدرسها ويتدبرها

المطبوعات الجديدة

(ملكات التاريخ) تأليف الكاتبة الانجليزية ل . ه . فارمر يحتوى على ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط وبه سير الملكات المشهورات مثل كليوباترة والزباء وهتشبسوت ومارى انطوانت وقد قامت بترجمته ادارة الهلال وارسلته هدية لقرائها

(المصطلحات العلمية والطبية) مجموعة انتقادات عن ترجمة الالفاظ العلمية نشرها الدكتور م . شرف فى المجلة الطبية المصرية ثم جمعها فى هذا المجلد الذى يحتوى على ٨٢ صفحة كبيرة وقد تناول فيها ألفاظاً خاصة بالنبات وغيره فناقش فيها رأى الاب ا . م . الكرملى ويجدر بالمشتغلين بالترجمة أن يدرسوا هذا البحث المفيد

(سقطة الكنيسة القبطية) تأليف الأستاذ جرجس . ف . عوض يحتوى على ٢٧٢ صفحة متوسطة وهو يبحث فى تاريخ البطرك القبطى الحاضر ومخالفته للقوانين الكنيسية وبطلان انتخابه شرعا ويبدو من لهجة الاستاذ المؤلف أن هذا البطرك مكروه أشد الكراهة بين الاقباط

(قناة السويس) للأستاذ عزيز خانكى يحتوى على ٥١ صفحة كبيرة يبحث عن تاريخ القناة وما حدث فى انشائها من معارضة الحكومة البريطانية ومقدار الخسائر التى تكبدتها مصر وخروجها منها بلا أدنى فائدة

مختارات من الجرائد والمجلات

سؤال وجواب فى مجلة علمية

عن مجلة الهلال : (بغداد ـ العراق) سيد رءوف آ ل شيحه

هل كان الناس فى بدء الخليقة يتكلمون لغة واحدة ؟ واذا كان الامر كذلك فكيف تعددت اللغات ؟ وما اسم أول لغة؟

(الهلال) يقولون ان الناس كانوا يتكلمون فى الاصل لغة واحدة . جاء فى سفر التكوين من التوراة قوله، وكانت الارض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة ، فلما شرع الناس يبنون برج بابل خشية أن يتبددوا ويتفرقوا بلبل الله ألسنتهم فتكلموا لغات مختلفة وباتوا لا يفهم بعضهم بعضا فكفوا عن بناء البرج

وجاء فى البيان والتبيين للجاحظ أن أول من تكلم باللغة العربية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وان اسماعيل تكلم بها بالوحى ارتجالا

دواء للمادية

عن الدكتور مليكان مكتشف الاشعة الكونية فى مجلة سكريبنر : « أحسن دواء يشفى به الانسان من المادية هو التاريخ الحديث للطبيعيات . فقبل مائة سنة كان هذا العلم مقسوما الى خمسة أقسام ينفصل الواحد منها عن الاخر انفصالا تاما وهذه الاقسام هى : الميكانيات والطبيعة الجزيئية والحرارة والصوت والضوء والكهربائية

« وكان أول ما كسر من هذه الفواصل ذلك الفاصل الذى يفصل بين الحرارة والطبيعة الجزيئية اذ وجد حوالى سنة ١٨٥٠ أن الحرارة ليست مادة كما كان المفروض سابقا وانما هى حركة فى جزيئات الاجسام

ثم جاء الاكتشاف الثانى وهو ان الحرارة والضوء انما هما مظهر واحد لموجات الاثير وانما الاختلاف يأتى من جهة الطول فى الموجة فقط . ثم أعقب ذلك الاكتشاف العظيم الذى وقع عليه كل من مكسويل وهرتز وهو أن الموجة الكهربائية لا يمكن تمييزها من موجة الضوء أو الحرارة الا من حيث الطول فقط وبذلك اندغمت هذه المظاهر أى موجات الضوء والحرارة والكهربائية فى علم جديد يسمى « الطبيعة الاثيرية » ولكن بقى هذا العلم الجديد منفصلا من « الطبيعة المادية » انفصالا واضحا

« وبعد ذلك انهدم الفاصل بين الكهربائية والمادة عند ما عرف أن التيارات الكهربائية انما هى حركات فى كهارب المادة . ولكن بقي الفاصل بين (الطبيعة الاثيرية) و (الطبيعة الكهربائية)

على أن هذا الفاصل قد انهدم حديثا واندغمت موجات الاثير فى موجات المادة فى معادلة اينشتين حتى لا يصح الان التميز بين المادة والاثير

فما معنى كل هذا ؟ معناه ان هناك علاقة أو وحدة حول الطبيعة بأجمعها . واذا نظرنا فى ضوء هذه المعارف هل يجوزلنا أن نستبقى الفواصل التى تفصل بين الاثير (أو المادة) وبين الحياة والعقل

المجمع المصرى للثقافة العلمية

عن رشيد رضا فى المنار : « استغربنا تأليف إدارة المقطم والمقتطف لهذا المجمع من الدكاترة الكرام وبعض الملاحدة المفسدين للاديان والآداب الذين جهر بعضهم بالدعوة الى الالحاد . ولاسيما الطعن فى الاسلام ، الى افساد الآداب الدينية والمدنية بما يسميه الأدب المكشوف . وأما الاطباء فالخدمة التامة الخاصة بهم ، موضوعها حفظ أبدان البشر من الامراض ومعالجة مايعرف لها منها ويقل فيهم من يجد وقتاً للعناية بالثقافة التى هى موضوع هذا المجمع ان كان مستعداً لها من قبل ، « وكان يجب أن يكون أكثر أعضاء هذا المجمع من كبار المدرسين فى المدارس العالية ومنها الأزهر الشريف ، ومن كبار الكتاب المحررين والعلماء المؤلفين للكتب النافعة ، وأن يكون فيهامن يمثل الجمعيات الأدبية والاخلاقية ومنها جمعيات الشبان المسلمين والشبان المسيحيين »

طعامنا من الخارج

عن عكاظ : مصر بلاد زراعية كانت فى سابق العصر والأوان تمون بغلاتها بلاداً كثيرة ولكن الحال قد تغيرت وأصبح وادى النيل يأكل من غلات غيره . ولو منعت عنا الواردات الأجنبية لمتنا جوعاً . فقد ورد فى التقرير الأخير لمصلحة الجمارك المصرية أنه فى خلال السنة الماضية بلغ الوارد الينا من دقيق القمح ٢٣٣٫٤٩٢٫٠٠٠ كيلو ثمنها ٢٫٩٦٣٫٠٠٠ جنيه . وكان لاستراليا المقام الأول فى توريد مقدار من الدقيق الينا اذ استوردنا منها ١٤٢٫٦٧٠٫٠٠٠ كيلو ثمنها ١٫٨٤٢٫٠٠٠ جنيه . وتليها الولايات المتحدة اذ اشترينا منها ماقيمته نحو نصف مليون جنيه . ثم ايطاليا بمبلغ ٣٠٠ الف جنيه وفرنسا بمبلغ ١٢٠ الف جنيه

وزاد مقدار القمح المستورد ٢١٫٨٢٣٫٠٠٠ كيلو . وزادت قيمته نحو ربع مليون جنيه . وجل الوارد من القمح جاءنا من أوستراليا فقد أصدرت الينا ٢٤٫٣٣٧٫٠٠٠ كيلو ثمنها ٢٥٨ الف جنيه

الشقاء في السجون المصرية

عن السياسة : كان ليب فانوس ميكانيكياً وقد ارتكب بقسم الخليفة جناية قتل خطأ حكم عليه من أجلها بالحبس ستة أشهر وأرسل الى سجن مصر لينفذ عليه الحكم

وفى السجن ارتكب عدة مخالفات وكان مشاغبا فوقعت عليه جزامات عدة وأرسل من أجل ذلك الى سجن طنطا .

وفى سجن طنطا تكررت منه العقوبات حتى بلغت العقوبة المحكوم بها عليه سبع سنوات فرفع شكاوى عديدة الى النيابة وأخيراً تقرر إرساله الى ليمان طره لتمضية مدة العقوبة

ورحل من طنطا أمس صباحا ولما وصل ظهراً الى العاصمة استوقف حارسه فى ميدان محطة العاصمة وصاح صيحات عالية بالعيب فى حق الذات الملكية وهاتفا بحياة جلالة ملك بريطانيا وكرر ذلك سبع مرات

ونمى الخبر الى بوليس قسم الازبكية فسارع محمود افندى سعيد مأمور قسم الازبكية بضبط واقعة ذلك السجين وأبلغت الحادثة الى النيابة باعتبارها جناية

وفى التحقيق اعترف السجين المتهم بما عزى اليه وقال انه لم يقصد بذلك الهتاف العيب فى حق الذات الملكية وانما فعل ذلك وهو يقصد من وراء فعله أن يرسل الى سعادة النائب العام وعندما يمثل امامه يشكو اليه مظلمته وما آل اليه

وقد أودع المذكور السجن على ذمة التحقيق معه

عادات المغاربة فى الطعام

عن الرابطة الشرقية : « وإنك لتعجب حين تجلس معهم على المائدة وأنت ضيفهم العزيز فلا تجد أحداً يقسم عليك أن تأكل أو تتناول من هذا الصنف أو من ذاك كما وقع لى معهم وأنا ضيفهم المحبوب لديهم . حتى لقد تاقت نفسى إلى أن أعرف السر فى هجر العزم على الضيف على خلاف ماهو شائع عندنا بالديار المصرية فسألت أحد الاصدقاء الظرفاء وهو السيد محمد بن رحمون فأخبرنى أن القوم من العرب وأن العرب تأبى عليهم أخلاقهم وطباعهم أن يقولوا الضيف شيئاً ربما يشعر بأنه فى حاجة الى هذا الطعام ويكرهون الحلف عليه لأنهم يرون أن الحسن بن على بن أبى طالب قال : (الطعام أهون من أن يحلف عليه) وهم يهجرون الحديث فى الطعام والشراب ليكون ذلك دليلا على أنهم إنما دعوا صديقهم إلى طعامهم ومائدتهم للأنس به والفرح بلقائه وإعانه ومن لوازم الفرح الطعام والوليمة

« أما طعام المغاربة فى ولائمهم فيكاد يكون مقصوراً على اللحوم والفواكه ولاسيما العنب فانك تراه على المائدة بجانب الخبز وقد يستغنون به عن الماء وإن شئت فقل انه راحهم الحلال . ولا تكاد ترى من الخضراوات إلا النادر كالزيتون والسفرجل المطبوخ باللحم . والسبب فى ذلك اعتقادهم أن الخضراوات ضارة بالمعدة فلا يكثرون منها وانما يقتصرون على مايقل ضرره

« والمغاربة يختمون طعامهم بالكسكوس ويلتزمون ذلك فهو من المميزات الثلاثة التى اختص بها أهل المغرب وهى (حلق الرؤس ولبس البرنوس وأكل الكسكوس) ومما قاله أحد شعرائهم فيه

أحسن ما فى غربنا يلتمس من صنعه القوت العجيب الكسكوس

« ومما رأيته شائعا عندهم طلبهم الراحة بعد الأكل فتراهم يجلسون بعده ثم ينشدون نشيدهم القومى الشبيه بالمارسليز لدى الفرنسيين وأوله . (يا أسفى على ما قد مضى) يشيرون إلى ضياع الأندلس . وبعد ذلك يصمتون ويهجعون ، وهكذا يفعل من يريد العافية



عدد يونيو ١٩٣٠

اشتراك : المجلة الجديدة

فى مصر : ٥٠ قرشاً فى العام

فى الخارج : ٨٠ قرشاً أو ١٦ شلناً أو ٤ دولارات

عنوان المجلة — ٣٣ شارع الكنيسة الجديدة امام البنك الاهلى بالقاهرة


عنواننا الجديد
١٤٩ شارع الملكة نازلى بالقاهرة
أمام محطة كوبرى الليمون

السنة الاولى
أول يونية سنة ١٩٣٠

المجلة الجديدة
لصاحبها ومحررها سلامه موسى

العدد الثامن
المجلد الاول

راس الملكة نفرتيتي

يذكر الفراعنة في التوراة و يوصفون بالظلم والعتو والجبروت وذلك لان التوراة كتاب العبرانيين يقص على دينهم وشعائرهم كما يذكر تاريخ ملوكهم وحروبهم مما ليس له علاقة بالدين

فهو عندما يتحدث عن المصريين وفراعنتهم ينزع تلك النزعة السياسية التي نراها بين عدوين فنجد اللعنات والفاظ العداوة في مكان الاحترام والتواد بين الامم

وقد نجحت التوراة في أساءة سمعة المصريين واظهارهم بمظهر الطغيان. ويمكن المصري الآن أن ينظر نظرة النزاهة لتاريخ جدوده. وأقل ما يرى بل أبسط ما يرى أن المصريين اذا كانوا قد طغوا واستبدوا بالعبرانيين فانما فعلوا ذلك في مصر حيث كان المصري يعيش في بلاده بينما كان العبراني دخيلا أجنبيا. وكل ماحدث ينتهي في الاخر الى أن المصريين طردوا الاجانب عن بلادهم

ولكن الدعاية التي قامت بها التوراة ضد أسلافنا في الثلاثة الآلاف من السنين الماضية قد أخذت تنهدم بما كشفه الباحثون من العلماء من تاريخ الفراعنة.

فقد اتضح أن هؤلاء الفراعنة الملعونين كانوا أسمى ملوك العالم يحكمون أرقى أمة حضارة وثقافة وأخلاقا

وقد امتد تاريخهم على مدى ٤٠٠٠ سنة فكان رقيهم يتفاوت ولكنهم كانوا في المتوسط أرقى من جميع من عاصرهم

و يمكننا أن نقابل ونوازن بين المصريين ومعاصريهم لنرى في أية جهة تقع تهمة الظلم والطغيان ولكن هذا ميدان يتسع ولا يمكننا استقصاؤه وانما نقتصر بذكر رجل اشتهر في التاريخ هو حمورابي ملك بابل الذي عاش حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد

فهذا الرجل مشهور معروف الآن لانه خلف قوانين وجدت حديثا بنصها وهي تدلنا على الحال والاجتماعية التي كان يعيش فيها البابليون في ذلك الوقت وعلى مدلول لفظة العدالة عندهم وكيف كانوا ينفذونها

فقد أخذ حمورابي بمبدأ المقاصة وسار فيه الى غايته. فالعين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس لكنه لم يفطن الى أن منطق هذه المقاصة ينتهي الى الضرر. فقد نص مثلا على انه اذا سقط حائط

على شاب وقتله أخذ ابن صاحب الحائط وقتل. وهكذا كان البرىء يقتل مقاصة

في هذا الوقت نفسه كان المصريون قد بلغوا درجة سامية من الحضارة وفهموا من العدالة معنى أرقى من معنى المقاصة بحيث أن ابراهيم الخليل الذى هجر اور فى زمن حمورابى هذا ونزل مصر شعر انه قد انتقل من الهمجية الى المدنية ومن القسوة الى الرحمة

وبينما المصرى الذى يقرأ التوراة الآن يشعر من أن الفراعنة أسلافه كانوا عاراً عليه يرى الآن وهو يقرأ المؤلفات الحديثة من أقلام برستد أو سمث أو بروجش أو بترى أنهم بنوا صرحا من المجد لم تبلغه أمة قديمة وان له الحق أن يفخر بهم على جميع أمم العالم

ومن هنا عناية الامم الغربية باقتناء آثارنا وتأليف المؤلفات عن تاريخنا. فقلما يمر شهر دون أن يؤلف كتاب ضخم فى احدى اللغات الحية عن الفراعنة. وذلك لان تاريخنا هو تاريخ المدنية والعدل وارتقاء الذهن البشرى

وتجرى الآن مفاوضات بشأن استرداد مصر تمثال رأس الملكة نفرتيتى الذى يعرض الآن لآلاف المتفرجين فى متحف برلين

وهذا الرأس تمثال بديع صنع حوالى سنة ١٣٧٥ ق. م. ووجد فى مرسم المثال فى تل العمارنة وأهميته ترجع الى دقة صنعه من جهة والى انه صنع فى عصر رأى أول ثورة فكرية فى تاريخ البشر كانت الغاية منها تجديد الدين وترك الوثنية الى التوحيد. ونفرتيتى هذه هى أم زوجة توتنخ آمون

ويرى القارىء من تمثالها أنها مصرية صحيحة لا تختلف من الفتيات المصريات اللواتى نراهن فى الصعيد الى الآن

وهذا برهان آخر على أننا والفراعنة سلالة واحدة لم تتغير بعد مضى ٣٠٠٠ سنة

وإذا أردنا أن نعلل التوحيد الذى دعا اليه اخناتون لاضطررنا الى المراجحة بين عاملين: —

الاول — أن ذكرى الهكسوس وتقاليدهم كانت ماتزال باقية فى مصر. وكان هؤلاء الهكسوس بدواً لا يجيدون البناء أو النحت ولذلك فمن المرجح انهم تخيلوا الله مجرداً غير مجسم فى تمثال. ويجب أن نلاحظ أن البدو سواء كانوا من العبرانيين او البدو من العرب هم الذين تعصبوا بعد ذلك للتوحيد وكرهوا الوثنية. ولا يبعد أن اخناتون قلد الهكسوس فى الايمان بالتوحيد

ولكن يمكن أن نضع إزاء هذا احتمالا آخر. وهو ان مصر عندما ارتقى اخناتون العرش سنة ١٣٧٥ كانت قد تجاوزت حدودها وصارت امبراطورية تضم بين حدودها مختلف الامم والسلالات البشرية. وكان المألوف أن لكل أمة أربابها المقصورين عليها. ولكن اتساع الامبراطورية فى عصر اخناتون أحدث فى الأذهان هذه الفكرة «الاممية» التى نراها الآن شائعة فى أيامنا. فهذه الفكرة «الاممية» هى التى بعثت بعض المصريين ومنهم فرعونهم المعظم الى الاعتقاد بأن الآلهة ليست مقصورة على مصر بل إن للعالم كله إلهاً واحداً ينظر الى البشر بين المساواة ولا يميز أمة على أخرى. فيمكن من هذه الناحية أن نعتبر التوحيد نزعة امبراطورية

وقد جاهد اخناتون زوج نفرتيتي في تعميم التوحيد فعمد الى المعابد المصرية فأقفلها وحطم بعض الاصنام وطرد الكهنة ومحا من الآثار كلمة «آلهة» بصيغة الجمع لأن للكون رباً واحداً هو أتون رع» الذي كان يرمز اليه بقرص الشمس كما يرمز الصليب الآن الى المسيحية أي انه لم يكن يعبد الشمس وانما يرمز بها الى الخالق الواحد

ولما رأى اخناتون أن الوثنية لا تمكن استئصالها من طيبة عاصمة الدولة تركها وذهب الى حيث «تل العمارنة» الآن فأنشأ هناك عاصمة جديدة وصار هو ورجال الدولة وسكان العاصمة يعبدون ربهم الجديد فيها

وفي هذه العاصمة التي قامت البعثة الالمانية قبل الحرب في التنقيب عن آثارها وجد تمثال نفرتيتي وقد حملته البعثة الى بلادها حيث هو الآن موضوع المفاوضات بيننا وبين الألمان

ومات اخناتون وتزوجت إحدى بناته توتنخ أتون الذي كان على مذهبه وصار فرعوناً بعده ولكن الكهنة تغلبوا عليه وجعلوه يترك عبادة «أتون رع» ويعود الى عبادة آمون ولذلك سمى نفسه توتنخ أمون. وانتقلت الدولة من تل العمارنة الى طيبة كما نقلت مومياء اخناتون الى طيبة أيضاً

ومات توتنخ أمون صغيراً فعرضت زوجته نفسها على أمير الحيثيين لكي يتزوجها وقد وجد خطابها في عاصمة الحيثيين. فكأنها أرادت أن تأتي بأجنبي تجعله فرعوناً. وهذه النزعة الاممية هي بلا شك ثمرة التوحيد الذي دعا اليه اخناتون، ولكن مصر عادت الى وطنيتها ووثنيتها ووثب آي رئيس الاصطبلات الملوكية الى العرش

غش الأطعمة

تستخدم العلوم لمنفعة الناس وكلما وقف العالم على اكتشاف جديد ازداد سلطان الناس على الطبيعة واستغلالها . ولكن الأخلاق كثيرا ما تتخلف وراء المكتشفات العلمية وبدلا من أن يستعمل العلم للمنفعة يستخدم للضرر . فالمخترعات الكيماوية والميكانيكية تستعمل الآن لقتل الناس في الحروب كما تستعمل أيضا في غش الأطعمة وارتكاب الجرائم .

وذلك كله لأن العلوم تتقدم بينما الأخلاق لا تتقدم . فالعالم يسير على أخلاق السلف الذى كان يعيش قبل ١٠٠٠ سنة بينما هو يتقدم فى العلوم سنة بعد أخرى . وهذا التفاوت بين تقدم العلوم وتأخر الأخلاق والاجتماعيات والاقتصاديات من أسباب القلق الحاضر ونزوات الفوضى فى علاقات العمال بالممولين . فنحن الآن بمثابة رجل يتصرف بآلات القرن العشرين ويستفيد بعلمه بينما يتصرف به هو نفسه ضمير القرون الوسطى وعقل القدماء وأخلاقهم



الميكرسكوب والطعام المغشوش

باليمين دقيق الاروروط وباليسار دقيق الرز كما رؤيا تحت الميكرسكوب وبالوسط دقيق مؤلف منهما يبين ان نشا الاروروط مخلوط بنشا الرز

وغش الأطعمة أحد أنواع هذه الفوضى التى نعيش فيها وتضطرنا الى أن نتسابق فى جمع المال ولو كان فى ذلك الضرر بالناس . وكل طعام تقريباً يمكن غشه إلا القليل جداً مثل الخضروات والفواكه الطازجة . وبعض الأطعمة المصنوعة مثل السكر لا يمكن غشه بأية طريقة وذلك لأنه لم نعرف بعد طريقة لغشه

أما الشاى والبن فيمكن غشهما ومن هنا التفاوت فى أثمانها . فحب البن يختلف فى القيمة وبعضه

يجلب من برازيل وبعضه من اليمن . وهذا الاخير أجود من الأول ولذلك فانه يغش به وأحياناً يغش بالشكوريا. أما الشاى فيتفاوت ورقه وأحسنه كالقطن ماجنى لأول مرة . ولكن الهنود والصينيين يجنونه للمرة الثانية والثالثة ويغشون الجنية الأولى . وغش البن والشاى يحتاج الى مهارة كبيرة لمعرفته

وهناك من الأشياء ما يمكن معرفة الغش فيها بسهولة . ولكن معظم المأكولات المغشوشة تحتاج الى خبرة الكيماوى بل أحياناً الى استعمال الميكرسكوب للوقوف على ماهية الغش ومقداره .
فمن ذلك اللبن مثلا فانه يغش بطريقتين هما : —

١ — اضافة الماء . و ٢ — نزع القشدة

والثقل النوعى للبن هو ٠٣ ر١ ومعنى ذلك اننا اذا جئنا بكميتين من الماء واللبن تساويان فى الجرم وكان الماء يزن ١٠٠ درهم فان اللبن يزن ١٠٣ درهم . فمن ذلك نفهم اننا اذا أضفنا الماء اليه خف وزنه ونزل ثقله النوعى . ولكن التاجر السافل يستطيع أن يخفى هذا الغش بغش آخر وذلك أن ينزع القشدة التى تطفو الى السطح لخفتها فيستعيد اللبن باضافة الماء من جهة ونزع القشدة من جهة أخرى ثقله النوعى وعندئذ لا يمكن الاهتداء الى الغش إلا بقياس النسبة بين اللبن والقشدة وهذا مالا يستطيع أن يقوم به سوى المعامل المستعدة .

ومن الغش الشائع وتراه واضحاً وضوح النهار فى شارع كلوت بك والاحياء الفقيرة فى القاهرة بيع المرجرين باسم الزبدة . والمرجرين هى الزبدة الصناعية وهى تصنع عادة من شحم الخنزير وزيت القطن ودهن النارجيل ونحوها وتصبغ بصبغة صفراء حتى تشبه زبدة البقر وتحلى قليلا بالسكر . ولا يمكن الانسان وهو يأكلها أن يعتقد انها ليست طبيعية . والحكومة تسمح ببيعها على أن تباع باعتبارها زبدة صناعية بأثمان منخفضة ولكن التجار يعرضونها على اعتبار انها طبيعية ويسومون الفقراء أثماناً عالية فيها

وقد يقال هنا : ولماذا لا يسمح ببيعها ما دام لها طعم الزبدة الحقيقية ولماذا يسمى هذا غشا ؟

فالجواب على ذلك انها خالية من الفيتامين الذى تحتويه الزبدة الطبيعية . وهى من حيث الغذاء لا تزيد على الزيوت الرخيصة . ولكن يمكن ربة البيت أن تميز بين الاثنين بطريقة سهلة فمن المعلوم ان السمن عند ما يغلى على النار لا يخرج منه رشاش يتناثر حوله بل يدخن ويغلى وهو هادىء . ولكن الزيوت كلها تغلى بلا دخان وانما يرافق غليانها رشاش يتناثر . فالمرجرين أو الزبدة الصناعية اذا أغليت على النار سلكت مسلك الزيوت ولم تسلك مسلك السمن . ويجب علينا نحن فى مصر ألا نذوق هذه المرجرين بل ربما يكون من الملائم أن تمنع الحكومة بيعها

ومن الاشياء التى تغش كثيراً هذه الشكولاتة التى تباع لاطفالنا فى الشوارع . فالشكولاتة تصنع من شجرة الكاكاو . ولكن لثمرة الكاكاو لبا وقشرة . فاللب يحتوى على ٤٥ فى المائة من وزنه دهنا لذيذ الطعم والقشر لا يحتوى الا على ٤ فى المائة من الدهن . ومن هنا التفاوت بين

أصناف الشكولاتة . ومعظم ما يباع منها من الاصناف الرخيصة يصنع من القشر وليس من اللب

وحلوى الاطفال فى أشكالها المختلفة عرضة للغش الكبير . وقد يكون هذا الغش مؤذيا لانها تستعمل السكرين بدلا من السكر . والسكرين هذا مركب كيماوى له حلاوة تزيد جداً على حلاوة السكر ولكنها تؤذى الجسم . وقد منع استعماله ولكننا نحن فى مصر ليس عندنا ما يضمن دقة الرقابة على المصانع الاجنبية

ودقيق الخبز يمكن غشه بسهولة . ولكن هذا الغش يظهر تحت الميكرسكوب . فان الدقائق الصغيرة التى يتألف منها النشا سواء من البطاطس أو القمح أو الرز أو الذرة تتخذ أشكالا مختلفة فهى كروية أو اهليلجية أو اسطوانية والميكرسكوب يبين هذه الاشكال ، والتاجر يختار المادة الرخيصة لكى يضيفها الى الدقيق الذى يبيعه . وبعض أنواع النشا تطلب لفائدتها الطبية مثل نشا الاروروط ولكن التاجر يخلطها بنشا الرز ويبيعها بغية الربح

والاطعمة التى تخزن فى علب والتى تكبس فى المصارين وكذلك المربيات كلها عرضة للغش وذلك لأن الذين يصنعونها يخشون فسادها فهم يضيفون اليها سموما خفيفة تمنع انتشار الفساد فيها. ولكن هذه السموم كما تقتل الميكروب الذى يحدث الفساد كذلك هى تؤذى أجسامنا اذا أكلنا الطعام المعقم بها . وهم يستعملون نوعين من السموم أحدهما وأقواهما هو الفورملدهيد والثانى هو حمض البوريك . ولو أتقن الصانع عمله لما احتاج الى سم يعقم به الطعام المخزون أو المكبوس لانه لو وضع فى العلبة وقت الغليان لكان الغليان وحده مطهراً كافياً لا يخشى معه الفساد

ونحن مضطرون الى أن نشترى اللبن ولو كان مغشوشا لانه طعام الاطفال الذين لا يستغنون عنه بأى طعام آخر . وكذلك دقيق القمح اذا خلط بدقيق الذرة أو البطاطس لا يؤذينا فى صحتنا ولا يمكن الاستغناء عنه . ولكن يمكن كلا منا أن يستغنى عن الاطعمة المكبوسة أو الزبدة الصناعية والحلويات المختلفة فانها تضر صحتنا وصحة أطفالنا كما تضر جيوبنا ؛ وهذا مع اننا يمكننا أن نستغنى عنها جميعها بما تخرجه بلادنا من الاطعمة الطازجة

الفنون الجميلة عند الفراعنة

لو اهتدى القارىء الى كتاب من كتب الفن التى ألفت قبل خمسين سنة لما وجد فيه عن مصر الا ذكراً ضئيلا وكلاما مختصرا بجانب الاسهاب والشرح عن الاغريق والرومان . ولكن لا يمكن الآن مؤرخا للفنون الجميلة أن يكتب عن مصر بأقل أو أخصر مما يكتب عن الاغريق أو الرومان . وذلك لسببين : الأول وفرة المكتشفات المصرية القديمة التى فسحت الميدان لدرس الحضارة الفرعونية . والثانى تلك الرغبة الجديدة فى درس الثقافة باعتبارها مجهوداً انسانياً يشمل العالم كله ويحتم على المؤرخ أن يمد بصره الى جميع الاقطار والى أبعد الأزمنة فى التاريخ

وقد وجد المؤرخون الجزاء الحسن على أبحاثهم واهتدوا الى بدائع فى الفن المصرى اذا لم تتفوق على بدائع الفنون الحديثة فلا أقل من أن تساوى بها . وقد فتن العالم الاوروبى بتمثال الملكة المصرية نفرتيتى ورفضت ألمانيا تسليمه لنا وهى فى رفضها هذا اذا أغضبتنا من جهة فانها سرتنا من جهة أخرى لأن هذا الرفض هو اعتراف ضمنى بمجد الآباء وعظمة الفراعنة . ثم كان بعد ذلك اكتشاف قبر توتنخ أمون وما أخرج منه من تحف تبهر العين وتبهج القلب حتى لقد يسير الانسان بين ما يعرض منها الآن فى المتحف المصرى من أسرة وتماثيل وكراسى وزهريات وصناديق وحلى فيحسب انه ازهوة المعروضات وتلألؤها فى معرض حديث فى باريس

تمثال حاملة « القربان » من الامبراطورية الاولى قطعة

ودرس الفنون المصرية القديمة ليس سهلا كدرس الفنون الاغريقية أو الرمانية . فان هذه لا يتجاوز تاريخها أربعة أو خمسة قرون ولكن فنون الفراعنة لا تقل مدتها عن أربعين قرنا تحتوى على الصعود والهبوط والرقى والانحطاط . واذا قلنا « الفن المصرى » فنحن نعنى النحت لأنه هو

الغالب أما الرسم فكان شيئاً اضافيا لم يعن به الفراعنة . ويجب ألا ننسى أيضا ان الرومان والاغريق لم يعرفوا الا القليل جداً من الرسم لان عنايتهم انحصرت في النحت أى نحت التماثيل ونحت الاحجار على العموم للبناء وصنع الزهريات والانية كما كان الشأن عند المصريين

والنحت المصرى يرجع ارتقاؤه وانحطاطه الى أصل واحد وهو لزومه للدين، فهو قد نشأ من الدين واتخذ المسحة التقريرية لان التمثال أراد قبل كل شيء أن يضع تمثالا يشبه الأصل الانسانى على قدر الامكان حتى لا تضل الروح عندما ترجع فاذا لم تجد الجثة (المومياء) وجدت التمثال وعرفته . أو هي قد تستدل بالتمثال على الجثة . فالغاية الأصلية من النحت دينية . واستطاع المصريون أن يتقنوا الشبه بين الأصل والنسخ لهذا السبب حتى اننا نرى الآن من تماثيلهم المنحوتة من الصخر ما لا ينقصه سوى الكلام لكي تنبعث فيه الحياة.

ومن أغرب ما تدلنا عليه تماثيلهم وحدة السلالة التى نبتنا نحن وهم منها . فهذه التماثيل اذا كانت صورة لقدماء المصريين فهي أيضا صورة لأبناء مصر الحديثة . فان نفرتيتى نموذج لفتيات كثيرات من المصريات اللواتى نراهن الى الآن والعامل المصرى القديم لا يختلف أى اختلاف من العامل المصرى الحديث . وبذلك نعرف أننا مازلنا فراعنة بالدم والملامح والقامة واللون

ملعقة مصرية يد مزخرفة من طيبة

ملعقة مصرية يد مزخرفة من طيبة

ولكن كما ارتقى الفن المصرى عن سبيل الدين كذلك انحط عن هذه السبيل لان الدين بطبيعته تقليدى وهو قبل كل شيء تراث الآباء . واذا كان التجديد شاقا فهو أشق فى الدين بل هو غير ممكن بدون ثورة . وهذا ما حدث أيام اخناتون فانه جدد الفنون بعد أن جدد الدين . ولكن ثورته لم تجد التربة الصالحة لكى تعيش فعاد الدين كما كان وصار التقاليد المكانة الأولى فى الفنون. وصار المثال أو الرسام يجرى على العرف الذى تسلمه من الجدود ولا يحيد عنه . ونحن نرى هذا العرف واضحاً فى الرسوم . أما التماثيل فقد بقيت مدة طويلة وهى تقريرية يراعى فيها الأصل الطبيعى قبل أن يراعى العرف

والعمارة المصرية القديمة من أعظم الفنون التى برع فيها المصريون ونقلتها عنهم الأمم الأخرى .

فهم الذين اخترعوا العمود صنعوه أولا على هيئة جزع النخلة وزينوه باللوتس وقد وجدت أعمدة في اليونان تنتهي بعراجين النخل . ولما كان النخل من النباتات التي لا تنبت في اليونان فقد استنتج المؤرخون أن الأغريق نقلوا العمود عن مصر وتعلموا العمارة منهم

أما صياغة المعادن أساور وأقراطا وعقوداً فقد برع فيها المصريون وإلى الآن نرى مصوغاتهم في المتحف المصري فلا تختلف كثيراً من المصوغات التي تباع للفلاحات في عصرنا . وهذا يدل على أن الصائغ المصري قد تسلم هذا الفن بالتسلسل عن صاغة المصريين القدماء فلم يحد في الذوق أو الصنع عن الطرق التي اتبعوها . وقد صنعوا أكواباً وآنية وزهريات من المرمر الشفاف الذي يسمى الألبستر الذي كانوا يجلبونه من المنيا . وهذه صناعة قد نسيناها

تمثال رجل من الدولة الرابعة

الفرصة

بقلم المسز اسكويث أرملة المستر اسكويث أبي اللورد اكسفورد
رئيس احدى الوزارات البريطانية السابقة

عندما تأمل تجد أن الفرص تتصف بالصفات الانسانية ولها حياتها الخاصة . وهي أحياناً تملقنا وأحياناً تعزينا ، ولكنها لا تأمرنا ولا ترجونا . ثم هي لها محابها التي تميل اليها ، ومكارهها التي تتجنبها . ومن الناس من يبالغ فيقول : ان لها من الناس صنائع تحابيهم . وليس شك في دقة احساسها إذ هي لا تصفح عن ذلك الذي يرفض تقدمتها . وكثيراً ما تعجبت وتساءلت : لماذا لا تكون علاقة الناس بالفرص أقرب وأوثق مما هي في العادة ؟ وقلما يمضي يوم دون أن ترى أحد أصدقائك يهمل الفرص أو يتهكم بها بدلا من أن يتوخى صداقتها ويرجو اجتذابها



المسز اسكويث

ومن الانصاف أن تقول أن الفرصة قد تعرض في هيئات مختلفة تتنكر فيها فلا يسهل التعرف اليها . ومن الناس من يعرف ضعف بصره فلا يكلف نفسه النظر . ومنهم من يرفض الانتظار والترقب ولكن معظمهم يعتقد أن ما عرفوه من الفرص كان يجري مع الهوى ولا يستقر على حال

٭٭٭

ليست الحياة سلسلة حوادث تتوقف على أحجار النهار . وهذه الفرص لا تزورنا جزافاً واعتباطاً . فانك إذا دققت في نظرك لم تلبث أن ترى أن للطبيعة مواعيد معينة ، وأن الحوادث تنسرد في سلسلة لا تدل فقط على الترتيب ؛ بل على القصد الالهي الأسمى

كنت مرة في كلية باليول قبل أن أتزوج فسمعت على العشاء زائراً يتحدث فيقول : « لقد

أيحث هذا العام وأنا غير مختار . ولعنة الله على إذا نزلت وسابقت فى ميدانه »

وسألت الدكتور عنه فقال لى : « انه رجل أضاع كل فرصة عرضت له »

وقد فكرت وتأملت وفتشت فى الأسباب التى قادته إلى ذلك ، هل هى نقص فى احساسه أو جمود فى مزاجه ، أو قلة حزم فى أخلاقه أو ضعف فى رأيه ؟

.... ولكنى لا أعتقد الآن أن القدرة على تعرف الفرص والانتفاع بها يتوقف على أحد هذه الأشياء . وإنما هى تتوقف على الصفات الذاتية للشخص ونظره إلى الحياة . وهذا النظر نفسه قادر على الخلق والنمو بما يستمده من الضوء عند ما يتوجه الانسان بنظره نحو المرآة الصافية للقدرة الالهية .

ولست فى حاجة هنا الى أن يكون لك مذهب خاص بل لن تحتاج الى أن تكون دينا . ولكنك سواء آمنت أم لم تؤمن فليس لك مفر من الايمان بأن الله يجىء ظلمنا ايماننا . وهذا الله لا يظهر نفسه للباحثين عن الارواح بالنقر على الموائد وانما يتجلى لنا فى الفرص العارضة التى لا ننشدها . تلك الفرص التى تعرض لنا فلا نستطيع أن نرفضها والتى لا يكون الحظ فيها الا نصيب ضئيل

والاغلب أن الفرصة التى نهملها ولا نلتفت اليها تخطر لنا خواطرها وتبعثر فى ذاكراتنا . وهنا يقول روسكين : « ان الفرصة أشياء حساسة اذا ماصددت عنها لاول قدومها فيندر أن تلقاها مرة أخرى »

ولست أوافقه على قوله هذا . فانى أجد أن من دأبها أن تعود وعودتها برهان على صحة نظريتى وهى أن للفرص كيانا مستقلا لا شأن له بجمود الناس وغفلتهم

ومن الكلام المألوف ماتسمعه من حديث الشيوخ حين يحسدون الشبان على مالديهم من الفرص وان الشاب مهما أضاع منها فان الوقت يتسع أمامه لكى يستجم ويعد نفسه بالمثابرة لما يعرض منها فى المستقبل . ولكن الواقع انا كلما تقدمنا فى السن زادت معرفتنا بهذه الزائرة ولذلك فانا نستطيع عندما نلقاها أن ننتهزها . أما الشبان فلا ينتظر منهم أن يصادفوها فان اختباراتهم قليلة وليس لهم جلد الشيوخ المسنين

.... وحولنا من الفرص ما يستطيع كل منا أن يغتنمها اذ هى تزورنا فى أوقات معينة وأحيانا على انتظار وترقب . ففى آخر العام نشعر كان طارقا يطرق أبوابنا طرقات متكررة فنعتزم كلنا عزائمنا للعام الجديد . واليوم الاول من العام الجديد هو فرصة يجب أن نحتفل بها اذ هو يبشرنا بأن معارك السنة الماضية قد انتهت . وكما أن لعيد الميلاد هدايا كذلك للسنة الجديدة فرصها . وسواء رفضنا السنة الماضية أو انتصبنا بالصلاة للسنة القادمة فانا لن نجد من الفرص رفضا واباء اذا نحن تلقيناها بالتحية والتشجيع والتعرف

ناحية من نواحي الحياة المصرية

في منخفض الواحات الخارجة

الحق ان دراسة الجغرافيا قد تطورت تطوراً غريباً منذ بداية هذا القرن الاخير .. ، والحق أيضاً ان هذا التطور الاساسي في دراسة الجغرافيا لم يظهر بمصر إلا متأخراً جداً ، منذ سنين قد يجاوز عدها أصابع اليد المفردة .. في جامعتنا المصرية الفتية ، بنحوها الحديث من الدراسة العالية تختلف المباحث والعلوم

وقبلا كانت الجغرافيا دراسة « الرؤوس والخلجان » كما يسخر المثل الانجليزي ، أو هي كانت دراسة « أشكال سطح الكرة الأرضية » كما كانت تتحدث عنها مجموعة الكتب والتصانيف العربية في الجغرافيا الى عهد قريب .. . . فأما الآن فلم يعد كل ذلك من صميمها وروحها في شيء ولا غير شيء ، وانما هي قد غدت علماً حياً اجتماعياً يدارس « العالم الحي المتطور » من حيث ان حياة هذا العالم وتطوره ، نتيجة لازمة لاحتكاك الانسان بالطبيعة ، يؤثر فيها وتؤثر فيه

كثيب من الرمل تسفيه الرياح وقد يكسو القرية التي في طريقه حتى يطمرها

ثم لعل أظهر ضروب مباحث الجغرافيا الحديثة وأولاها بالعناية والدرس تلك التي ندعوها الجغرافيا الاجتماعية ، وهي التي تدرس الصلة والتأثير المتبادل بين الانسان والبيئة التي تحيط به .... وانه من هذه الناحية — ناحية الجغرافيا الاجتماعية — نحب أن نتحدث عن واحتنا الخارجة الآن

على اننا لا نحب أن نداخل الموضوع ، دون أن ندرس ضمن ذلك لفظ « الواحة » من حيث هو ، أو بالحرى مختلف الاسماء التي كانت تعرف بها هذه المنخفضات الصحراوية في عصور التاريخ المختلفة وما عسى أن يكون بين أسمائها والوظيفة العمرانية التي تؤديها من صلة وعلاقة .... إذ أننا نلاحظ هنا صلة قوية بين موقع هذه المناطق الجغرافي بما يفرضه عليها من وظائف عمرانية خاصة ،

وبين ما كان يطلق عليها من أسماء كثيرة متطورة مع تطور فهم الانسان لذلك الموقع وإفادته منه على ضروب مختلفة متحورة . فأما قدماء المصريين فقد كانوا يسمون واحتنا الخارجة . أتو ، « otu » ومعناها « المقبرة الرحيقة » . وهذه التسمية تفسرها قصة طبيعية تحكى ان « سيت » الذى قتل الاله اوزيرس « طارده الاله « هورس » الى المدينة فقط حيث قبض عليه وزج فى السجن ثم قتل فجاء اتباعه وحملوا جثته الى « مكان رحيق » ناء نائة وسط الصحراء هو واحتنا الخارجة ، حيث ينبغى أن تنفى جثث الأشرار والمبغضين من الآلهة والبشر

وقد تكون هذه التسمية وتلك القصة خير ما يمثل لنا كيف أن الموقع الجغرافى لهذه الواحات نائية بعيدة تحوطها الرمال والقفار . قد فرض على الانسان أن يرى فيها خير ما يصلح لأن يتخذ « منفى نائياً أبدياً » « ومقبرة مظلمة رحيقة » ... بل كيف ان ذلك الموقع لم يقصر فى تأثيره على الأمور الحسية وما عسى أن يكون من أوجه افادة الانسان مادياً من ذلك المنخفض ، بل هو قد تعدى ذلك الى معتقدات القوم وأقاصيصهم الدينية أيضا .. فكانت نشأة هذه القصة الدينية البديعة وكانت نشأتها فى مدينتى طيبة وقفط دون غيرهما من المدن المصرية ، إذ كانتا أقرب بلدان وادى النيل الى هذه الواحات . وإذن فليس غريبا أن نرى جماعة الجغرافية المحدثين ، وعلى رأس مدرستهم « فابرى » و« برهن » و « فيدال لابلاس » يشددون فى تفسير وقائع التاريخ ومظاهر العمران بحقائق الجغرافيا وعوامل البيئة الطبيعية ، إذ هذه الأخيرة تسن للانسان طريقه فى الحياة ، بل وتقدم اليه قالبها الخاص يصب فيه أعماله ومظاهر مدنيته وعمرانه .. بل نحن نرى فى الواحة الخارجة مثالا طيبا لما اقتضاه « الحتم الجغرافى » من أن تكون تلك المنطقة ملجأ أو منفى يأوى أو يزج اليه جماعة المضطهدين والمطرودين ومن طوحت بهم الحياة ونظم الحياة

فمن هذا المنخفض البعيد يتحدث زوزيمس Zosimus الكاتب الرومانى فى كثير من الشعر والخيال إذ يقول « الواحة الكبرى (الخارجة) جزيرة نائية وسط الصحراء لايستطيع من أرسل اليها أن يفلت أو يلجأ الى الهرب فى طريق صحراوية قاحلة غير مأهولة ، لا تبقى السوافى بها أثرا لاقدام البشر . ولا تقوم بها شجرة أو بيت يهدى سواء السبيل » ..... ومع ذلك فهذا الحديث الأدبى كثير الخيال قد لا يكون غريبا أن نرى فيه صورة جغرافية ناطقة تفسر لنا كيف أن المركز الجغرافى لمنخفضات صحرائنا الليبية بعيدة نائية عن الحياة والحركة بوادى النيل ، لم يجعل منها منفى صالحا للثائرين والمضطهدين ليس غير ، وانما جعل منها كذلك وقبل ذلك ملاجىء صالحة للرهبنة والانزواء فى الصوامع والأديرة ، حيث يستطيع الزهاد التعبد لله بعيدا عن الحياة والأحياء

والحق والواقع المعقول ان نظام الرهبنة والأديرة انما قام بمصر منذ عهد الفراعنة وليس مطلقاً منذ بداية دخول المسيحية الى مصر كما يحاول أن يؤكد فريق من المؤرخين . . . فالمصريون الاقدمون قد ابتنوا الصوامع والاديرة بمنخفضات صحرائنا الليبية فى واحة آمون وغير واحة آمون ، لهذا كان أوائل أبناء المسيحية فى مصر قد ابتنوا الاديرة و ركنوا الى الانزواء ، فانما هم فى الواقع

يسايرون ما بدأه أجدادنا المصريون من قبل . . . وكان طبيعيا أن يخضع الرهبان الجدد للحتم الجغرافى ، فيلجأون الى نفس الاديرة والواحات التى التجأ اليها آباؤهم من قبل

وإذن فقد دخلت المسيحية الى مصر قبل أن يعرف أبناؤها شيئا عن الرهبنة وحياة الصوامع والاديرة ، ولكن البيئة المصرية أخذت تكيفها بما تشاء وتسمها بالميسم المصرى الفرعونى ، فظهرت حياة الرهبنة بشكلها المعروف لأول مرة فى المسيحية بواحات مصر إبان القرن الثانى للميلاد . ثم جاء بعد ذلك عصر الشهداء فى نهاية القرن الثالث حين كثرت الاضطهادات واشتدت وطأة الوثنية الرومانية على المسيحية الاريانية المصرية ، فكثرت تبعا لذلك حياة الرهبنة ، وازدحمت الواحات - وأكبرها الخارجة إذ ذاك - بالرهبان والقديسين أمثال مرامون واسنائيوس ونسطريوس ممن ابتنوا الاديرة وأقاموا المعابد والصوامع قائمة من غير شك على انقاض الاديرة المصرية القديمة بتلك المناطق . . . بل نحن قد نستطيع فوق ذلك أن نؤكد انه قد قام اذ ذاك غير هؤلاء القديسين قانعوا كذلك فى كثير من أديرة هذه الواحات لا لغرض دينى ولا رهبنى وانما فرارا من الاضطهادات السياسية والجندية الاجبارية والضرائب الفادحة والظلم وشدة الحياة تحت نير الرومان . . وهكذا أينعت فى هذه الواحات رهبنة ، سياسية ، ورهبنة ، مدنية ، الى



شارع مسقوف فى قرية بولاق فى الخارجة

جانب الرهبنة الدينية . . وكان ايناع هذه جميعها تابعا لاضطهاد الحكام وظلمهم بالريف كثرة وقلة . لذلك كنا نرى عمران الاديرة والواحات لا يساير وتيرة واحدة ، بل هى تارة تعمر وتزدحم باللاجئين وأخرى تهجر وتخرب فلا يبقى بها غير من أخلص لديره وصومعته وتعشق حياة العزلة والوحدة والانفراد . ثم اذا كان الاسلام قد قضى على الرهبنة فى هذه الواحات فانما هو قد قضى على نوع واحد منها هو الرهبنة الدينية . . . فأما النفى والرهبنة السياسية والمدنية فقد بقيت ولا تزال الى الآن . ولقد كان العهد التركى وعهد المماليك من أزهر عصور هذا النفى وهذه الرهبنة السياسية ، فكانت الواحات وأخصها الخارجة ملجأ للمغلوبين والمطرودين ومن طوحت بهم نظم السياسة والحكم ، ونظن اننا لا نزال نذكر التجاء مراد بك مملوك مصر الى الواحة الخارجة حين طاردته الجيوش الفرنسية

الى الصعيد ، وهناك أخذ يستعد فى هدوء وأمان ليعاود الغزوة والهجوم من جديد . . . بل نحن لا نزال نذكر ثورتنا المصرية الاخيرة عام ١٩١٩ حين نفى نفر من الثائرين المصريين الى قرية المحاريق بالخارجة ، حيث احتبس ذلك النفر بعيدا عن الثورة المصرية بوادى النيل

وإذن فنحن الى هنا نستطيع أن نستبين كيف أن المركز الجغرافى لتلك الواحات بقى كما هو لم يتغير ، ولكنه لعب دوره التاريخي فى حياة مصر الدينية والسياسية ، منذ بداية التاريخ المصرى حتى عهدنا هذا الذى نعيش فيه. على أن النفى والرهبنة لم يكونا كل ما تستطيع الواحة الخارجة أن تقوم به فى التطور العمرانى من الحياة المصرية، وانما كان لموقعها خضراء ناضرة وسط الرمال الصحراوية القاحلة ، على طريق التجارة والحج بين الشمال والجنوب والشرق والغرب . . . كان لذلك قيمته وأثره التاريخى بما لا يقل عما رأينا للنفى والطرد والرهبنة دينية وسياسية

فمن هذه الصحراء الليبية وواحاتها الناضرة يتحدث استرابون فيقول : « هذه القارة الليبية كأنها جلد الفهد ، توشى سطحها الاصفر بقع خضراء منثورة هنا وهناك ، كأنها الجزائر وسط بحار من الرمال . . . تلك هى الواحات مهبط الرحمة ومهد الحياة بقلب الصحراء » . . . ونظن أن فى الوصف صورة جلية تبين كيف ان عناصر الحيوية بهذه الصحراء انما تنحصر جميعها فى هذه الواحات المنثورة بين أرجائها هنا وهناك ، بل كيف انه لم يكن فى مكنة الانسان أن يجازف بحياته وسط هذا المحيط من الموت والفناء لوجود هذه الجزر الحية الناضرة » . . . تلك التى كان لها دورها التاريخى الظاهر فى التطور العمرانى للحياة البشرية بصحرائنا الليبية ، والاتصال التجارى ما بين اقليم البحر المتوسط فى الشمال والاقاليم السودانية والاستوائية فى الجنوب ، ثم فى انتقال الحجاج عبر الصحراء من بلاد المغرب عن طريق الواحات الجنوبية الى سواحل البحر الاحمر فالحجاز المقدس كما هو معروف . . . ولقد كان لكل ذلك أثره أيضا من حيث ظهور تسميات جديدة أخذ يطلقها اليونان فالرومان فالعرب تباعا على هذه المنخفضات . . . فأما اليونان فكانوا يسمونها فى أواخر الحكم الفرعونى « جزر الرحمة » كما ذكر هيرودوت فى تاريخه عن مصر الصحراء وأما الرومان فكانوا يطلقون عليها « oases » وهى لفظة هيروغليفية معناها « محطة الاستراحة » حتى اذا ما جاء العرب أسموها « واحة » عن لفظة قبطية هى « wah » ومعناها « المكان المعمور » ونظن اننا لا نزال على هذه التسمية الاخيرة حتى الآن

على أننا الجغرافيين يهمنا من كل ذلك أننا نستطيع أن نحكم بأن هذه الاسماء والتعاريف الكثيرة المتطورة لهذه المنخفضات الليبية ، انما كانت كلها ترجع إلى أساس جغرافى وظروف طبيعية ، تميز هذه المنخفضات عما يحيطها من رمال سافية وما يضمها من بيداء موات . . قد زادت حاجة الانسان بالتدريج إلى اقتحامها وقطع فيافيها إلى ما يكتنفها من الاقطار ، فكانت هذه الواحات خير محطة للرحالة فى سفر شاق يحيطه الموت ويأخذه الفناء من كل جانب . . . فلا عجب مطلقاً أن يكون اليونان فالرومان فالعرب قد اطلقوا على واحاتنا تباعا ما معناه « جزر الرحمة »

« ومحط الاستراحة » ، « والمكان المعمور » . . فالموقع الجغرافى الذى أوحى إلى قدماء المصريين فى طيبة وقفط أن يدعوا واحاتنا الخارجة « أتو » ، هو بعينه الذى أوحى إلى اليونان والرومان والعرب بتسمياتهم الجديدة . . وغاية ماهناك أن المصريين نظروا إلى الواحات على أنها مكان صالح للنفى ومقبرة لجثث الشياطين والاشرار من البشر بعيداً عن الكنانة المقدسة بوادى النيل ، فى حين أن الآخرين نظروا اليها على أنها مهبط الرحمة ومحط الاستراحة بقلب الصحرا.

ooo

ثم إلى هنا ونحب أن ندع جانب التسمية ومختلف الاسماء . لننظر وظيفة أخرى كانت ولاتزال تؤديها واحتنا الخارجة فى حياة مصر العمرانية ، من حيث أنها مصرف طبيعى لعشرات الآلاف من السكان يعيشون بها على الزراعة واستغلال معادن الأرض

وهنا نرى عنصر الحياة فى ذلك « السائل الكريم » الذى يصدق فيه قول المثل الفارسى المعروف « ان الماء أصل الحياة وينبوع العمران » . . . إذ هو فى الواقع علة وجود الانسان بل الحياة كلها انسانية وحيوانية ونباتية بقلب الصحراء . . ثم هو فوق ذلك يكيف جل مظاهر الحياة العمرانية ويطبعها بطابعه الخاص مما نحب أن نتناول تفصيله بعد قليل

ولعل خيراً أن نحاول الآن أن ندرس مصدر هذه المياه الارضية المتسربة إلى منخفضات الصحراء . . ما أصلها . . ؟ وما مصدرها . . ؟ ثم ما طريقها الذى تسلك إلى هذه المنخفضات . . ؟

وهنا نعرض لمسألة طال جدل الباحثين فيها منذ بدأت دراستنا العلمية الحديثة للصحراء فى أواخر القرن المنصرم وقد تكون اطالة وأطنابا أن نحاول أن نستوعب مختلف الفروض الخاصة بمصدر هذه الحياة ، ولكننا نجتزىء من ذلك بعرضين اثنين أو ثلاثة

فأما أولها فذلك الذى يقول أن هذه المياه الصحراوية مصدرها مياه وادى النيل نفسه . فنحن نعلم أن هذه المياه الأرضية انما تتسرب إلى الواحات خلال طبقات الاحجار الرملية التى يعرفها الجيولوجيون بالخرسان النوبى . ثم نحن نعلم كذلك أن النيل يقطع هذه الطبقات الخرسانية المسامية فى المنطقة التى يمر فيها ببلاد النوبة . . . واذن فليس غريباً أن يكون أقرب الفروض إلى الحس ان نقول أن مياه النيل تتسرب خلال هذه الطبقات فى هذه المنطقة النوبية فيما يلى جنوب مصر من شمال السودان ، ثم تنحدر إلى هذه المنخفضات الصحراوية حيث تتدفق فى عيونها وآبارها مجرية على الأرض البركة . وضاربة على الاديم مسحة خضراء . جعلت للواحات كل مايميزها عن صفرة الصحراء . ومع كل هذا فليس دواماً أصح الامور أقربها إلى الحس ولا أدناها إلى الظاهر المعقول ، بل قد يكون ذلك أبعدها عن الحق وأجرها إلى الغواية والتضليل . . . فالنيل وان كان يقطع طبقات الخراسان النوبى فى منطقة بلاد النوبة ، ثم ان كانت كميات غير قليلة من مياهه تتشربها كذلك هذه الطبقات ، فانا لايمكن أن نحكم بأنه مصدر مياه واحاتنا الليبية ، ولا أنه أصل الحياة بها كما هو الحال بوادى مصر الخصيب

فلهذا النيل فى جريانه دورتان متمايزتان كل التميز ، هما فصل الفيضان وفصل التحاريق ، واذن فلا بد أن يكون تشرب طبقات الخراسان النوبى لمياهه متبايناً كذلك بين هذين الفصلين ، ثم إذن فلا بد لمياه واحاتنا الليبية — ان كان مصدرها النيل — أن يكون لها فصل زيادة وتدفق يتبعه فصل غيض وتحاريق . . . وهذا ما لانراه مطلقاً فى آبار واحتنا الخارجة وغيرها من الواحات حيث التصريف العام لكل مجموعة منها ثابت لايتغير لاخلال فصول السنة الواحدة ولا بين مختلف السنين . . . فليس معقولا أن يعتبر ذلك النيل المتذبذب فى فيضانه وغيضه أصلا لمياه واحاتنا الثابتة غير المتغيرة . . بل لابد أن نبحث لهذه عن مصدر آخر أكثر ثباتاً وأقل تغيراً وذبذبة وهنا ظهر رأى جديد يقول أن أصل هذه المياه الارتوازية الصحراوية فى منطقة فروع النيل الغربية فى جنوب السودان ، وأخصها مستنقعات بحر الغزال حيث المطر كثير فى غالبية السنة وحيث المستنقعات دائمة لاتكاد تجف طوال العام . . ولقد جاء وقت كانت فيه لهذا الرأى حججه وقوته وانصاره ومجندوه . إذ أن بعض الآبار بالصحراء دافئة الماء ، فكان معقولا أن تكون مياهها قد قطعت مابين مصدرها بجهات بحر الغزال ومتصرفها فى واحاتنا الليبية ، مسافة طويلة تحت ضغط كثير من الطبقات السميكة . مما يكسبها الدفء والحرارة

على أن هذا الرأى الأخير أخذ يضعف وتجرح حججه خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة حين زادت عناية مصلحة المساحة الصحراوية بهذه الصحراء . وقياس ارتفاعات نجادها وتلالها وانخفاضات وهادها وأحواضها . وعلى الخصوص فى نهاية أيام الحرب حين ظهرت الحاجة ماسة الى زيادة دراسة أحوال آبار الصحراء تسهيلا لاجتيازها وربطها بالسلطة الحاكمة المركزية فى وقت أخذت تظهر فيه حركات سنوسية ثورية فى هذه الواحات وحول تلك الآبار . ولقد كان من نتائج هذه الدراسات الدقيقة أن تبين أن ليست كل هذه الآبار الارتوازية على العمق الذى كنا نتصوره ، بل ظهر أن بعضها من أمثال بئر « مرجه » وغيرها على ارتفاع قد يزيد على الخمسمائة متر فوق سطح البحر . ومعنى ذلك أنها لاتكاد تزيد فى ارتفاعها على مستوى ارتفاع حوض بحر الغزال . واذن فليس معقولا ولاحقاً أن نفترض أن مستنقعات بحر الغزال ، رأس عالية ، يمكن أن تنحدر منها مياه أرتوازية خلال الطبقات المسامية الى آبار واحاتنا الليبية التى ظهر من دراسة بعضها أنه يكاد يفوق هذه المستنقعات من حيث الارتفاع فوق سطح البحر .

ومنذ نهاية الحرب الاخيرة أخذت أنظار الذين يدرسون الصحراء تتجه نحو افتراض جديد أقرب الى الحق والمعقول . هو أن مياه هذه الواحات انما تنحدر اليها من مرتفعات « عرضى » « وعنيدى » . تلك التى تكون الحافة الشمالية الشرقية لمنخفض بحيرة تشاد بالصحراء الفرنسية ولقد أثبتت بعثة « تلهو » Tilho بعد الحرب أن كمية المطر النسبية بهذه المرتفعات وفيرة وأنها فوق ذلك موزعة توزيعاً لابأس به على كثير من أشهر السنة . ثم أن طبيعة الارض نفسها مسامية الى حد كبير ، حتى أن جميع الامطار تتشربها أحجار الخراسان النوبى التى تكون سطح القشرة هناك

ومن هنا لانرى أثرا للاشجار والنبات بل ولا للحشائش الرخصة الطويله . وكل ما يكسو أديم الارض انما هو هشيم جاف وحشائش محترقة لاتصلح إلا مرعى قليل من الأغنام

وفوق ذلك فارتفاع هذه المنطقة يزيد على ١٤٠٠ مترا فوق سطح البحر ومن هنا فهى صالحة لان تعتبر بحق « رأساً » عالية تنحدر منها مياه آبارنا الارتوازية خلال طبقات الخراسان النوبى الممتدة من هذه المرتفعات حتى منخفضات صحرائنا الليبية ظاهرة على سطح الارض فى الجنوب ثم مغطاة بطبقات أخرى جيرية حديثة كلما اتجهنا نحو الشمال

ومع كل هذا فسواء أصح هذا التفسير أم غيره عن مصدر مياهنا الصحراوية . فالثابت الذى لاجدل فيه ولا حوار أن الماء هنا أصل كل حياة وينبوع كل نشاط انسانى ، ولقد كان كذلك خلال كل مامضى من أدوار التاريخ وماقبل التاريخ ثم هو سيبقى كذلك فى المستقبل على الدوام

فكمية المياه المتدفقة فى عيون واحاتنا المختلفة مقياس دقيق لمقدار حركة العمران البشرى بكل من هذه الواحات بل أن الماء كان ولايزال أساس نظام الملكية بين سكان الواحات ، حيث لاتقاس الملكية بالمساحات وانما بكميات المياه وعدد العيون والآبار التى يتصرف وينتفع بها الفرد . ثم هذه الضرائب الحكومية نفسها لاتفرض الآن على الافدنة ولا على المحاصيل ، وانما على كمية الماء التى تقاس بالقراريط ، والتى يدفع عن كل قيراط منها نصف جنيه مصرى فى كل عام فى حين أنه يكفى لرى بضعة فدادين ذلك أصل ماء الصحراء . وقياس متصرفه وتقديره بالقيراط على طرائق قديمة متوارثة بخاما الافادة منه وتنظيم استغلاله فقد كانت دائماً أدق مايمكن أن يكون . حتى أننا لانكون مبالغين اذا ماقلنا أن هذه الواحات كانت حقلا صغيراً تعلم فيه الانسان الزراعة الدقيقة المنظمة حيث يستدر الفلاح كل مايمكن أن تدره قطرات هذا « السائل الكريم » أصل الحياة والعمران ، بل إننا نستطيع أن نؤكد أن مصر نفسها بوادى النيل ليس بعيداً أن تكون قد أخذت غير قليل من نظم توزيع مياهها عن هذه الواحات ، واقرب ذلك الينا نظام « المناوبات » الصيفية الذى لايزيد كثيرا عن نظام (الواجبات) الذى كان يوزع الماء بين ملاك البئر الواحدة بالواحات منذ آلاف السنين

ومن الغريب أن نلاحظ أنه على قدر تنظيم مياه العيون ، وتحسين وسائل الافادة منها فى مختلف أدوار التاريخ كان تقدم الواحة فى بعض العصور وتأخرها فى البعض الآخر ، واذا كان عصر الرومان يعد بحق عصر الواحة الخارجة الذهبى فماذلك إلا لأن هؤلاء كانت لهم خير الوسائل لاستغلال كل عيون الماء وتوزيع مياهها على أحسن ما يكون . ويخطئ أولئك الذين ينسبون تقدم هذه الواحة اذ ذاك الى زيادة كمية المياه الطبيعية عنها فى العصور التى تلت ذلك إذ البحوث والدراسات الحديثة لمياه الصحراء قد أثبتت أنها فى مجموعها لم تتغير من حيث كميتها العامة منذ أيام الفراعنة حتى عصرنا الحالى

وإذن فاذا نحن أردنا أن نستشف مستقبل واحتنا الخارجة من حيث تقدمها وسيرها الاقتصادى فينبغى أن ينظر ذلك من ناحية تنظيم المياه وتوزيعها بشكل أوسع وأتم وأكثر دقة وهذا النظام وحده

على أننا لانحب أن نتعمق فى هذا الامل الى النهاية ، كما تفعل جمهرة المتفائلين من المتحدثين عن هذه الواحة الخارجة حين يستدلون على امكان اصلاحها اصلاحا عاماً شاملا ، بوجود هذه الآثار الكثيرة المنثورة بها فى كل مكان ثم وجود آثار كثيرة لحقول قديمة لابد أنها كانت سثيرة الزرع والانتاج فى أزمنة ماضية بعيدة أوقريبة ، ثم اعتراها الاهمال فالبوار والخراب

فأما الدليل الأول — قيام الآثار — فانا نأخذ به ولا نعيب عليه ، اذ لاشك مطلقا فى أن الواحة الخارجة كانت أيام الفراعنة والرومان أيسر وأنضر منها فى عصرنا الأخير الغربى ، وحسبك دليلا على ذلك مانراه من المعابد القديمة فارسية وبطلسية ورومانية . تحلى جدرانها رسوم كثيرة تبين القرابين والهدايا يقدمها أهل الواحة الى الآلهة والملوك دالة على سعة من الرزق و بسط من اليسير . فى حين أنا فى رحلتنا الأخيرة طفنا قرية الخارجة أم قرى هذا المنخفض ؛ فلم نجد من المعابد ألا مسجداً واحداً خرباً عارى السقف . حاول أهل القرية إقامته وحال الفقر دون تمام بنائه وعمارته فتركوه كما هو لا يكفى ضرورة ولا يشبع حاجة ، فى حين أنهم لا يقلون الآن تمسكا بدينهم وعادتهم عنهم فى أيام البطالسة أو الرومان

واما الدليل الآخر الذى يحتج به جماعة المتمدنين عن اصلاح واحتنا هذه ، فهو الذى يعتد بكثرة الحقول المهملة والتى لا تزرع الآن على أنها خير ما يدلل على امكان مضاعفة أرضها الزراعية عشرات المرات ...... وهنا ما لا نحب أن نأخذ به أو نعتد بقيمته ، إذ الواقع أننا نلاحظ أن آبار الواحة كلها تتصل بينبوع أرضى واحد ، هو الطبقة المائية السفلى التى تغذى كل العيون والآبار ، فاذا ما حفرت بئر جديدة يتفجر ماؤها على حساب ما يجاورها من الآبار .... ولقد كان الانسان دائما متطلعا يسعى الى كل جديد فكان يحتفر فى كل يوم غير قليل من الآبار والعيون الجديدة ، دون أن يكلف نفسه مؤونة إصلاح آباره القديمة التى ردمتها الرمال وسدت عيونها مفتتات الصخور ومن هنا كانت الآبار فى تنقل دائم ، وكانت الحقول تابعة لها فى هذا التنقل . ومعنى ذلك ان هذه الحقول الكثيرة الفسيحة المهملة المنخفضة فى واحتنا الخارجة لم تكن مطلقا مزروعة كلها فى زمن واحد ، وانما كانت متعاقبة يرث بعضها البعض الآخر . فلا يمكن أن نستدل منها على كثرة مياه الواحة واتساع أراضيها الزراعية فى عصر من العصور

ومع كل هذا فنحن إذا كنا لانجارى جماعة المتفائلين إلى النهاية فانا مع ذلك لاننكر أنه سيكون فى الامكان اصلاح واحتنا الخارجة فى المستقبل إلى كبير .. بحيث أنا نستطيع أن نتنبأ منذ الآن أنها ستكون مصرفا لعشرات المئات من سكان وادى النيل الزائدين .. فهذا المنخفض الصحراوى لايكاد سكانه يعدون تسعة آلاف ولكننا نؤكد أنه سيكون فى امكانه أن يعول عشرة أمثال هذا العدد من السكان إذا استطاعت حكومتنا الرشيدة أن تتابع ما بدأته من اصلاح

عا أن احتفار الآبار وتنظيم مياهها ثم ما تبع ذلك من اصلاح الارض وإزالة أملاحها ، ليست

قيمة وأثره فى مثل هذا الاصلاح ، هو ادخال أنواع جديدة من المحاصيل إلى هذه الواحة النائية . وأخص ذلك أشجار الفاكهة والزيتون مما يلائم البيئة والمناخ ويحتمل الجفاف وشدة الحرارة . ثم اصلاح النخيل واتقان وسائل الافادة من تمر هذه الواحات على أحدث ما يعرف من طرق « التعليب » ووسائل « الحفظ » ... بل قد سمعنا محافظ هذه الواحات الجنوبية يقترح على الحكومة شراء كل محصول التمر والبلح — وهو قوام الحياة الاقتصادية بالواحة .. اذ فى ذلك كالقطن بوادى النيل — ثم تتولى هذه الحكومة من بعد ذلك الاشراف بنفسها على « تعليب » هذا المحصول أو « تجفيفه » بالوسائل العلمية الحديثة .. ثم تسهيل نقله الى مصر التى تستورد غير قليل من تمر تونس والجزائر والسودان وبلاد العرب والعراق

ومن هنا تظهر زيادة الحاجة — ان نحن أردنا الاصلاح — الى توثيق العلاقة وطرق الاتصال بين هذه الواحة ووادى النيل من جهة ، ثم بينها وبين بقية الواحات من جهة ثانية ... وهنا نحب أن نشير الى حادث قد يتغافل عنه الكثيرون ، ولا يلتفتون اليه ، ولكنه فى الواقع له أثره الثورى من حيث أنه سيحدث انقلاباً تاريخياً فى حياة الانسان بهذه الصحراء ... فلقد كان الجمل قديماً عدة الانسان وعماده فى قطع هذه البيداء والوصول الى واحاتها الغنية الناضرة ... أما الآن فقد جاءت السيارة الحديثة تقطع البيداء بسرعة تكاد تبلغ عشرة أضعاف سرعة الجمل ، فيستطيع الانسان بها أن يجوز المفاوز ويقطع فيافى الصحراء دون أن يحيط الموت بقافلة أو يأخذها الفناء من كل جانب ... فاذا كان دخول الجمل إلى الصحراء فى القرون الاولى بعيد الميلاد بمثابة انزال سفينة الشراع إلى شواطىء البحار ، فان ظهور السيارة بصحرائنا فى وقتنا هذا الاخير سيكون له تلك الثورة التى كانت لانزال سفينة البخار الى عرض المحيطات

أن أرض الواحة الخارجه بمائها وخصبها وغلاتها ومعادنها من الشب والزاج ، ميدان صالح لكثير من الجد والنشاط والاصلاح . وان الحياة بالصحراء شديدة قاسيه كثيرة الخطر ولكننا مع ذلك نأمل أن تستمر هذه الخطوات القليلة المباركة التى خطتها حكومتنا نحو الاصلاح . وانه بهذا الامل نحب أن نختم هذا الحديث عن واحتنا الخارجه ورحلتنا العلميه الجامعيه آملين أيضاً أن يثبت سكان هذه الواحه فى المستقبل أنهم سيكونون ، كما كانوا من قبل فى كل أدوار التاريخ خير مثل للقوة الانسانيه القائمه والنشاط البشرى المقتحم وأنهم خير من يطلب الحياة والانتاج بين موات الصحراء وعقيم الرمال

سليمان احمد حزين
خريج الجامعة وعضو بعثتها

ما للمرأة وما عليها

بقلم الأستاذ أمير بقطر

لا أظن المرأة فى العالم المتمدين ، فى حاجة الى من يأخذ يدها ويدافع عن قضيتها . فالعالم يمكن أن يدعى بحق ، فى هذا العصر ، عالم المرأة ، والمدنية مدنية المرأة ، والأزياء أزياء المرأة ، ومنتجات الصناعة للمرأة ، والمال للمرأة ، والسيارات للمرأة ، والحلاق ، والأوبرا ، ودار التمثيل ، والستار الفضى ، واللاسلكى ، والرقص ، والحلوى ، و« الفندرمة » ، والشكولاتة بأنواعها . كلها للمرأة ، والرجل والدنيا بأسرها لها

يقولون صاحبة الجلالة الصحافة ، وفى أميركا يقولون صاحب الجلالة الريال ، وصاحب الجلالة « الاوتوموبيل » ، والعالم كله يقول صاحبة الجلالة المرأة . هلم معى الى المخازن التجارية ، تشاهد نوافذها والسلع المعروضة فيها ، وأرنى نسبة ما للرجل فيها الى ما للمرأة . فى عيد الميلاد فى أميركا تجد فى نوافذ الحوانيت مجموعات كبيرة من التحف ، وتشكيلات ، من الهدايا ، كتب عليها بحروف مضيئة هذه الجملة : « هى تنتظر منك واحدة من هذه »

كنا منذ عهد قريب لا نشاهد فوق حوانيت الحلاقين فى مصر الا كلمة « حلاق » ، بغير نعت أو اضافة أو « رتوش » . أما اليوم فنقرأ كلمة « للسيدات » ، أو « للرجال والسيدات » . وفى أوربا تقرأ بخط كبير « للسيدات » ، وبحروف دقيقة ميكروسكوبية « وللرجال » ، وقد تسير عدة أميال ولا تجد حلاقا واحداً للرجال ، لأن عدداً كبيراً منها للنساء فقط . ولا بدع اذا يسرت حال الحلاقين وراجت بضاعتهم بعد الكساد الذى عاد وعلى أثر ظهور آلات الحلاقة للرجال ، ولا بدع اذا أغلقت مصانع الدبابيس التى كانت تشابك بها السيدات لشعورهن قبل القضاء عليها وجزها

قرأت مرة أن فتاة أميركية رفضت يد شاب طلب الاقتران بها ، بدعوى أن دخله السنوى لا يتجاوز خمسة آلاف جنيه . ولما عاتبها ذووها ، أجابت : « ان هذا المبلغ لا يكاد يكفى نفقات شعرى وتجعيده تجعيداً ثابتاً » (permanent wave)

هلم معى الى السيارات الجميلة فى أوربا وأميركا ، وفى مصر تقريباً . ألا ترى سكانها فى الغالب من الجنس اللطيف ؟ ألا يتضاعف عدد الذين يقودونها من السيدات ؟ لا تكاد تقرأ مجلة هزلية أجنبية ، الا وتجد فيها نكتة أو فكاهة أو صورة لامرأة تترنح بسيارتها ذات اليمين وذات اليسار . ان الاصل فى رواج السيارات ، سرعة المواصلات وقطع المسافات ، غير أن أكثر من

أحد الناقدين يوماً يقول أن تسعين فى المائة من الشبان لا يفكرون فى التنزه بالسيارات ، أو ارتياد المسارح والملاهى ودور السينما فى أوروبا وأميركا على الأخص ، الا اذا كانت المرأة تشغل المقعد المجاور

أتريد أن تعلم ان العالم المرأة ؟ تعال معى الى جامعة كبرى فى أميركا . هنا مئة وخمسون بناية ، فى عشرة شوارع كبيرة ، وقد خصص منها عدة بنايات لسكنى الطالبات . لنقف أمام بناية واحدة ، تسكنها خمسمائة طالبة ، لكل واحدة منهن غرفتها ، وقد يكون لكل غرفة حمامها الخاص وجهاز تليفونها . وليكن الوقت مساء السبت ، والمكان أمام عاملة التليفون . هنا تجد صفاً من الطلبة الرجال ، واقفين اثنين اثنين فى خط مستقيم أوله فى الشارع وآخره أمام غرفة التليفون الواقعة فى أقصى ركن فى الردهة الكبيرة . وكل من هؤلاء يسلم بدوره العاملة رسالة تبلغها فى الحال الى طالبته فى غرفتها ، بالتليفون ، ويجلس الشاب فى قاعة الانتظار الكبرى الفسيحة الى أن تجىء الطالبة فيصحبها الى دار السينما أو المطعم أو الملهى . ويتمثل هذا الدور من بعد ظهر السبت الى ما شاء الله . ولا يسع المنصف ، دقيق النظر ، الا أن يدهشه ما للمرأة من جلال واعتبار ، وعظمة ، واحترام ، فى خروجها ودخولها ، وجيئتها ورواحها ، وحركتها وسكينتها ، خصوصاً فى دور العلم العامرة ، فى الكليات والجامعات ، مما لا يكاد يصدقه شرقى

قلت مرة لصديق أجنبى : من الغريب أن الناس الآن يفضلون التفرج على السيارات ، ومعرفة طرازها ، والاعجاب بها ، أكثر من أى شىء آخر ، واذا صح لى القول . أن الشباب يحملقون للسيارات ويغازلونها ، بدلا من تسديد عيونهم الى السيدات ومغازلتهن . فابتسم صديقى وقال : انك مغرور يا صاح . ان العملية هى بعينها ، فان الرجل « يغازل » السيارة لأنه بواسطتها يتوصل لمغازلة المرأة . وهذه حقيقة تذكرها فى صراحة لا تحتاج الى حياء أو خجل

عاد أميركى من بلاده هذا العام وأخذ يقص على بعض التغيرات التى شاهدها هناك ، وقد قال فى سياق الحديث عبارة غريبة تمس جوهر موضوعنا ، وهى : أن الفتاة الاميركية منذ بضع سنوات كانت تفضل الزواج من شاب يقتنى سيارة ، أما اليوم فانها تؤثر الاقتران برجل يقتنى سيارتين . سمعت ذلك فقلت الحمد لله أن هذه البدعة لم تصل بلادنا المصرية ، والا لكان يرجع معظم شباننا بخفى حنين أو يعودون من « المولد بغير حمص !! »

ومهما قيل من عدم مساواة المرأة للرجل فى مصر ، فانها هى ربة الدار وسيدتها والمتصرفة فيها . قال لى صديق مصرى ذكى منذ عدة سنوات أنه يسافر الى احدى المدن المصرية فينزل ضيفا فى بيت أخيه . ويسافر الى مدينة أخرى فينزل ضيفا فى بيت أخته . وأردف ذلك بقوله : ولكننى أشعر بأنى غريب فى بيت أخى لأن زوجته غريبة عنى ، ولا أشعر بذلك فى بيت أختى رغم أن زوجها غريب عنى

والمرأة الغربية اليوم تأبى أن تبحث فى موضوع المساواة والحقوق لانها أصبحت قضايا مسلماً بها

والكلام فيها من قبيل تحصيل الحاصل . حدث منذ أسابيع قليلة أن محكمة أميركية حكمت على امرأة بالاعدام ، فثارت حول القضية ضجة هائلة ، واعتبر الحكم قسوة و وحشية لا يليق توقيعها على امرأة . ونشرت جماعة كبيرة نسوية قراراً حازماً ، كان المقرر أن يكون احتجاجا على الحكم شديد اللهجة . ولكن ما كان أشد دهشة الجميع حينما اتضح أن البيان معزز للحكم ، وقد جاء فيه : ان المرأة كالرجل فى الحقوق والواجبات ، ولا تقبل أن تعامل معاملة خاصـــة فى الاحكام ، فان الرأفة بها تشعر باستضعافها وهى قوية ، والاستخفاف بها وهى شجاعة ، واستجبانها وهى مستبسلة

وعلى هذا المبدأ يمتنع الرجال اليوم من اخلاء أماكنهم للسيدات فى القطارات والأماكن العامة ، وتركهن وقوفا . اللهم إلا فى حالة الكبر والعجز ، أسوة بالرجال . ولم تصل الحال عندنا طبعا الى هذا المدى البعيد ، ولكننا قادمون اليه تدريجيا ، رضى النـاس أم لم يرضوا ، شاءت العادات والتقاليد أم لم تشأ . لان أكبر العوامل فى تكسير هذه القيود ، وهدم هذه الحوائل ، التربية . وطالما نشر العلم ألويته ، سرت الينا الروح العالمية ، وتسربت الينا المدنية بجميع مظاهرها ووجوهها من أوربا وأميركا ، بفضل المواصلات السريعة ، الجوية والبرية والبحرية ، وبفضل الكتب ، والمجلات ، والجرائد ، والسينما ، واللاسلكى ، والتفكير المشترك الذى لا بد منه فى القرن العشرين ، والذى لامندوحة من سيطرته علينا رغم أنف كل مكابر ، ومحافظ . واذا كانت الامة اليابانية أول أمة شرقية أقامت فينا المثل الأعلى لتحرير المرأة ؛ وكانت ثانيها تركيا (وقد عين هذا الشهر فيها قاضيتان من خريجات مدرسة الحقوق) . فان مصر ستكون ثالثتها ان شاء الله

ونخاف (نحن الرجال) ألا يمضى زمن طويل حتى تدور علينا الدائرة فننادى بوجوب مساواة الرجل بالمرأة . فالمرأة تتحفز للوثوب فى كل مكان ولا تعبأ بوعيد الرجال وتهديدهم . وبهذه المناسبة أذكر أن قداسة بابا رومه أصدر عدة منشورات تمنع دخول النساء الكنائس وهن عاريات الأذرع . غير أنهن عمدن الى حيلة لطيفة تفادياً من تطبيق هذا المبدأ ، مع محافظتهن على الزى رغم الانذار . فقد شاهدت النساء من السائحات الاجنبيات والايطاليات على السواء ، على أبواب الكنائس الكبرى فى رومه وميلان و جنوا وفلورنسا والبندقية ، يخرجن مناديلهن الحريرية و يلففنها حول الأجزاء العارية . وبعد مشاهدة تلك الكنائس وما بها من تحف وتماثيل وصور فنية بديعة أو بعد حضور حفلات الصلاة ، يتقدمن نحو الابواب ، فلا يكدن يلففنها حتى ينزعن الدبابيس التى شبكت بها المناديل ويخرجن من تلك الأماكن المقدسة عاريات الأذرع كما كن

. . . . . .

لابد أن القارىء قد ادرك الان أنى لا أميل فى هذا المقال الى أن أبحث فى حقوق المرأة ، أو أتكلم عن المساواة ، فان حالة النفس فى هذه اللحظة التى أكتب فيها على الاقل ، تحملنى الى الناحية الثانية

من احتمال طغيانها فى المستقبل على مملكة الرجل، كما يطغى الرجل عليها الآن فى الاوساط الدنيئة والامم المنحطة

واذا أردنا الاجمال بادىء بدء، وجب علينا القول أن المرأة كالرجل لها أن تؤدى وظيفتها فى المجتمع الانسانى. تلك الوظيفة التى خلقت لأجلها، كما يؤدى الرجل وظيفته التى وجد لأجلها. وأول ما يحتمه هذا الواجب على المرأة ألا تكون عالة على المجتمع فى أية حالة كانت، إلا فى أحوال صحية أو اجتماعية أو غير ذلك

ومعنى هذا أن الفتاة متى أتمت دراستها وبلغت سناً معلومة، ينبغى أن تبحث عن عمل تقوم به سواء أكان هذا العمل منزلياً محضاً تستفيد منه هى أولا وذووها ثانياً، أم كتابياً أو يدوياً تستفيد هى وأهلها منه مالياً، الى أن تقيض لها الفرص رفيق الحياة أو زوجا صالحاً

أقول هذا لأننا نحن الشرقيين رجالا ونساء مغرمون بحب الظهور والفخفخة. ونكره الاعمال اليدوية عامة ونميل الى الوظائف الكتابية التى تحتاج الى ملابس نظيفة وياقات بيضاء وترف كاذب، ونمقت الأعمال الأخرى التى تنقصها هذه المميزات، مهما درت علينا بالمال. أما النساء فللأسف أشد عنتاً من الرجال فى هذا المضمار. فالفتاة تستحى أن تعمل وأهلها يتورعون أن يبعثوا بها الى تقلد وظيفة أو القيام بعمل ولو من قبيل حياكة الثياب، وأكثر من ذلك أن مهنة التعليم تحرم منها المرأة، وهى أفضل وأصلح فيها من الرجل خصوصاً فى المدارس الابتدائية. تجد الموظف أو الرجل الذى لا يزيد دخله الشهرى عن عشرة جنيهات ينوء تحت اعباء النفقات الباهظة ووراءه جيش من اخواته وبناته يعولهن جميعا. والحقيقة انه يعيش عيشة مريرة وهن، أولئك الفتيات البائسات يعشن عيشة مريرة. فغذاؤهن لا يكفى لنموهن النمو الكافى، وملابسهن لا تليق بالقرن العشرين. وفوق ذلك فان الفتاة التى تعيش على ذويها تنقصها عزة النفس والكرامة الفردية

البنت فى أمريكا تعمل مادامت تبلغ سن الرشد وإن كان أبوها من أصحاب الملايين سواء أكان هذا العمل كتابيا أم يدويا أم ما ندعوه حقيراً كالعمل فى المطاعم والفنادق، والحقيقة أن هذا العمل ليس حقيراً لانه يدعى clean dirt وحتى فى الكليات تعول الفتاة نفسها وتأبى أن تأخذ المال من ذويها بعد بلوغها السن المعلومة مهما كان أبوها غنيا

وفى المانيا كذلك تشتغل البنت من الطبقة المتوسطة عند الغير كخادمة ويسمونها prise doughter

ويدهش الكثيرون اذا سمعوا أن المربيات (governesses) اللاتى تشاهدن أحيانا قد يكن من أسر شريفة وأقصد بالشريفة متوسطة كالأسر التى ينتمى اليها الكثيرون منا. فأعرف الكثيرين من يقدمون مربياتهم لضيوفهم ويعرفونهم بهن ويجلسونهن معهم على المائدة، وقد أخرج مرة أحد الولاة موظفا انجليزيا كبيراً من حضرته لانه اقترن بمربية عند أحد أغنياء أسيوط واتهمه وعيره بذلك.

ولكن أين العار؟ وأين عزة النفس والكرامة الفردية والشرف؟ البقاء عالة على الغير، أو العمل والعمل الشريف؟

يوجه الى هذه النقطة انتقادات قد تكون سديدة. وهى أن مصر لا يوجد فيها مجال للعمل. والجواب أن تركيا أفقر من مصر بكثير ولكن بعد تحرير النساء فيها واعتناق الأتراك المدنية الغربية، وجد النساء العمل من العدم. كذلك اليابان، كذلك كل أوربا ومعظم أوربا أفقر من مصر نسبيا. ومن رأيى ورأى الاقتصاديين جميعهم أن المرأة اذا عملت زادت ثروة البلاد. فمعظم الأعمال التى يقوم بها النساء الغربيات فى مصر تستطيع أن تقوم به المرأة المصرية.

يقولون أن فى عمل الفتاة مفسدة لأخلاقها. اسمحوا لى أن أقول ان هذه الفكرة يجب نزعها أنا لا أنسى أن أخلاقنا لم تصل الى الحد الذى فيه تستطيع أن تسلم فتاة تعمل فى منزل فيه رجال وشبان. ولكن أعتقد أيضا أن الرجال يتدنون الى هذا الحد لان معظم العاملات فى بيوتهم من أحط الطبقات

. . . . . .

واسمحوا لى أن أقول أيضا أن من واجبات الفتاة، ومن أهم واجباتها أن تحافظ على آدابها وعفتها وأخلاقها، أينما وجدت، وواجبها الدخول فى ميدان الحياة الاقتصادية التى فيها لاتتعرض لهذا الافساد وإلا فما فضلها اذا حبست وضيق عليها الخناق؟ هناك مشكل فى أمريكا لم يبلغ وربما أن يبلغ مصر، وهو أن المرأة تحجم عن الزواج أحيانا لأنها تربح مالا طائلا وأبواب الكسب امامها مفتوحة، وهذا يشجعها على رفض خطابها مالم تكن صفقة الزواج رابحة جداً، وكفتها راجحة على كفة استقلالها الاقتصادى واعتمادها على ذاتها فى كسب رزقها

ان مجمل المسألة التى أرمى اليها، أن تنزل الفتاة المصرية الى ميدان العمل حتى تطرد جيوش الاحتلال من نساء الغرب اللاتى يحكن لنا الثياب الغالية ويصنعن القبعات والحلوى ويعملن مربيات فى المنازل ومعلمات فى المدارس وممرضات فى المستشفيات، وكاتبات فى المصارف والمخازن التجارية و. . . و. . . نريد ألا تكون المصرية عالة على أهلها حتى تخفف عنهم عبء النفقات، وتعيش هى عزيزة مكرمة

وأخيراً اتحدث عن واجب آخر للمرأة، وهو أنها تؤدى وظيفتها كامرأة فوق وظيفتها الاقتصادية. أن المرأة يجب أن تسعى للزواج وتكوين الاسرة متى مكنتها صحتها البدنية والعقلية من ذلك. أن وظيفة المرأة الانسانية تكوين الاسرة ورفع شأن المنزل واخراج أطفال أصحاء أقوياء أذكياء حتى يشبوا أعضاء صالحين فى الوطن خصوصاً والبشرية عموماً

لم أقصد ببحثى الأول عن المرأة أن تخرج عن وظيفتها السامية التى أوجدتها الطبيعة لها. لا أقصد أن تسترجل فتصبح فلاحة من الدرجة الاولى، أو مالية من الدرجة الاولى، أو

لانريد أن يكون الشاب مثناثاً ، متأنقاً فى ملبسه ملتفتاً الى هذا قبل كل شىء . فهناك فروق بين الرجال والنساء يجب مراعاتها . فالرجل رجل والمرأه امرأة على كل حال . والعالم يكره كل ماجاء مخالفاً للطبيعة لان الانسان ابن الطبيعة . فالمرأة تكره الرجل المثناث ، المستضعف ، المدلل الناعم أسيل الخدين . والرجل كذلك يكره المرأة المسترجلة ، الخشنة ، ذات العضل المفتول ، لانها فقدت صفة الانوثة الجميلة ، وما تشمله من أمومة ورقة ، ودعة ولطف ، وكياسة ورشاقة . أن المرأة رأس مالها جمالها وعقلها فاذا لم تعمل على المحافظة على أحدهما فقدت نصف رأس مالها

مارى بكفورد الممثلة السينمائية الشهيرة ، والمثرية الكبيرة . تقول منذ عشر سنوات انها تأبى أن يتغلب عليها الكبر وتتشابها الشيخوخة . وقد أخذت هذا المبدأ شعارها منذ ذلك الحين حتى أن الناظر اليها يخيل اليه أنها فى العشرين من عمرها وهى فى العقد الخامس . و يعزى نجاحها فى حياتها الى المحافظة على نصف رأسمالها . وهذه لايدى درامونداى أشهر صحافية فى العالم تفاخر أنها تنوى الانتصار على سنها وتسخير أحدث المنتجات العلية فى مكافحة الكبر ، ولا بدع اذا أعجب بها محدثوها وفتنوا بسحرها وحلاوتها

وتعلم فوق ذلك ان للمرأة ميزات وصفات وطوابع خاصة ، تميزها عن الرجل وتجعل لها وظيفة أخرى تختلف فيها عن الرجل . وهذه الفروق والميزات والصفات بعضها فيزولوجى أى جثمانى وبعضها سيكولوجى أى نفسى ووجدانى . ولا نريد أن نقدر هذه الفروق انما حسبى أن أقول ان الرجل اذا كان كالحيوان ، مشتغلا متحركا ، كثير النشاط والكد والنصب ، فان المرأة كالنبات ، يلصق بالتربة ، فهى أكثر اتصالا بالمنزل من الرجل . وأهدأ طبعاً . الرجل قد يخرب ولكن المرأة تعمر وتبنى . الرجل يعرف معرفة أقرب الى الحقيقة . الرجل يخلق التاريخ والمرأة هى التاريخ بعينه . الرجل يحب المنافسة بطبعه ، والمرأة تمقتها ولا تدخل فى حلبتها الا تصنعا . الرجل يقاتل والمرأة تصالح وتوافق . الرجل يربح وينتصر بالجهاد ، ولكن المرأة تتمسك فتمكن

من هذا نعلم أن الطبيعة قصدت أن ينمو الرجل ويرقى ! وتنمو المرأة وترقى ، كل فى طريقه الخاص ، بغير أن يسمو الواحد على الآخر ، أو يفضل الواحد عن الثانى . وعلى ذلك يكون الاسترجال فى المرأة قبيحا مكروها ، وتكون الصحة النسائية الطبيعية ، والجاذبية النسائية جثمانية كانت أم وجدانية اجتماعية أم عقلية ، محبوبة مرغوباً فيها . ولا يسوغ للمرأة أن تقضى عليها بالتشبه بالرجل ، وتقليده تقليداً أعمى . فالتمرينات البدنية محمودة حسنة ، ولازمة للرجل والمرأة على السواء ، ونحن المصريين جميعاً أحوج الى أن تستقيم أبداننا ، وتمتد قاماتنا ، وتعتدل أجسامنا وتنتقى دماؤنا ، وتحمر وجناتنا وتصلح سلالتنا . غير أن المرأة لا يجدر بها أن تبالغ فى الالعاب العنيفة الضارة ، التى تصلح للرجل ولا تصح لها ، وتذهب بأنوثتها ورقتها

تصدر فى ايطاليا جريدة انجليزية غرضها الدعاية لايطاليا ، وقد لفت نظرى هناك مقال ممتع لكاتب رياضى معروف ، مغزاه أن الفتاة اللـ[illegible] تمتاز عن أختها السكونية بخفة دمها

وجاذبيتها النسائية ورقتها . وعزا هذه الفروق الى الألعاب الرياضية التى تبالغ فيها الثانية وتعتدل فيها الأولى . ومع عدم تسليمى بهذه الفكرة فانى أعتقد أن الأمم الشمالية تغالى نساؤها فى الاكثار من الألعاب البدنية العنيفة التى تذهب بشىء من المسحة النسائيه فيهن . وربما كان هذا الموضوع غريبا عنا فى مصر ، لاننا لا نعلم أن تنشط الفتاة المصرية نشاطا يخرجها الى حد المغالاة بالألعاب الضارة العنيفة الصالحة للرجل . غير أننا ذكرنا هذه المسألة من قبيل العلم بالشىء .

ومن أجمل العبارات التى تفوه بها أحد علماء التربية فى هذا الموضوع أن أحسن تمرين بدنى للبنت هى المكنسة . وليس المعنى أن نأخذ هذه الكلمة بحروفها . الغرض أن تكون الأعمال المنزلية ، من كنس الدار وغسل الثياب وخياطتها . ورتقها ، وطهى الطعام ، وغير ذلك من الأعمال المنزلية ، من أهم التمرينات البدنية التى يجب أن تعنى بها البنت .

ويا حبذا لو عنيت مدارسنا بالتربية المنزلية ، بكل أنواعها عنايتها باللغات الاجنبية ، وبالتمرينات البدنية الحقيقية عنايتها بالهندسة ، وبالموسيقى والبيانو أو العود أو الكنجة أو الربابة أو حتى أقل الآلات منزلة . عنايتها بالحساب ، وبالعناية بالطفل اهتمامها بالجغرافيا ، وبعلم التغذية ، عنايتها بالجبر اطلعت أخيرا على عدد من مجلة كبرى تصدر فى أميركا من أكبر كلية للمعلمين فيها . وقد دهشت لعثورى فيها على مقالة ضافية الذيل بقلم أستاذة نابغة فى تلك الكلية ، عن « الدندرمة » (ice-cream) وتاريخها وكيفية صنعها والمبادىء الطبيعية والكيمائية التى تدخل فيها وأنواعها والفواكه التى يمكن استعمالها فى تركيبها ، وقد ذيلت البحث بأسماء ثلاثة وخمسين كتاباً وضعت فى « الدندرمة » مع اختباراتها الشخصية واختبار طالباتها فى دروس التربية المنزلية مما له علاقة بالموضوع . ولكن لم تكون الدندرمة ذات أهمية تحتاج مقالا طويلا ، وهى جزء من الحياة فى أميركا ، حتى أن كل صيدلية هناك تبيع منها أضعاف ما تبيعه من العقاقير والأدوية

ان مدارسنا مسئولة عن إيصال الحياة المدرسية بالحياة العملية ، وبهاينا طتخريج فتيات صالحات للحياة والعمل وترقية الأمومة ورفع شأن الأسرة ، ونوع التربية الذى لا يحقق الواجبات التى قلنا فى مقالنا انها مفروضة على المرأة ، لا يزيد كثيرا عن اهمال التربية وترك النساء جاهلات .

امير بقطر

مرض الببغاء

بقلم الدكتور بانوب حنا

يمكن تقسيم حالات مرض الببغاء فى الانسان الى قسمين :

الأول — حالات يكون فيها سير المرض واضحاً نوعاً ما و يمكن للطبيب أن يبدى رأياً من العوارض والعلامات . والثانى — حالات يمكن تشخيصها استنتاجاً من مخالطة الشخص لطيور مصابة.

أما مدة الحضانة فالمرجح أنها حوالى عشرة أيام ولكن لا يمكن تحديدها بالضبط . والعدوى تكون فى أكثر الحالات من طيور وردت حديثاً من أمريكا الجنوبية والمحقق أن بعض الطيور الواردة من غرب امريكا تحمل المرض أيضاً

ooo

فى المجموعة الأولى من الحالات تظهر على المريض علامات العدوى العامة بشكل سريع وهى حرارة معتدلة ولسان أبيض وصداع وتوعك ، مصحوبة فى بعض الاحيان بميل الى القىء وفى بعض الحالات النادرة بنزف من الانف واسهال . وفى بحر يومين أو ثلاثة ترتفع الحرارة الى ١٠٤ ف ولكن النبض يبقى بطيئاً نسبياً وغالباً أقل من مائة فى الدقيقة و يشتد الصداع خصوصاً من الجهة الخلفية للرأس وتمتد الام الرأس الى ظهر العنق وفى بعض الاحيان يصحبها تيبس عنق خفيف وخوف من الضوء . وفى هذا الوقت ربما ظهرت على المريض نوبات هذيان متقطعة ولكنه فى كثير من الحالات يبقى حافظاً لشعوره وقواه العقلية . واذا فحص عن المريض فى خلال الأسبوع الاول فالفحص لا يمكن أن يؤدى الى تشخيص قاطع وربما تبادر الى الذهن الاشتباه بالحمى التيفوئيدية . وتفاعل « فيدال » ربما كان ايجابياً والغالب أن يكون سلبياً والنتيجة الايجابية لهذا التفاعل فى بضع مرات فى بداءة المرض يجب أن ينظر لها نظرة اعتبار اذ أن خطأ طفيفا فى التشخيص الاكلينيكى بما يؤيده الفحص بالمعمل وتعتبر الحالة حمى تيفوئيدية والواقع أنها حالة « مرض الببغاء » وأن بعض الحالات تعطى تفاعلا ايجابيا (للفيدال) فى درجة تخفيف عظ فى مستهل المرض وأن النتيجة الايجابية كانت مع فصيلة واحدة من ميكروبات التيفوئيدية مع تجمع قليل بالفصيلة المتجانسة وكذا يجب ملاحظة ان الحالات التى تنتج تفاعلا ايجابيا (للفيدال) مع فصيلة واحدة من ميكروبات التيفوئيد فى مستهل المرض يجب أنه ينظر اليها كحالات لمرض الببغاء خصوصا اذا كانت نتيجة زرع الدم سلبية وهجوم المرض أسرع مما هو فى حالات التيفوئيد

وفى نهاية الاسبوع الاول من المرض يتغلب على المريض سعال شديد وبالفحص عن الصدر يلاحظ وجود علامات لنزلة شعبية حادة . والافرازات تكون قليلة أو معدومة وفى

بحر بضعة أيام تتغلب علامات التهاب الرئة على الالتهاب الشعبى . والغريب أنه لا يحصل اى تغير واضح فى حالة المريض العامة كعسر التنفس أو التهاب بليورى أو ألم أو بصاق ولكن بالفحص عن الرئتين تجد تنفسا شعبيا على بقع كبيرة من الرئتين وعندما تشتدهذهالاعراض الى الدرجة القصوى نرى أن حالة النبض والتنفس وعلامات الاختناق بدأت فى الظهور . وبعد أيام قلائل من تطور هذه الأعراض تجد أن كل العلامات التى كانت بالرئتين أخذت فى الاختفاء ، وقد يتطرق الى الذهن فى مثل هذه الحالة وجود ارتشاح بليورى ولكن هذا الشك لايلبث أن يزول

ومن الوجهة الاكلينيكية يظهر أن كتلة الارتشاح بالرئتين تعم الشعب الصغرى فقط . وقد وجد ذلك فى تشريح إحدى الجثث . وفى بعض الحالات التى شرحت وجد أن الفص الاعلى الايسر كان بحالة ارتشاح تام مع ان حجم كتلة الرئة لم يزد فى المواضع التى كان بها الارتشاح . كذلك لم يلاحظ علامات ضغط الاضلاع للرئة غير أن جزءاً منها كان أحمرها مائلا الى السواد وفى حالة جفاف سهل التفتت ولم تكن حالة الرئة تشبه الالتهاب الرئوى أو الالتهاب الرئوى الشعبى

وقد يلاحظ وجود نقط نزفية تحت الغشاء البليورى للرئتين وإفراز تليفى على مسطح من الرئة عند حافة الجزء المرتشح

وان الجهاز الهضمى كان طبيعيا والطحال كان منتفخا قليلا والفحص التشريحى الميكرسكوبى أظهر افرازا من النوع الليفى ووجدت لطع مبعثرة محتقنة نزفية وبحالة تورم ولم يلاحظ وجود افراز حول الشعب أو الأوعية كما هو الحال فى الالتهاب الرئوى الناتج من الانفلونزا . والشعب الدقيقة كانت ملأى بخلايا ايثيلية من النوع التقشرى بخلاف الشعب الكبيرة فقد كانت خالية من مثل هذه الخلايا . وقد كانت هذه الحالة مشابهة لبعض الحالات التى تم تشريحها أخيرا

أما الجزء الرئوى الشديد التحجر فيستمر بينما درجة الحرارة تكون آخذة فى الهبوط تدريجيا فى الاسبوع الثالث من المرض وتستمر الحالة كذلك بعد زوال الحرارة . وفى الواقع أن التحجر الرئوى يتحلل سريعاً وينتهى مصحوبا ببعض عوارض النزلة الشعبية الحادة وحالة المريض العامة تكون آخذة فى الانحطاط فى أثناء هبوط الحرارة ويعلل ذلك بما يصيب المجموع العصبى من التسمم

وفى بعض الحالات الشديدة كان المريض بحالة ذهول عام وعجز عن الحركة واستمر ذلك عشرة أيام بعد زوال كل عوارض الحمى

وعلى العموم فالتأثير فى الجهاز الهضمى ضئيل والانتفاخ كثيرا مايكون شديدا فى بعض الحالات ولكن قابلية المريض لتناول غذائه لا تنعدم والبراز يكون فى بعض الأحيان ليناً ذا رائحة كريهة وليس به ما يستحق الملاحظة

وقلما يلاحظ تضخم الطحال واذا وجد فلا يكون إلا فى حالات قليلة ولدى ساعات معدودة . ويلاحظ وجود بقع وردية ولا يوجد عوارض بولية إلا آثار من الزلال أحيانا . والفحص عن الدم

وأهم ظاهرة فى المرض إذن هى حالة حمية تشبه الحمى التيفوئيدية فى بعض الوجوه ولكنها أسرع منها فى بدايتها . وظهور النزلة الشعبية الحادة يعقبها عوارض الالتهاب الرئوى بدون حصول التهاب بليورى أو عسر فى التنفس وهذا من مميزات هذا المرض. وأخيراً التحجر الذى يشمل الشعب الصغيرة . والحالة الآتية تدل بجلاء على سير المرض :

المريضة امرأة توفيت بعوارض المرض ولم يكن هناك ما نشتم منه أن المريضة خالطت طيوراً مريضة ولكن التحريات دلت على أنها كانت خادمة عند صاحب هذه الطيور وكانت مكلفة بتنظيف أقفاصها وثبت أيضاً ان نصف هذه الطيور مات بعدوى من طيور جلبت من الخارج حديثاً . وقبل بداءة مرضها كان صاحب المحل أعطاها عصفورين من الطيور فوضعتهما على رف فوق مائدة طعامها وان احدهما نفق قبل وفاة هذه المرأة بقليل

•••

لما كان هذا المرض مطمح أنظار الباحثين وقد وجهت العناية الكافية له لوحظت جملة حالات ليس فيها من العوارض الا الحرارة الحمية ولم يدل التحليل البكتريولوجى على شيء معين وانما اشتبه فى المرض . وبعض الحالات تختلف عن البعض الآخر اختلافاً بيناً فى العوارض . وبعض الوفيات فحصت قبل الوفاة كان الظن أنها حالات تسمم تيفوئيدى مع أن الطحال لم يكن متضخما ولم يكن هناك طفح وردى وتفاعل فيدال كان سلبياً والعوارض الرئوية كانت منحصرة فى التهاب شعبى بقاعدة الرئتين عندما عوين المريض لاول مرة وعقب ذلك التهاب بليورى يسارى . وقد عاين كثيرون من الأطباء حالات تشبه كثيراً الحمى التفوئيدية

وفى بعض الحالات لم تكن هنك عوارض صدرية وفى بعضها وجدت عوارض الالتهاب الرئوى إلا أن اضطراب التنفس لم يكن موجوداً وجميعها لم يكن بها علامات تحجر الرئة وكثيراً ما يلاحظ وجود رعاف شديد فى كل هذه الحالات فى بداءة المرض وكذلك اسهال وهبوط فى القوى مع امكان حدوث مضاعفات رئوية فى نهاية الاسبوع الاول

وكل الحالات تبدأ كحالة تيفوئيدية فى صفاتها العامة والصداع على أشده فى مبدأ الامر وفى بعض حالات قليلة يوجد رعاف والنبض يميل الى البطء والطحال لم يتضخم أبداً واحياناً يوجد طفح وردى ولم يكن الاسهال علامة ظاهرة وقد أصيبت الرئتان فى كل الحالات الى درجة ما ولكن لم يلاحظ التحجر الشديد وكانت أشد العلامات فى الرئتين . وفى حالات قليلة كانت العوارض الرئوية مصحوبة بالتهاب بليورى وقد تأيد ذلك مع وجود التهاب رئوى فى أثناء التشريح

ونسبة الوفيات بهذا المرض ليست قليلة خصوصاً عند الشيوخ . ولوحظ أن الاطفال أكثر احتمالا للمرض من البالغين خصوصاً اذا حدثت الاصابة فى نفس الوقت ومن عدوى واحدة وكثيرا ما تتوقف حالة المريض على سير العوارض الرئوية والوقاية يجب عدم اقتناء أو الاقتراب من أى ببغاء ورد حديثا أو مخالطة الذين يقتنون هذه الطيور

عن ذى برا كتشنر — بانوب حنا

طه حسين فى نظر المستشرق جيب

ولد طه حسين فى قرية من قرى الارياف ، من اسرة حنيفة على التقاليد القديمة . فقد بصره وهو صغير ، فعقدت العزائم على تخصيصه للعلوم الدينية . تلقى الدروس الابتدائية فى كتاب القرية ، ثم دخل الازهر ، فقضى فيه سنوات تضلع فيها من اللغة العربية ، واظهر ميله لآدابها تحت اشراف الشيخ سيد بن على المرصفى ، وانجز من ثم دروسه فى الجامعة المصرية المنشأة حديثا ، على أساتذة اوربيين ، متدربا على طرائق الانتقاد الادبى الغربى وعلى أساليب الدروس التاريخية العلمية . وسرعان ما طرح عنه النزعة الازهرية ، ونهض مجابهاً المقاومات فكان كتابه فى ابى العلاء المعرى باكورة مؤلفاته ، ترك فيه العنان لجماح جرأته ، وتناول بالانتقاد طرائق تعليم الآداب العربية فى مصر

قضى ايام الحرب الكبرى تلميذاً فى السوربون . وصرف همه الى درس فنون الآداب الافرنسية والى النقد الادبى ، فى امهات المؤلفات الافرنسية ، المعروفة (بالكلاسيك أو المدرسية). ثم خاطر بحملاته الانتقادية حتى كاد يذهب ضحية لها ، ومع ذلك لم تخفق مساعيه ، بل نال شهادة الدكتوراة على درسه فى بن خلدون . وعاد الى مصر فعهدت اليه الجامعة المصرية بتعليم التاريخ اليونانى والرومانى فى عصره الذهبى ، ثم نقلته الى منبر تعليم الادب الجاهلى ، ولا يزال فيه الى يومنا

وماكان احوج الاستاذ الحديث العهد فى التعليم الى شجاعته الفطرية ! فان وقوفه فى منبر التعليم جعله ومؤلفاته هدفا لحملات الفئة المحافظة ، فسخط عليه المشايخ وكرهوه ، وامتعضوا من فتح ذلك الباب التعليمى ، وربما كان الاول من نوعه فى الاسلام . وان من درس تاريخ القرون الوسطى لا يجهل فضل المدنية اليونانية على الاسلامية . على ان المسلمين لم يرضوا الاقرار بذلك الفضل ، وابى شرفهم الا انكار أصل الفن الموروث عن اليونان ، على ماله من التأثير فى تطور المدنية الأوربية . فلم يدرسوا من الفكر الغربى الاعظام والحديثة ، كما بدت لهم بعد أن دبت روح النهضة الغربية فى مصر وسورية ودفعت الاقلام الى الترجمة . فالتقليد ، فالمطالعة . وكانوا كلما تعمقوا بدرس الفكر الاوربى زادوه اصالة لكنهم فى الحقيقة لم يكتشفوا أساسه . حتى قام سليمان البستانى فكان أول من جهد فيه جذب العالم العربى الى الاستئناس باحدى أمهات المؤلفات المدرسية ، فعرب الالياذة

وربما جاء مشروعه سابقاً لأوانه ، لان شعر الملاحم ، بالمعنى الافرنجى ، لم يستهو العرب اليه قط ، ولغتهم قاصرة عنه ، فالبيت الشعرى العربى أضيق نطاقا من ان يسع مادة ملحمة كالالياذة . ومما زاد المصاعب فى وجه المعرب ضرورة نقل الاسماء الاعجمية الى العربية وادماجها فى العروض . فنالت الياذة البستانى منزلتها من طول باع معربها ، أكثر من ميزاتها الباطنية وظلت مصر على جهادها فى سبيل الديمقراطية والعلم الغربى ، جاهلة لمصادرها ومحتقرة اياها بعض الاحتقار

فجاء طه حسين وكشف عن أسباب تلك الحالة الناقصة . فلم يرض عليه تلامذته أولا وعاندوه . لكنهم ما لبثوا أن انقادوا رويداً رويداً الى فصاحته وحماسته . فوقف الاستاذ مصرحاً ان كرامة

مصر ومصلحتها وعمرانها يضطرها الى العودة الى المدرسة والاخذ بالعمل من الاساس ، ووجه الى العامة سلسلة مؤلفات مناديا فيها بواجب الاتكباب على الدروس المدرسية المتوسعة للعمران الحي . . .

وكانت مصر مهتمة بأزمتها السياسية ، فصرفت همها عنه على انه وجد سنداً قوياً في الفئة المتنورة من العامة ، وبين زملائه في الجامعة . وكان اذ ذاك احمد لطفي بك السيد في الجامعة مشتغلا في تعريب « علم الأخلاق » لنيقوماخوس ، وقد أظهره سنة ١٩٢٤ . على أن الأزمة السياسية عاقت طه حسين عن نشر مبادئه . ونقل من ثم الى تدريس الآداب العربية ، فكف عن الدروس المدرسية لسوء حظها . لكن مساعيه لم تخفق تماما ، والامل وطيد ان حماسته وشجاعته الفكرية لم تذهب في الناشئة سدى .

اتبع في تعليم الآداب العربية طريقة ديكارت الاخذة بالمؤلف الى الشك ، فالتمحص ، فاليقين ووصل بها الى نتائج أدت يوما فيوما الى استئصال شأفة الاراء القديمة

وكان الدكتور هيكل يعمل الروية والفطنة في تدريج الرأي العام المصري الى مستوى الثقافة الاوربية . فلم يقتف طه حسين أثر زميله ، ولم يزاحمه في سبيل التؤدة والتفطن ، بل هاجم الرأي العام المصري بطريقة الشك الفلسفي ، والرأي العام المصري غير مستعد لها . وسار يقطع المراحل من انكار الى انكار ، وعنوان هذا الاسلوب كتابه « حديث الاربعاء » ثم تبعه بكتاب « في الشعر الجاهلي » ، فاحدث ضجة الجأت أولياء الامر الى منع الكتاب عن الناس ، واتهم طه حسين بالزندقة وفي تلك المرة ايضا نجا الأستاذ من الشرور التي كادت تجرها عليه جرأته ، وكانت نتيجة الحادثة انها رفعت منزلته في القلوب والعيون وجعلته معبود الدارسين . فلم يكترث من ثم للمكارثة وأظهر كتاباً آخر اعنوانه « في الادب الجاهلي » لم يكن الا طبعة مجددة للكتاب السابق مع بعض الزيادة والنقصان

وان تلك المؤلفات ، من صبغتها المدرسية ، قد أتت ذخيرة للآداب العربية المصرية الحديثة ، ليس فقط بانشائها واسلوبها ولكن بعناية صاحبها بسد حاجة العامة الى أمثالها

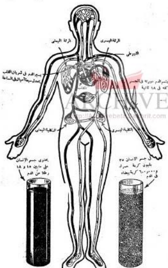
ويمتاز انشاؤه بصبغته الخطابية لأنه لم يكتبه بيده ، بل القاه القاء ، ومن مميزاته المراجعات ، لكنها غير مملة لان انتخاب الالفاظ ، وعرض البراهين بلهجة سهلة مقبولة والاخذ بالموضوع عن اقتدار وممازحة ، اسبل على أقواله حلة جذابة قلما ارتداها كتاب من الكتب المصرية . على ان تلك الدروس تنال قيمتها من وجوهها التثقيفية ، ولا بد أن تؤدي مقدمتها الى تقوية الفكر المصري وتعزيز المبادىء المستندة اليها تلك المقدمات ، سواء صحت نتائج طه حسين أو لم تصح

ولم يحصل طه حسين على مكانته الفائقة في عالم الادب العصري بفضل تلك المؤلفات فقط بل لأنه خرج عن دائرة تلك الدروس وتفرغ الى الشغل في آداب الصحافة ، وله فيها القدح المعلى . وحسبنا ذكر تحليله الروايات الفرنسية العصرية التي نشرها في (الهلال) وفي سنة ١٩٢٢ عرب « روح التربية » لغوستاف لوبون ونشر قصة حياته تحت عنوان « الايام » ، وهي جديرة بان يقال فيها انها آية من آيات الفن العربي الادبي لما فيها من عواطف عميقة ، وأوصاف صادقة

طهارة الدم

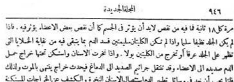
وكيف يحافظ عليها

قلما يجد الانسان اعلانا عن العقاقير الطبية يخلو من وصفه بأنه مطهر للدم ، وقد يحتوى هذا العقار على يودين أوحديد أوفصفور أوجير . ومثل هذه العناصر ضرورية للجسم ولكن لايمكن أن يتناولها الانسان جزافا إذ قد يحتوى جسمه على بعضها بحيث لو أضيف اليه مقدارا آخر عن سبيل العقاقير لافسد الدم وصارت طهارته عندئذ فى التخلص من هذا المقدار الزائد . والواقع أن الكليتين تتخلصان من مقدار كبير من الاملاح الزائدة التى يحتاج اليها الجسم وتحملها الدم بمقادير معينة



الشرايين والاوردة فى جسم الانسان

وطهارة الدم أو فساده يأتيان من نواح عدة . فالدم يحمل الغذاء لخلايا الجسم كما يحمل نفاية هذه الخلايا . ثم هو يغمر هذه الخلايا بصله ويدور فى أنحاء الجسم



مرة كل ١٨ ثانية فما فيه من نقص لابد أن يؤثر فى الجسم كما أن نقص بعض الاعضاء يؤثر فيه . فاذا لم يكن الجلد نظيفا سليما واذا لم تكن الكليتان سليمتين فسد الدم بما يتبقى فيه من نفاية الخلايا التى تظهر على الجلد عرقا أو تخرج من الكليتين بولا . واذا نخرت الاسنان واستكن تحتها خراج حمل الدم صديده الى الاعضاء . وقد تنتقل جراثيم الصديد الى الدماغ فيحدث خراج ينتهى بالموت ولذلك فانا يجب أن نعد فى وسائل تطهير الدم استئصال الاسنان النخرة والكشف عن الخراجات المستكنة وتنظيف الجلد وصحة الكليتين والسبيل الى ذلك هو الاغتسال . فيجب أن نطهر دماءنا بالاستحمام حتى تبقى مسام الجلد مفتوحة تفرز منها نفايات الجسم عرقا أولا بأول . ثم يجب غسل الاسنان





اذا كان وزنك ١٥٠ رطلا فاية رطل منه من الماء

ومعالجة التقيح فى اللثة أو الخراجات حتى لا يتطرق الصديد الى الدم . وأيضا يجب غسل الدم نفسه بأن نتناول مقداراً كبيرا من الماء القراح حتى يتخلص الدم عن طريق الكليتين مما فيه من أوساخ ونفايات تخرج فى البول

ولكن الدم قد يفسد بأحد الامراض . بالتدرن مثلا فانه بما يصيب الرئتين من التآكل والضمور يمنع وصول الاكسجين للدم . وفى هذه الحال تتوقف طهارة الدم على الشفاء من التدرن . وقد نجد أناسا ليس بهم مرض معين ولكنهم من الشحوب وفقر الدم بحيث يشبهون المسلولين وذلك لانهم لا يرتاضون أو يعيشون فى أماكن محبوسة الهواء فهؤلاء يحتاجون الى مثل المعالجة التى يعالج بها المسلول وهى الرياضة المعتدلة والهواء الطلق

وقد ينقص أحد العناصر الضرورية مثل اليودين أو الحديد . والذى يجول فى أسواقنا الريفية يجد بعض الباعة يبيعون الحديد للفلاحين الذين يبلعونه حبوبا صغيرة زاعمين أنه ينفعهم والواقع أن الحديد من العناصر الضرورية للدم وهو يتأكسد فى الرئتين أى عندما يتصل بالاكسجين فى الرئتين وقت التنفس يكتسب اللون الاحمر الذى يعرف به الدم ولكن لا يمكن الانسان أن يعرف أى العناصر تنقصه بلا تحليل ولذلك فانه من الضرر اقتصاديا وصحيا أن يأخذ الانسان الحديد جزافا بلا فحص سابق وكذلك من الضرر تناول العقاقير التى يعلن عنها بأنها مقوية ومطهرة للدم لانها تحتوى على الجير أو اليودين أو الفصفور أو نحوها لانه قد يجوز أن من يتناولها لا يحتاج اليها وعندئذ لا تكون النتيجة إلا أنه يكلف كليتيه مشقة التخلص منها لانها مواد زائدة فى حكم النفايات

وصحة الدم تحتاج الى صحة الاوعية أى الشرايين . والدم يجرى فى عروق أو أوعية تنقسم قسمين أحدهما يسمى الاوردة وهى التى ترى زرقاء على ظهر اليد والقسم الآخر هو الشرايين وهى لا ترى من الجلد وهى التى يجسها الطبيب حين يريد أن يعرف النبض . وهذه الشرايين عضلية تنبض مع القلب واذا قطع واحد منها نفر منه الدم بشدة . أما قطع الوريد فينزف قليلا ثم يلتئم

وهذه الشرايين بالتقدم فى السن أو بتقدم بعض الامراض مثل السفلس تتصلب وتضيق فلا يدور الدم دورته بالسرعة التى يحتاج اليها الجسم ولذلك لا يمكنه ان يحمل نفايات الجسم أول باول كما لا يمكنه أن يحمل الغذاء الى جميع الخلايا . ولذلك فمن شروط الطهارة للدم أن يحافظ على صحة الشرايين بالرياضة البدنية وتوقى الخمور والامراض . وقد كان السير لانكستر عندما أسن وعجز عن الرياضة يعتاض منها بغمس ساقيه فى ماء ساخن ثم فى ماء بارد لكى يتحرك الدم ويروح بالبرودة ويجىء بالحرارة وكأنه بهذه المبادلة يؤدى للشرايين رياضة سهلة

أما الاطعمة التى يجب أن نختارها لتطهير الدم فتختلف . فالمصاب بالانيميا الخبيثة يحتاج الى طعام الكبد . واذا أوضح الفحص نقصا فى بعض العناصر امكن تناول الطعام الذى يحتوى على هذا العنصر الناقص

خطر الولايات المتحدة

على المصالح الاوربية فى القارة الامريكية

ليس يصعب على القارىء بعد قراءة هذا المقال أن يستخلص من تلقاء نفسه النتيجة التى نريد أن نصل اليها ، وهى أن الحرب العظمى لم تكن كارثة على أوربا فى الاموال والمرافق والارواح فقط ، وانما كارثة عمرانية اقتصادية سياسية لابد أن يكون لها ما بعدها ، ومحال أن تنجو أوربا من عواقبها أو أن تنهض من نكبتها بها لتشغل فى عالم الاقتصاد والمال المقام الذى كانت تشغله من قبل

سيطرة أوربا على الاسواق الامريكية قبل الحرب

كانت القارة الامريكية الى ما قبل الحرب سوقا نشطة لرؤوس الاموال الاوربية بل كانت أوربا قابضة على زمام جمهوريات أمريكا الوسطى وجمهوريات أمريكا الجنوبية من الناحية الاقتصادية ، حتى أن تجارة الولايات المتحدة ما كانت لتدخل أرض جاراتها الا بواسطة التجار الاوربيين وحتى ان القروض والصفقات التجارية ما كانت لتعقد الا مع المصارف والمصانع الاوربية ، وكان أصحاب رؤوس الاموال من الاوربيين يشترطون على الجمهوريات اللاتى تستدين المال منهم أن تشترين ما تردن شراءه من مصنوعات بلادهم وأن تستخدمن فى مشروعاتهن رجالا من مواطنيهم . وتطبيقا لهذه الشروط رأينا الاوربيين يستغلون ٩٠ر٠ من السكك الحديدية بجمهورية الارجنتين ورأينا هذه الجمهورية نفسها تستورد كل أدوات هذه السكك الحديدية من بلجيكا وانجلترا والمانيا وفرنسا ، معرضة عن مصانع جارتها الولايات المتحدة حتى انها استوردت عام ١٩١٢ من المصانع الانجليزية قاطرات قيمتها ١٢ مليون دولارا فى حين أنها لم تستورد من الولايات المتحدة الا ما قيمته مليون واحد . وكانت بريطانيا العظمى تستنفد وحدها ¼ صادرات الارجنتين وما يقرب من ¼ صادرات شيلى واورجواى وتصدر الى هذه الجمهوريات ما يترب من ¼ واردات كل منها

ذلك كان مركز أوربا التجارى فى القارة الامريكية الى ما قبل الحرب . ولقد كان من الصعب على الولايات المتحدة أن تنافس أوروبا فى هذا المركز الثابت القوى حتى شبت الحرب الكبرى فقلبت وضع الاشياء رأسا على عقب . واذا كانت الولايات المتحدة لم تستطع قبل هذه الحرب الا أن توجد لنفسها ثغرة ضيقة تنفذ منها الى اسواق أمريكا اللاتينية [1] فانها استطاعت فى خلال الحرب أن تخلق لنفسها مكانا ممتازا فى هذه الاسواق . وها هى تعمل على اكتساح أوربا منها

---

[1] يعبر بأمريكا اللاتينية عن جميع جمهوريات القارة الامريكية ماعدا الولايات المتحدة وكندا

نشاط تجارة الولايات المتحدة أثناء الحرب

ترتكز عظمة الولايات المتحدة المالية على غنى أرضها ، تلك الأرض التى تكاد مساحتها تبلغ مساحة أوربا بأسرها . وهي تنتج وحدها ٦٤ ر. من بترول العالم ، و ٣٩ ر. من فحمه و ٣٦ ر. من حديده ، و ٧٠ من قطنه . وهى بهذه الكميات الوافرة فى غنى عن العالم فيما يتصل بهذه الاصناف كما هى فى غنى عنه فيما يتصل بصنفى القمح واللحوم . ولما كانت الولايات المتحدة قد حافظت على سلامة أرضها من شرور الحرب فهى لم تصب فى مواردها ولا فى وسائل انتاجها بشىء مما أصيبت به أرض الدول التجارية الاخرى ، بل استطاعت أن تنمى فى خلال الحرب تلك المواد والوسائل حتى تمكنت من أن تمون دول أوربا وأن تقدم لها كل ما كانت فى حاجة اليه من فيض أرضها وصناعتها . ويكفى أن يعلم القارىء أن قيمة صادرات الولايات المتحدة إلى دول الحلفاء قد ارتفعت فى خلال المدة الواقعة مابين سنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٨ من ٤٣٤ مليون جنيه إلى ١١٦٧ مليون جنيه ليدرك مبلغ ذلك النشاط الذى نشطته تجارتها فى زمن الحرب

ولقد ترتب على ذلك النشاط الموجب للاعجاب أن تدفق ذهب أوربا على الولايات المتحدة حتى بلغ مجموع ما تكدس منه فى خزائنها ما يأتى :—

فى شهر أغسطس سنة ١٩١٤	:	٣٧٧ مليون جنيه
« « « « ١٩١٥	:	٤٠١ « «
« « « « ١٩١٦	:	٥١٠ « «
« « يناير « ١٩١٨	:	٦٢٠ « «
« « « « ١٩١٩	:	٦٣٠ « «

نعم لقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب الكبرى وفى خزائنها أكثر من ستمائة مليون من الجنيهات الذهبية وهذا يعادل ½ الذهب المتداول فى العالم بأسره ، بل هو أكبر كمية من الذهب تجمعت لدى حكومة من الحكومات من بدء الخليقة إلى اليوم . ولم يقف انتهاء الحرب تدفق سيل الذهب إلى خزائن الولايات المتحدة إذ جاء الذهب الالمانى بعد الحرب يتكدس فوق ذهب الحلفاء حتى أصبحت حكومة واشنطن قابضة على زمام سوق العملة فى العالم

على أن نكبة أوربا بالحرب لم تقف عند حد ابتزاز ذهبها وتحويله إلى واشنطن ونيويورك فأن ما كان الحلفاء يشترونه من أمريكا كانوا يدفعون ثمنه ذهباً ، فلما أشرف الذهب على النفاذ عمد الحلفاء إلى ما كانوا يملكونه من الأسهم والسندات الامريكية فباعوها إياه . ولقد كان فى حيازة الحلفاء حتى سنة ١٩١٥ ماقيمته ٥٤٠ مليون جنيه من أسهم السكك الحديدية بالولايات المتحدة ، فلما كانت سنه ١٩١٧ لم يبق من هذه الاسهم فى أيدى الحلفاء إلا ما قيمته ٢٣٧ مليون جنيه . وما حلت سنه ١٩٢٠

قد كان الماليون الاوربيون يملكون من أسهمها ٢٥ر . وما انتهت الحرب حتى كان مايملكونه منها لا يتجاوز ٩ر. . وبالجملة فان الولايات المتحدة قد اشترت فى زمن الحرب من أسهم شركاتها ومن أوراقها المالية التى كانت متداولة فى الخارج باكثر من مليارين من الجنيهات

وخلاصة القول أن الولات المتحدة استفادت من الحرب أنها سددت معظم ديونها وأصبحت تدين العالم بما يقرب من المليارين من الجنيهات (٨٨٦ مليونا على بريطانيا العظمى ، و ٤٥١ مليونا على فرنسا ، و ٢١٠ ملايين على ايطاليا ، و ٩٣٠ مليونا على كندا و ٣٥ مليونا على بلجيكا الخ ...) واستفادت فوق ذلك أنها نصبت نفسها مصرفا عالميا تتجه نحوه أنظار كل دولة تشعر بحاجة الى المال وهكذا حلت الولايات المتحدة بعد الحرب فى المكان المالى الذى كانت بريطانيا العظمى وفرنسا تستغلانه فى العالم الى ماقبل الحرب

كيف تطور مركز الولايات المتحدة فى أمريكا

قلنا ان الولايات المتحدة استطاعت أن تخلق لنفسها أثناء الحرب مركزا ممتازا فى أسواق القارة الامريكية وذلك بأنها اغتنمت فرصتين : الاولى اشتغال أوربا بالحرب وانصرافها عن كل ماعدا ذلك . والثانية حاجة جمهوريات أمريكا الجنوبية الى المال لتنفق منه على الحرب التى اشتركت فيها وعلى مشروعاتها الداخلية بعد أن أوصدت فى وجهها أبواب المصارف الاوربية

اغتنمت الولايات المتحدة هاتين الفرصتين فغزت القارة غزوا ماليا و تجاريا قائما على التسليف والمشروعات الاقتصادية

أما التسليف فليس من شأنه أقل من أن يصير جمهوريات أمريكا اللاتينية مدينة بالمال والفضل دينا يجعلها تقدم مصالح دائنتها الولايات المتحدة على غيرها فى كل المعاملات . وأما قيام دولة بمشروعات اقتصادية فى أرض دولة أخرى فليس شيئا آخر غير الغزو السلمى أو الاستعمار المادى .

لذلك رأينا فى بدء الحرب عمليات التأمين التى كانت تجرى عادة مع الشركات الالمانية تنتقل الى شركات نيويورك وشيكاغو ، ورأينا بورصة نيويورك تفتح صدرها لاوراق الجمهوريات الجنوبية المالية ولاسهمها ورأينا المال يسيل من مصارف نيويورك الى حكومات شيلى وبوليفيا والبرازيل والارجنتين ، حتى أنه لما تعذر على منتجى البن فى البرازيل أن يبيعوا محاصيلهم بسبب الحرب واعتزمت حكومتهم شراء هذه المحاصيل وتخزينها لتبيعها فى الوقت المناسب ، لم تجد أمامها غير مصارف الولايات المتحدة لتسعفها بالمال اللازم للشراء . ثم رأينا الولايات المتحدة تحتكر بأموالها وشركاتها ومهندسيها مناجم الذهب فى كوستاريكا ، ومنابع البترول فى البيرو وفى المكسيك وفى يوماجدالينا وفى كولومبيا ؛ ومناجم النحاس فى شيلى والارجنتين ، ومناجم البوتاس والبوراكس والنيكل فى بوليفيا ، ومناجم الفحم فى ميناس جريس ، وقد كانت هذه كلها مشروعات فى أيدى الشركات الاوربية قبل الحرب

نمو تجارة الولايات المتحدة فى زمن الحرب

أما تجارة الولايات المتحدة مع القارة الامريكية فقد نمت فى زمن الحرب وبعده نمواً سريعاً طرداً بقدر ما تضاءلت تجارة أوربا . والجدول الآتى يبين ما كانت عليه تجارة كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة قبل الحرب مع القارة الامريكية اللاتينية وما أصبحت عليه بعد الحرب مباشرة

سنة	قيمة الصادر من القارة الى الولايات المتحدة	قيمة الصادر من القارة الى بريطانيا العظمى
١٩١٣	٨٥ مليون جنيه انجليزى	٧٤ مليون جنيه انجليزى
١٩١٧	٢٠٦ « « «	١٠٣ « « «

سنة	قيمة الوارد من الولايات المتحدة إلى القارة	قيمة الوارد من بريطانيا العظمى إلى القارة
١٩١٣	٦٣ مليون جنيه	٥٥ مليون جنيه
١٩١٧	١٣٨ « «	٣٦ « «

أما تصدير السيارات والسمنت والاصباغ والحديد والفحم والمنسوجات القطنية والزجاج والدقيق واللحوم والألبان المركزة فقد صار بعد الحرب شبه احتكار للولايات المتحدة

وارتفعت صادرات الولايات المتحدة إلى كوبا من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ عما قيمته ١٤ مليون جنيه إلى ما قيمته ٤٧ مليوناً كما ارتفعت صادرات كوبا إلى الولايات المتحدة فى نفس هذه الفترة عما قيمته ٢٦ مليون جنيه إلى ما قيمة ٥٣ مليوناً . أما جمهورية نيكاراجوا فقد كانت تستورد من أوربا قبل الحرب ٦٠ فى المائة من وارداتها فصارت بعد الحرب تستورد من الولايات المتحدة ٨١ فى المائة منها

والجدول الآتى يبين مبلغ انصراف جمهورية المكسيك عن الاتجار مع أوربا إلى الاتجار مع الولايات المتحده فى زمن الحرب

سنة	قيمة الصادر منها الى الولايات المتحدة	قيمة الصادر منها الى انجلترا
١٩١٣	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه	١٨ ٠٠ ٠٠٠ جنيه
١٩١٧	٣٦ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه	٢١٠٠ ٠٠٠

سنة	قيمة الوارد من الولايات المتحدة اليها	قيمة الوارد من انجلترا اليها
١٩١٣	٩ ٥٠٠ ٠٠٠ جنيه	٢ ٢٠٠ ٠٠٠ جنيه
١٩١٧	٢٢ ١٠٠ ٠٠٠ جنيه	٠ ٨٠٠ ٠٠٠ جنيه

وهذا جدول ثالث يبين الفرق الذى طرأ على تجارة كل من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى مع جمهورية البرازيل فى زمن الحرب

سنة	قيمة صادراتها الى الولايات المتحدة	قيمة صادراتها الى بريطانيا العظمى
١٩١٣	٢٠ مليون جنيه	١٠ مليون جنيه
١٩١٧	٢٩ « «	١٠ « «

سنة	قيمة وارداتها من الولايات المتحدة	قيمة وارداتها من بريطانيا العظمى
١٩١٣	٨ مليون جنيه	١٢ مليون جنيه
١٩١٧	١٣ مليون جنيه	٦ مليون جنيه

ولكى لانكثر من هذه الجداول نكتفى بأن نقول أن صادرات الولايات المتحدة الى جمهورية شيلى زادت الى أربعة أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب كما زادت وارداتها منها الى سبعة أضعاف وأن الولايات المتحدة أصبحت تستنفد أكثر من ربع صادرات جمهورية الارجنتين بعد أن كانت أوربا تستنفدها كلها . وان ماتستنفده الولايات المتحدة من صادرات البرازيل أصبح بعد الحرب ٤٧ فى المائة وكان قبلها ١٥ فى المائة وان مقدار ما كانت بريطانيا العظمى تصدره من الفحم الى البرازيل قد نزل من مليون و ٢٦٧ الف طن الى ٢٠٥ الف طن بينما ارتفع مقدار ماتصدره اليها الولايات المتحدة منه من ٢٦١ الف طن الى ٥٥٤ الف طن . ولعمرى تلك أرقام تنطق بأبلغ عبارة لتقول أن تجارة أوربا مع القارة الامريكية سائرة الى الاضمحلال فالزوال . ولا شك أن كل يوم يمر إنما يدعم هذه العلاقات التجارية الجديدة ويوطد مركز الولايات المتحدة فى القارة الامريكية وهكذا يتقلص ظل أوربا رويداً رويدا عن تلك القارة كما أخذ يتقلص من الشرق الاقصى فى آسيا

هل تتحقق فكرة الجامعة الامريكية ؟

بيد أن الخطر الذى يتهدد أوربا من الولايات المتحدة لايقف عند حد المسائل المالية والاقتصادية فان هناك خطرا آخر لو تحقق وظلت أوربا على ماهى عليه من تنابذ وتخاصم لوجب أن نقول على أوربا السلام

ذلك ان فى أمريكا اليوم تيارا فكريا قويا يقول بوجوب اتحاد القارة الامريكية تحت لواء هو ما يسمونه « الجامعة الامريكية »

وليست فكرة الجامعة الأمريكية فكرة خيالية تبسم لبعض المفكرين فيهيمون وراءها فى أودية الشعر والخيال وإنما هى فكرة جدية تشغل بال رجال الاقتصاد والمال فى الدنيا الجديدة الى حد جعلهم يؤسسون من أجلها الجمعيات ويعقدون المؤتمرات فى سبيل تحقيقها

ففى سنة ١٩١٥ انعقد المؤتمر المالى الاول للجامعة الامريكية بمدينة واشنطن. وفى سنة ١٩١٦

انعقد المؤتمر الثانى فى مدينة بيونوس ايرس وتأسس اتحاد عمال الجامعة الامريكية فى مدينة بالتيمور لتوحيد نظام العمل فى القارة ولمحو أسباب الخلاف بين جمهورياتها . وفى سنة ١٩١٩ انعقد المؤتمر التجارى للجامعة الامريكية بمدينة واشنطن . وفى سنة ١٩٢٠ انعقد المؤتمر المالى الثالث للجامعة الامريكية ولا يمضى عام إلا وينعقد مثل هذا المؤتمر للدعوة الى اتحاد القارة مبينا ما يترتب على هذا الاتحاد من المزايا والفوائد

أما الوسائل التى يعمد اليها أصحاب هذه الفكرة لتحقيقها فهى :

أولا : السعى لتوثيق العلاقات والروابط المالية والتجارية بين جمهوريات القارة

ثانيا : توحيد العملة فى القارة وتسهيل المعاملات بين أطرافها بانشاء مصرف متشعب الفروع فيها

ثالثا : الغاء الضرائب المفروضة على التجار والسائحين الذين يغدون من أمريكا الشمالية الى أمريكا الجنوبية وبالعكس والغاء الرسوم التى تدفعها سفن كل جمهورية فى موانى الجمهوريات الاخرى

رابعا : انشاء أسطول تجارى لنقل البضائع بين الامريكتين يقوم مقام الاسطول الاوربى الذى يتولى هذه العملية الآن

خامسا : إقامة المعارض الصناعية والتجارية وتكون قاصرة على صناعة القارة وتجارتها

سادسا : ابرام معاهدة تحكيم لفض كل خلاف يقع بين احدى جمهوريات القارة وغيرها

سابعا : ابرام معاهدات لحماية الصناعة الامريكية ووضع اتفاقات لتوحيد رسوم البريد

ثامنا : تسهيل طرق المواصلات بانشاء خط حديدى يصل ما بين نيويورك وبيونوس أيرس غير أن هذه الجهود والمساعى المتواصلة كانت ولا تزال تصطدم بعقبة كأداء هى السبب الأول والاخير فى عدم تحقيق معظمها حتى اليوم . وهذه العقبة هى اعتقاد بعض الجمهوريات الجنوبية ان الجامعة الامريكية اذا تحققت كان من وراء تحققها اتساع سلطات الولايات المتحدة وامتداد نفوذها الى سائر أرجاء القارة بحيث تصبح أمريكا بأسرها منطقة نفوذ سياسى واقتصادى تستثمرها الولايات المتحدة كما تستثمر اليابان الصين وغيرها من بلاد الشرق الاقصى

واذا أضفنا الى هذا الاعتقاد أن الولايات المتحدة لا تربطها بأمريكا اللاتينية رابطة الجنس ولا الدين ولا اللغة سهل علينا ادراك الصعوبات التى تعترض الساعين الى ايجاد الجامعة الامريكية وتبين لنا انه لابد من أن تثبت الولايات المتحدة لجاراتها حسن نيتها وان تقدم الدليل مرة أخرى كما قدمته فى الحرب الكبرى على أنها لا تبتغى التوسع والاستعمار . وبذلك تطمئن أمريكا اللاتينية الى فكرة الاتحاد الامريكى وتعمل على تحقيقه . ولقد يسوق الله حادثا تستغله الولايات المتحدة لتحقيق هذا المشروع الخطير كما ساق لبيسمارك الحرب السبعينية فاستغلها لخلق وحدة الامبراطورية الالمانية

وعندئذ يحق للمفكرين أن يتساءلوا عما يكون من موقف أوربا حيال هذا الخطر العظيم اتقابله باتحاد أوربى كما يفكر فيه المسيو اريستيد بريان وزير خارجية فرنسا فى هذه الايام ، يقف أمام هذه الكتلة الضخمة أم تظل فيما هى فيه فتضمحل وتبيد ؟

النحالة المصرية فى قديمها وحديثها

أن تربية النحل الحاضرة فى مصر صورة مما كانت عليه منذ آلاف من السنين عند أجدادنا. فاذا كان لنا أن نفتخر بان مصر القديمة كانت أسبق الممالك الى العناية المنظمة بتربية النحل على أساس شبه علمى، فلنا فى الوقت ذاته أن نخجل من أننا لا نزال عالة على معارف الاجداد المحدودة التى أصبحت لا تتناسب ومعارف هذا القرن الذى رائده العلم المدقق. ولكن يوجد مع الاسف من يدافع عن استمرار هذا الجهل، وبينهم موظفون فى الحكومة. وهذا ما يدفعنى لان أقول ان الاصلاح يجب أن يكون فى أيدى رجاله لا أن يترك أمره للرجعيين، ولا مفر لوزارة الزراعة المصرية من تأليف لجنة استشارية مستقلة من الاخصائيين غير موظفيها ليكون لهذه اللجنة رأى حر فى مسائل الاصلاح الذى لا بد من تحقيقه عاجلا اذا كنا نريد حقيقة انعاش تربية النحل العصرية فى مصر

وثمة مسائل أخرى عظيمة الاهمية جديرة باتباعها وقد أتيح لى شخصيا عرضها على وزير الزراعة بالنيابة عن «رابطة نحالى النحل» التى تمثل اتحادا دوليا جديدا للنحالة مركزه مدينة القاهرة والى ألخص أظهرها فيما يلى :—

(١) تخفيض الضريبة الجمركية على أدوات تربية النحل المجلوبة من الخارج واعتبارها أدوات زراعية — ذلك لاننا فى حاجة ماسة الى هذه الادوات لتكون على الاقل نماذج مضبوطة القياس ينسج على منوالها

(٢) الاتفاق مع مصلحة السجون على صناعة المستطاع من أدوات النحالة العصرية حتى يمكن الحصول عليها بأثمان معتدلة تشجع على انتشارها، ولن يشق على الحكومة صناعة حتى الاقراص المعدنية محليا بعد الاتفاق المناسب مع أصحاب الامتياز، وفى ذلك خدمة جليلة للنحالين المصريين

(٣) رفع القيود عن توريد النحل الخارجى متى كان مجلوبا من مناطق خالية من الامراض بشهادات حكومية كايطاليا و يوجوسلافيا، لانه من العجيب أن يطبق القانون تطبيقا حنبليا معكوسا يؤدى الى تحريم ورود هذا النحل من البقاع النظيفة كما هو ثابت علميا، و يسمح بتوريده من جهات لا يوجد دليل على على سلامتها ! ونتيجة هذا التصرف الغريب أننا نجد صعوبات فى الحصول على النحل الايطالى وعلى النحل الكرنيولى (الذى هو أهدأ نحل فى العالم يناسب المبتدئين والاطفال والسيدات وتلاميذ المدارس) فى حين لا مانع نلقاه ازاء استيراد النحل القبرصى الشرس !

(٤) منع دخول العسل الاجنبى مالم يكن واردا من مناطق أجنبية سليمة، اذ من العجيب أن هذا المنع غير موجود فى حين أن العسل الموبوء بفلور الجراثيم الممرضة خطر عظيم على النحل المصرى اذا ما تسرب جانب منه الى النحل، وهو أمر غير مستحيل الوقوع

(٥) منع استعمال الكوائر (الانابيب الطينية) الخطرة على مستقبل النحالة المصرية بتشريع خاص بعد خمس سنوات مثلا، على أن ينقص العدد المستعمل منها بمقدار عشرين فى المائة سنويا. ويقابل ذلك تشجيع النحالة العصرية بين الفلاحين بواسطة جمعيات التعاون

ولا يمكن فى هذا المجال أن يؤخذ بنظرية أن التجارة الحرة، لان الحرية يجب أن تكون فى

حدود المصلحة العامة . والانابيب الطينية ليست كتاباً مفتوحاً بل هى مرتع خطر مستور للامراض اذا ما تسربت اليها . وقد جربت أمم راقية كالولايات المتحدة وزيلاندا الجديدة وسائل التشجيع وحدها فلم تكف لرفع هذا الخطر ، وبقى فريق من الناس متشبثاً بالعقائد العتيقة الضارة وبالاقتصاد المعكوس الى أن أنقذ التشريع الموقف

(٦) تشجيع الابحاث العلمية عن النحل فى معامل وزارة الزراعة ، لان الفكرة التى يبثها فرع تربية النحل التابع للوزارة عن سلامة النحل فى مصر من الامراض لاتقوم بتاتاً على أساس علمى ، ولابد فى نظرى من استقصاء لهذه المسألة الهامة

(٧) ابطال الخلايا الانجليزية العقيمة المستعملة فى فرع تربية النحل التابع للوزارة واستبدالها بالخلايا الامريكية الدولية الانتشار والشائعة فى جميع الاقطار التي تنظر الى تربية النحل نظرة تجارية صميمة وذلك لقلة نفقاتها ولسهولة استعمالها ولمساعدتها على تكوين طوائف قوية . وغير خاف أن الجمهور يقتدى بمنحل الوزارة ، فمن الضرر البليغ أن يكون هذا المنحل بؤرة للرجعية بدل أن يكون مصدراً للاصلاح . ومن العيب أن تتدخل السياسة حتى فى تربية النحل فترغمنا على الاخذ بالاساليب الانجليزية حتى نبقى أسرى لمصانع انجلترا فى حين أن المصلحين من الانجليز أنفسهم أخذوا يثورون على هذه الاساليب

(٨) التعاون مع وزارة المعارف ومع مجالس المديريات على نشر تربية النحل فى المدارس وخصوصاً الاولية والابتدائية منها باعتبارها جزءاً من فلاحة البساتين وعلم الاشياء أو علم الحيوان والتاريخ الطبيعى ، إذ لا فائدة من هذه التربية اذا اقتصرت على فريق معين من الناس ولم تنتشر انتشارا شعبياً ابتداء من البيئات المدرسية

(٩) انشاء معهد للتخصص فى تربية النحل يكون طلبته أساساً من بين متخرجى المدارس الزراعية وهذا شأن الممالك الراقية . وهذه جامعة كرنل (Cornell University) فى أمريكا علاً كرسى الاستاذية للنحالة فيها العلامة المشهور الدكتور فلبس

(١٠) الاهتمام بالحركة الدولية لانهاض تربية النحل ، وسيكون من مظاهرها فى مصر مؤتمر النحالة الاممى الذى سيعقد بالقاهرة فى فبراير المقبل . ومن الخير لنا أن تشمل الحكومة هذا المؤتمر برعايتها

•••

هذه طائفة من المسائل الهامة التى لابد لنا من معالجتها لاجل انعاش النحالة المصرية . ويسرنى أن دعوتى اليها وعناية الصحافة بتمديدها — وفى مقدمتها (المجلة الجديدة) — كان ذا صدى محسوس حتى فى مجلس النواب . وأمل كبير فى اهتمام حكومتنا الدستورية بهذا النقد البرىء المقصود به خير الوطن وخدمة العلم

الدكتور احمد زكى أبو شادى
سكرتير رابطة مملكة النحل ومحرر مجلتها

احساس النبات

اشتهر السير بوز العالم الهندى بأبحاثه فى إحساس النبات وقد اخترع آلات وأجهزة لقياس الحركة فى النبات عرضها على الجماهير فكانت محل الاعجاب . وهو يرى أن للنبات أعصاباً تحس كما للحيوان وأنه ينبض نبضاً قريباً فى الشبه من نبض القلب فى الانسان . وهو يرى أن هذا النبض هو حركة دفع العصارة من الجذور الى سائر الجسم فى الشجرة



غصن من الميموزا قبل أن يلمس باليد

وقد لاقت هذه التجارب معارضة كبيرة بين العلماء كما لاقت إعجاباً من الجمهور . ويرى العلماء أن ما يبدو لنا من النبات ليس حركة اعصاب أو إحساساً عصبياً كما نرى فى الحيوان لأن الاعصاب انما نشأت فى الحيوان لأنه يستجيب للوسط بالحركة دفاعاً أو هجوماً وقد نشأت له الحواس الخمس لهذا الغرض . أما النبات فثابت فى مكانه فما يبدو لنا منه انه إحساس انما هو فى الحقيقة تلك الصفات الاولى التى نجدها فى المادة الجامدة أى الجماد وإذا ارتقى عن ذلك فهو ليس إحساساً بالمعنى الذى نفهمه من انه نتيجة لجهاز عصبي وإنما هو تلك الخاصة المدارية التى نجدها فى أحط الحيوان

فالمادة الجامدة البروتوبلاسمية تستجيب أحياناً للاحماض بالتقبض والانفعال . والمحار الميت يمكننا أن نحركه بقطرة من الليمون ينقبض منها عندما تلامس جسمه مع انه ميت . وكثير من الاحياء الدنيا كالاميبة والاسفنج وكثير من النبات ينقبض وينفعل لا لانه يحتوى على جهاز عصبي بل لانه مادة بروتوبلاسمية تتأثر بالاحماض وغير الاحماض . ولا يمكن أن يسمى هذا التقبض إحساساً لاننا نراه فى الجسم الميت كما نراه فى الجسم الحى . وانما هو خاصة من خواص المواد التى تبنى منها الاحياء ولو لم تكن هذه المواد حية

وأول مراتب الاحساس هو الخاصة المدارية . وهذا نراه فى أحط أنواع الحيوان كما نراه فى كافة النباتات . وهو لا يحتاج الى جهاز عصبي . وهذه الخاصة المدارية هى تلك التي نراها فى الفراش عند ما يتجه أو « يدور » نحو الضوء . فالفراش يتهافت على المصباح بهذه الخاصة التى ترى أيضا فى النبات الذى تعرف له ثلاث خواص مدارية هى مدارية الضوء أى انه يدور أو يتجه نحو الضوء .

ومدارية الجاذبية أى ان الجذور تتجه الى أسفل بينما الغصون تتجه الى أعلى ومدارية الرطوبة أى ان الجذور تتجه نحو الرطوبة

فالمدارية أى الدوران نحو الشيء انجذابا اليه أو صدودا عنه هى الاحساس الوحيد الذى نعرفه فى النبات وهو الذى نراه فى الفراش حين يتهافت على المصباح . ولم يظهر للان فى تشريح النبات ما يمكن أن يسمى جهازا عصبيا

وأعظم مثال يقدمه القائلون بأن للنبات أعصابا برهانا على صحة دعواهم هو مثال الشجرة المعروفة باسم ميموزا أو « المستحية » وهى التى تذبل أوراقها حين نمسها بايدينا . لكن هذا الذبول ليس شيئا سوى الخاصة المدارية وهو لا يختلف من ذبول أوراق الذرة وقت الحر عند توهج الشمس أو من ذبول أوراق السنط عند الغروب

غصن من الميموزا بعد أن لمس باليد

وقد صنعت الات دقيقة للوقوف على حركة النبات . فمن ذلك أن صورت حبة شرعت تنبت . فكانت تؤخذ لها صورة كل ١٥ دقيقة واستمرت الحال كذلك حتى ضربت جذورها فى التربة . ثم عرضت هذه الصور كل ١٥ صورة فى ثانية عرضا سينمائيا وبذلك أمكننا أن نزيد سرعة النمو فى النبات ٥٠٠ ر١٣ مرة . وفى هذه الحال يرى الجذر وهو يسير فى التربة كالدودة يتوقى العقبات ويتجه نحو الرطوبة

ولكنه مع ما يبدو عليه من نشاط أو تنبه حيوانى انما يتحرك بالخاصة المدارية فقط وليس له جهاز عصبى يهديه فى طريقه

وانما نشأ الجهاز العصبى فى الحيوان لأن حياته تقتضى ذلك ، أما حياة النبات فراكدة ليس فيها اختيار أو ارادة

غاندى وبيلاطس

منذ نحو ١٩٠٠ سنة أسلم بيلاطس الرومانى مسيحه البرىء لكى يقتل وهو يعرف أنه برىء. وفى الشهر الماضى أسلم بيلاطس الانجليزى للسجن بريئاً آخر هو العظيم غاندى وهو يعرف أنه برىء.

وغاندى يتكلم بلغة المسيح وبيلاطس الانجليزى يتكلم بلغة بيلاطس الرومانى. فهناك فى الهند يقوم الآن صراع بين المادية الانجليزية والروحية الانسانية كما قام قبل نحو ١٩٠٠ سنة صراع بين الجبروت الرومانى والحق الانسانى

يقول غاندى فى بداية زحفه الى الشاطىء: «انى أشرع فى هذا الزحف وأنا مدفوع بالحب الهنود وانى أريد أن اهدى الانجليز الى الحق دون أن أوذيهم» ثم يقول: «مادامت روح الحب هى التى تهدينى فى سيرى فسوف يجرى كل شىء على مايرام وقد قال أحد حكماء الهنود السالفين أن الاحقاد تذوب أمام الحب».

ولهذه الكلمات رنين فى أذهاننا يشبه الصدى لتلك الكلمات السامية التى كان ينطق بها الجليل العظيم أمام بيلاطس الرومانى. ولكن اليد الحديدية التى تحكم الهند الآن لاتختلف من تلك اليد الرومانية المشئوم التى كانت تحكم فى أورشليم قبل تسعة عشر قرناً ولذلك فان بيلاطس الانجليزى يقابل كلمات الحب بالكراهة والحقد ويحارب الوداعة الانسانية بالتوحش البهيمى ويكبل غاندى ويزجه فى السجن. ولكن غاندى قد جسمه وعريه أقوى نفساً وأنبل روحا من خصومه إذ تجد فيه صبراً بلا جزع وضعفاً حاضراً يغيه بقوة فى المستقبل. وكما مات بيلاطس وكما عبثت الدولة الرومانية وانتصر المسيح فى النهاية كذلك ستموت الامبراطورية البريطانية وتعيش تعاليم غاندى ويغلب الحب على الكراهة والعدل على الظلم. ويأتى يوم يذكر فيه غاندى مع الاحترام بل التقديس ولاتذكر فيه الامبراطورية البريطانية كما تذكر الآن المسيحية بعد أن نسينا الدولة الرومانية

ولامحيص لنا من أن نؤمن بذلك وإلا فكيف يمكننا أن نعيش بدون أن نؤمن بالكرامة الانسانية وتغلبها فى النهاية على الدناءة الشيطانية؟

س. م

الاستهواء فى الحيوان والانسان

الاستهواء هو مايسمى عادة باسم « التنويم المغنطيسى » وهو يمارس فى الانسان بطرق مختلفة وان كان الناس يتفاوتون فى مقدار استعدادهم له . فنهم من تؤثر فيه احدى الطرق بيناهى لاتؤثر أقل أثر فى غيره

ويمكن استهواء الحيوان أيضاً كما يستهوى الانسان . ولكن الطريقة تختلف . وذلك أننا فى استهواء الانسان قد نستعمل الايحاء باللفظ والكلام بل الايحاء بهذه الطريقة أكبر مايعين على استهواء الانسان . فقد نقول له : أنت الآن قد ثقل جفنك وذبلت عينك ، أنت ستنام قريباً . ذراعك هذه لايمكنك أن تحركها . هذه الساق قدجمدت . أنت الآن قد نمت تماماً . أنت لاترانى ولوفتحت عينيك لأنك أعمى . وهلم جرا من هذه الايحاءات التى يسمعها النائم فيتلقنها ويصدقها و يعمل بها

ولكن الكلب أو الضفدع أو الثعبان لايمكننا أن نستهويه بهذه الطريقة لأنه لا يفهم كلامنا . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نستهويه فنجعله يجمد عن الحركة ونجعله يتخذ وضعاً خاصاً لا يستطيع مخالفته واذا درسنا طريقة الاستهواء فى الحيوان أمكننا أن نعلل الاستهواء فى الانسان ونفهم أشياء أخرى خاصة بالعقل الباطن



الاربيان (اللوبستر) فى أوضاع مضحكة بعد الاستهواء

والطريقة التى تتبع فى استهواء الضفدع هى أن يقبض عليه ثم يسطح على ظهره ويمد جلده تمديداً خفيفاً يتدرج فى البطء والخفة ثم يقلب الضفدع فجأة ويوضع فى الوضع الذى يراد منه . عندئذ يقف الضفدع متخذاً هذا الوضع لا يتحرك ولا يتغير منه . ويمكن أن نعمل مثل ذلك مع

الاربيان الحيوان القشرى المعروف نضع يدنا عليه ثم نمده قليلا ثم نفاجئه بوضع آخر يأخذ به على غرة وفى شبه العنف فيلزم هذا الوضع لا يغيره. وقد نجعله يتخذ وضعاً مضحكا. وكذلك نفعل مع الدجاج نقبض على الديك فنجعله ينبطح ويمد قدميه الى خلف وعنقه الى الامام ونمده قليلا ثم نفاجئه بوضع آخر كأن نسطحه على ظهره. فيلزم هذا الوضع الى أن نوقظه منه

وبعض الحواتين فى الهند ومصر يمكنهم أن يقبضوا على الثعبان السام بهذه الطريقة يفاجئونه بقبضة أو ضغطة لعنقه من الخلف فيجمد ولا يستطيع تحريك أنيابه للدفاع

والاستهواء فى الحيوان هو الى الآن جمود فقط. ويمكننا أن نحدث مثل هذا الجمود فى الانسان فى بعض أعضائه أو فيها كلها ما عدا الاعضاء التى تتوقف عليها حياته فى نومه. ولكن الاستهواء فى الانسان يزيد على ذلك لاننا بقوة الايحاء يمكننا أن نتفاهم معه وهو نائم فنجعله يؤدى اعمالا نطلبها منه بالكلام

والآن علينا أن نسأل كيف نستطيع استهواء الحيوان فنجعله يجمد عن الحركة ويبقى فى الوضع الذى نريده منه ؟

ضفدع منبطحة جامدة لاتستطيع حراكا

وللاجابة على هذا السؤال يجب أن نلاحظ أننا عندما نرعب من كلب مفاجىء أو من شخص نخشاه أو منظر كريه مخيف. ففى مثل هذه الاحوال يحدث كثيرا أننا بدلا من أن نجرى ونهرب نقف فجأة عن الحركة ولا نستطيع أن نريم عن مكاننا واذا اشتد بنا الرعب كما اذا فاجأنا لصوص لم نستطع الكلام. ومعنى عجزنا عن الكلام أن « جموداً » جزئياً قد استولى على المركز العصبى الخاص بأعضاء الكلام. وأحياناً لشدة الرعب المفاجىء أيضاً يغمى علينا فلا نتحرك ولا نتكلم

والى هنا نفهم أن الرعب المفاجىء يقف الجسم أو بعض الجسم عن الحركة وأحياناً أيضاً عندما يخطر ببالنا شىء كذكرى مفاجئة لشىء نسيناه نرى أنفسنا قد وقفنا فجأة فى الشارع

فهذا كله يدلنا على أننا اذا انحصر انتباهنا فى شىء مفاجىء عجزنا عن الحركة أو عن بعض الحركات. وهذه خاصة من خواص الجهاز العصبى فى الانسان كما هى من خواص الجهاز العصبى فى الحيوان. ولعل الاصل فيها أن يتوفر الحيوان وهو ساكن على درس هذا الظرف المفاجىء ليتخذ حيطته ازاءه. ولكن اذا كان هذا هو الاصل فقد تجاوزت الطبيعة الغاية وجعلت من هذا السكون جموداً وذلك أن الجمود هو فى طبيعته سكون قد بولغ فيه. والمبالغة فى الطبيعة كثيرة تنشأ الصفة ثم تسير بها الطبيعة الى أقصى غايتها وقد تنتهى بالمبالغة الى انقراض النوع كما حدث فى أحد الببرة الذى نمت أنيابه حتى عاقته عن افتراس فريسته وانقرض بذلك

ولكن هذا السكون الذى بالغت فيه الطبيعة حتى جعلته جموداً قد وجدت فيه فائدة للحيوان قابتنه . وذلك أن فراخ الطير مثلا اذا فوجئت وهى فى عشها بجارح يريد افتراسها جمدت . وجمودها هذا يقيها من الافتراس لأن هذا الجارح لايدرى من السكون المخيم حوله مكان هذه الفراخ . وضعاف الحيوان تجمد عن الحركة اذا فوجئت أيضاً وجمودها ينقذها فى أحيان كثيرة . ومن هنا نفهم لماذا « يتماوت » الثعلب اذا فوجىء فتماوته هذا الذى ننسبه الى مكره وخبثه هو فى الحقيقة جمود يحدث له من المفاجأة وينقذه أحياناً كثيرة لأن بعض الوحوش يكره طعام الميتة

وهذا الجمود الذى يحدث لفراخ الطير وقت الفزع وللثعلب وقت مطاردته هو نفسه الجمود الذى نحدثه نحن للحيوان بمفاجأته بحركة مرعبة تستوعب كل انتباهه . وهو نفسه هذا الجمود الذى نحدثه للانسان عندما نمد ساقيه ونجعله ينظر لشىء لامع ينصرف اليه بكل عقله . ولكننا مع الانسان نستعين باللغة لكى نوحى اليه مانريد منه أن يعمله

وهذا الجمود نفسه هو الذى نراه فى حلم الكابوس . فان الكابوس يرعبنا بمثل مايرعب الفراخ أو الثعلب من فزع مخيف ولذلك نحاول وقت الحلم أن ننهض فلانستطيع . ونحن فى الاحلام نعود الى أطوارنا القديمة حين كان الجمود نوعا من الاستجابة التى التى يستجيب بها الحيوان للظرف المفاجىء

ولكن الاستهواء فى الانسان زيادة عما يمكن احداثه من الجمود للجسم أو لبعض أعضائه يمكننا أيضا أن نؤثر بالكلام الذى نوحى به أفكارنا الى الشخص النائم فنوهمه أن به حمى فتزداد حرارته بالفعل ويمكن قياس الزيادة بالترمومتر . ويمكننا أن نوهمه أن بذراعه مثلا ورما فترى الورم يظهر فى ذراعه ونوهمه بأن به اسهالا فيسهل بالفعل . وهذا يدلنا على اتصال العقل الباطن بالاحشاء . ويمكننا أن نوحى اليه القيام بعمل ما بعد شهر أو سنة فاذا جاء الميعاد قام بهذا العمل وتعلل بعلة كاذبة للقيام به . ويحاول بافلوف الان أن يوحى الى الكلاب بعض الاشياء ليرى هل يعلنها القيام بها بعد استيقاظها من الاستهواء أم لا . ومن المعلوم أننا نتفاهم مع الكلاب ببعض الالفاظ فليس هناك حسب الظاهر مايمنع تأثرها بالايحاء وقت الاستهواء

ضفدع أخرى منوّمة

المصريون امة غير شرقية

من محاضرة للدكتور محمد شرف

هذا هو خلاصة المحاضرة التي القاها الدكتور محمد شرف في المجمع المصري للثقافة العلمية. وهو لم يقل ذلك بالحرف ولكن هذه هي النتيجة التي يستنتجها الانسان من هذه المحاضرة

وقد بدأ بذكر الفروض التي توهمها الباحثون أصلا للمصريين القدماء. ففندها الواحد بعد الآخر. نذكر منها ذلك الفرض الذي فرضه العالم شوينفورث وهو أن المصريين جاءوا مصر من اليمن أي أنهم ساميون مثل السوريين والعرب. وقد دعم هذا الفرض بأن مصر جلبت الجميز والسوقم واللبخ من اليمن. ولكن يرد على ذلك بأن المصريين عرفوا اليمن من زمن بعيد جداً وكانوا يجلبون منها التوابل والطيوب فليس من حقنا أن نستغرب جلبهم للاشجار أيضاً ولايستدعي هذا وحدة الاصل بين المصريين واليمنيين. ولو كان المصريون من أصل يمني لاستأنسوا الجمل وهو حيوان عربي قديم مع أن الواقع أننا لانرى صورة هذا الحيوان على مقابرهم بل نرى أن جميع دواجنهم كانت من تلك الحيوانات التي تعيش في شمال افريقيا

وهناك جملة طرق استعملها العلماء في تعيين الامم وإلى أي السلالات البشرية تنتمي. فهناك الدليل الرأسي أي هل الرأس مستطيل أو مستدير. ولكن اتضح أن للاقليم أثراً في تغيير شكل الرأس فاليهودي هو من سلالة سامية ولكن رأسه يستطيل أو يستدير تبعاً للاقليم الذي يعيش فيه. وكذلك الحال في سائر الطوائف البشرية

وقد أستعمل الشعر من حيث شكله الميكرسكوبي إذا قطع بالعرض هل هو أهليلجي أو مستدير أو غير ذلك فوجد أن هذه الطريقة لاتعين السلالة فان الاسترالي القديم والاوربي الحديث يتفقان في الشكل الميكرسكوبي للشعر مع أنهما بعيدان جداً من حيث السلالة

وبحث اللون أيضاً وهو أقدم المميزات للسلالات البشرية وأضعفها وأسخفها وقد اتضح أنه ثمرة الأقليم ومقدار الضوء الذي تشعه الشمس. وليست الصبغة السمراء أو السوداء التي تصطبغ بها البشرة عند بعض الشعوب البشرية سوى الوقاء الذي يقي خلايا الجسم من الاشعة الاكتينية التي في ضوء الشمس

فلم يبق إذن سوى طريقة واحدة يعول عليها في تعيين السلالة وهي الفحص عن الدم. وهناك أربعة أفرقة بين الناس من حيث الدم لكل فريق خواصه الدموية:

١ — فدم الفريق الاول لايظهر أي التباد في كريات الدم الحمراء باضافة أي مصل كان اليها

٢ — وفى الفريق الثانى تتلبدُ الكريات بمصل الفريق الثالث . أي أن فى هذا الدم اجلوتينوجين أو مادة ملبدة أطلق عليها حرف ا

٣ — وفى الفريق الثالث تتلبد كريات الدم الحمراء بمصل الفريق الثانى أى أن فى هذا الدم اجلوتينوجين سمى بحرف ب

٤ — وفى الفريق الرابع تتلبد كريات الدم بمصل الفريق الثانى والثالث أى أن فيها الاجلوتينوجين ا و ب

ولما بحثت نسبة توزع الاجلوتينوجين ا إلى ب فى كل شعب من الشعوب التى بحثت دماؤها وجد أنها تقع فى ثلاثة أطرزة . الطراز الاول الاوربى ونسبته من ٢ إلى ٤ . والطراز الاسيوى ونسبته أقل من واحد وبينهما طراز متوسط نسبته من ١ إلى ٢ وكانت هذه الابحاث مقصورة على الجنود فى الحرب الكبرى . ثم زادت هذه الابحاث دقة حتى صارت الاطرزة ستا . وثبت أن تمييز الشعوب على أساس الفرق فى الدم يطابق توزعها الجغرافى ويوضح الفرق بين شعب وآخر أكثر جداً من الطرق القديمة

ولاشك فى وجود علاقة مؤكدة بين خواص الدم ومنشأ الشعوب لأن خواص الدم المتعينة وهى ا و ب تورث بحسب ناموس منديل . وقد ثبت أن لكل فريق من الافرقة الاربعة دمه الذى لايتغير بالاقليم أوالمرض أوالعمر أو الغذاء مالم تختلط نسبه بمصاهرة أرباته بسلالات غريبة . أردت تطبيق هذه الظاهرة فى تعيين مقام المصريين بين سلائل البشر أوشعوبه وتعيين أصولهم فاخذت دماء ٣٠٦٤ فرد من مختلف الناس المترددين على مستشفى الملك أوعيادتى الخاصة وكلهم من العامة والطبقة الوسطى ومن بين هؤلاء حلل الدكتور لويس عوض نحوا من ١٣٠٠ دم وحللت بنفسى الباقين عدا خمسة أقباط من تحليل الدكتور محمد على .

وكانت نتيجة هذه الابحاث وجود التجانس فى النسب المئوية فى جهات القطر المختلفة ٧ و . ماعدا القاهرة والقليوبية والجيزة . وهذه النسبة نفسها (٧٠ و ١) هى التى وجدت بين الاقباط الذين احتفظوا بقوميتهم وتحدرت دماؤهم من المصريين القدماء ولم يختلطوا بالعرب أو السوريين منذ ١٣٥٠ عاما . واذا كان للاختلاط بالعرب اثر باق فهو فى مديريتى القليوبية والجيزة والقاهرة أما ماهناك من قبائل الاعراب النازلين فى الصحراء الشرقية لوادى النيل فلم يختلطوا بالفلاحين . والاعراب النازلون بالصحراء الغربية هم من أصل بربرى وهم يتحدون فى النسب الاصلى مع سائر السكان المصريين . ولم تحلل دماؤهم بعد

فمن هذا البحث فى الدم يتضح أن المصريين هم من الطراز الأول الذى ذكرناه آنفا وهو الطراز الاوربى (من ٢ الى ٤) وليسوا من الطراز الاسيوى الذى نسبته أقل من واحد

والآن اذا لم يكن المصريون من أصل اسيوى فهل هم من أصل افريقى ؟

اذا فرضنا أن المصريين كانوا يجلبون من العبيد السود كل سنة نحو ٣٠٠٠ زنجى فان عـــدد

من دخل مصر الى الآن يبلغ نحو ١٢ مليون زنجى . ولو كان المصريون يختلطون بعبيدهم لحدث انقلاب هائل فى وجوههم وأجسامهم وهو مالا نراه الآن . ثم هناك شاهد آخر وهو أنه يصيب الزنوج فى افريقيا دودة معقفة تشبه دودة الانكلستوما عندنا وهذه الدودة الزنجية لم يصب بها للآن مصرى واحد لان دماءنا ليست دماء الزنوج

واذا بحثنا الشواهد التاريخية من بقايا العصر الحجرى ونقوش أسلافنا وتماثيلهم فى مصر وجدنا انهم يشبهون الشعوب التى عاشت حول حوض البحر المتوسط أى الشعوب الاوربية التى نرى الآن فى جنوب أوربا . وقد قال اليوت سمث أن المصريين البدائيين كانوا متصلين بأوثق الروابط الشعبية والسلالية مع سكان حوض البحر المتوسط فى العصر الحجرى . وقد ثبت الآن أن لغتهم لا علاقة لها بآسيا أصلا . وقد احتفظ الفلاحون الى الآن بالشكل المصرى القديم لا فــرق فى ذلك بين المسلمين والاقباط

ومما يلاحظ أيضاً أن الحيوانات القديمة التى نرى احافيرها فى مصر للآن تمت الى أوربا وشمال افريقيا الغربى واذا أردنا أن نجد ما يقابلها الآن فعلينا أن نوجه أنظارنا نحو الجزائر وفرنسا واسبانيا و برتغال أكثر من توجيهه نحو آسيا أو افريقيا

وقد يظن أن العرب الفاتحين اختلطوا بالمصريين ولكن المعروف عن العرب الاهتمام بالانساب ولذلك فانهم لم يتزاوجوا مع الفلاحين . وقد هاجروا مصر الى شمال افريقيا الغربى وكان المستنصر سنة ١٠٤٨ يدفع لكل عربى ديناراً لكى يرحل عن القطر المصرى . وقد بلغ عدد هؤلاء المهاجرين ٤٠٠،٠٠٠ عربى وقد قتل معظم الأعراب فى الحروب وقتل منهم بيبرس عدداً عظيما جداً وكان يعرفهم بأن يستنطقهم لفظة دقيق فاذا نطقوها كالمصريين خلى عنهم والا قتلهم . أما المماليك والاتراك فلم يصهروا الى المصريين إلا بمقدار ما أصهر الانجليز الى المصريين فى عصرنا وعلى ذلك يمكن أن نقول أن مصر الحديثة هى نفسها من حيث السلالة مصر القديمة وأن الفحص عن الدم يثبت أنها غير افريقية وغير أسيوية وانما أوربية أى تنتمى الى الشعوب التى تعيش حول البحر المتوسط

اشتقاق الالفاظ العربية

قد تكون المعاجم العربية من الذ الكتب مطالعة للقارىء لانها مع قدرتها على الاداء وتنوع المعانى مازال المسحة البدائية ظاهرة على اشتقاق الفاظها بحيث يمكن الانسان أن ينظر من خلال الاشتقاق إلى الطرق الاولى التى استنبطت فى الاهتداء إلى معنى جديد من لفظ قديم

وقبل أن نشرح هذا الموضوع نقول ان اللغة العربية تمت بأصول كثيرة الى اللغات الآرية أى لغات أوربا . وهى لاتمت اليها عن طريق الحضارة الرومانية والاغريقية فقط بل أيضاً ترتبط بها فى الاصول الاولى . وهذا الارتباط لايمكن أن يدل الا على اشتراك فى الاصل والسلالة بين العرب والاوربيين . فقد يجوز لنا أن نقول أن قنطار ودرهم و بلاط من الالفاظ اللاتينية التى دخلت العربية عن طريق الحضارة والتجارة .ولكن هناك بعض الالفاظ التى لايمكن أن تفسر على هذا الوجه . فمن ذلك مثلا ضوء . وأرض

فلفظة أرض يعرف القراء أنها تشترك فى الالمانية والانجليزية والعربية فهل هذا الاشتراك ناشىء من الصدفة فقط أو يرجع الى اشتراك فى الاصل ؟ ثم ضوء . التى انقرضت الآن من اللغات الاوربية معروفة فى الاصول الآرية القديمة كيف يمكن أن نعزوها الى الصدفة أيضاً ؟ وهاتان اللفظتان تختلفان من سائر الالفاظ من حيث أنهما من أقدم الالفاظ التى نطق بها الانسان فى حالة البدائية فالاشتراك فيها ذو مغزى كبير جداً ويجب البحث عن سائر الالفاظ التى تجرى هذا المجرى لكى نعرف علاقة العرب القدماء بالآريين ونقف على أصل العربى هل هو اسيوى أو آرى أوكما نرجح ،خلاسى، نشأ من السلالتين ؟

ويعرف القراء أن هناك خلافا قائما بين القائلين بان سومر هى أصل الحضارة وبين من ينسبون هذا الأصل الى مصر . وزعيم الرأى الاول هو ليونارد وولى وزعيم الرأى الثانى هو اليوت سمث . وسومر هى أول دولة ظهرت فى النهرين أى العراق الآن . وتستخرج منها آثار قديمة لاتقل فى خطورتها عن الآثار التى تستخرج من مصر . وفى وسط هذا الجدال ظهرت لفظة واحدة رجحت الكفة المصرية وهى ان القمح الذى زرعه السومريون كانوا يطلقون عليه اسما مصريا ولم يوجد فى مصر نبات أطلق عليه المصريون اسما سومريا . فمن هنا نفهم ان السومريين تعلموا زراعة القمح وحملوه باسمه المصرى من مصر الى سومر

الدلالة الاجتماعية

لنشوء الألفاظ وتطورها دلالات اجتماعية وتاريخية تدلنا على تطور الذهن البشرى . ففى

للمرأة . وما زال الفلاحون عندنا يستعملون هذه اللفظة فى كلامهم عن الحيوان . ونحن نجد لفظين مشتقين منها هما الحياة والحيا . وذلك ان الانسان عند ما شرع يسمى الاشياء ويستنبط المعانى لم يستطع أن ينسب الحياة الا الى الحيا لأنه كان يرى بعينه ان الطفل يخرج منه فى الولادة . وكذلك عند ما شرع يستعمل اللباس صار يفهم الحياء بما له من علاقته بالحيا كما نفهمه نحن الآن . ومما يزيدنا فهما لذلك ان العامة تسمى الخصيتين « محاشم » من الحشمة . والاحتشام والاستحياء قريبان فى المعنى والفكرة . وهذا كله يدلنا على ان معنى الحياء انما نشأ فى ذهن الانسان لأنه كان يتهم نفسه من الناحية الجنسية

ولأولئك الذين يحبون البحث عن الارواح نقول ان اشتقاق الروح من الريح والنسمة من النسيم والنفس من النفس « بتحريك الفاء » واضح . وهو يدل على ان الانسان البدائى استنبط هذه المعانى المجردة من الهواء الخارج من الفم أو الأنف . فكان اذا راقب الميت ووضع يده على وجهه فوجد ان تنفسه قد انقطع اعتقد موته واشتق الروح والنسمة والنفس من هذا الشىء المحسوس الخارج من فمه وأنفه وهو هواء التنفس

ويبدو من الآثار القديمة ان الانسان كان يكتب على الطين يحفر عليه الألفاظ فاذا جف الطين استطاع أن يقرأها . ومن هنا العلاقة بين الحفر والحرف . فاللفظة الثانية مقلوبة عن الاولى للتمييز فقط ولكن هذه العلاقة تدلنا على نشوء الكتابة

ومن الدلالات التاريخية ما نجده فى المعاجم حين تفسر معنى « القطران » فتقول فى التفسير أنه « حياة الموتى » ولولا أننا نعرف الان أن المصريين القدماء كانوا يستعملون القطران للتحنيط وأن الجسم المحنط أو المومياء هو الجسم الخالد الى الابد لما فهمنا من معاجمنا معنى لهذا الكلام ولكن وجود هذا المعنى الى الان فى المعاجم يدلنا على أن ثقافة المصريين القدماء انتشرت حولهم فصار العرب يقولون معهم بان القطران حياة الموتى وان كانوا لا يمارسون التحنيط أو ربما مارسوه ثم انقطعوا عنه وبقى هذا التفسير لهذه الكلمة كالعضو الأثرى يبقى فى الجسم إلى ما بعد زوال فائدته

وربما كانت الالفاظ الدينية أوضح فى الدلالة على تطور العقائد وتسلسلها . ومعظم هذه الالفاظ غريب عن اللغة العربية لانجد له اشتقاقا مفهوما . فلا نعرف إلى الان أصولا للفظة جهنم أو شيطان وهذا يدل على أنهما دخلتا اللغة العربية من لغات أخرى أجنبية عنهما . فقد تكون هناك علاقة بين « شيطان » و « سيت » اله الظلام عند المصريين وعدو الرب هوروس . والاوربيون يقولون « سيتان » والسين كثيرا ما تقلب شينا بين العبرانية والعربية . وعلاقة العبرانيين بمصر واضحة

أما لفظة جهنم فالعلاقة قريبة بينها وبين « جهنا » التى تذكر كثيرا فى الاداب التوراتية وهى مشتقة من « جهنوم » أى وادى هنوم . وهنوم هذا واد يقع فى غرب اورشليم كانت تلقى فيه زبالة المدينة ورمم الحيوان ويحرق فيه المجرمون

وفى اعتبار جميع الالفاظ الدينية عند جميع الامم يجب ألا تنسى المصريين الذين اخترعوا الاديان والآلهة والعالم الآخر والتحنيط والصلاة. ولذلك فان لفظة « امين » التى تقال الى الآن فى آخر الصلاة هى نفسها لفظة « امون » الرب المصرى القديم. ونحن نقول « توتنخ امون » والاوربيون يقولون « توتنخ امين »

ألفاظ الحضارة

معظم الالفاظ التى تتعلق بأشياء الحضارة ان لم نقل كلها ترجع فى العربية الى اللغتين اليونانية واللاتينية. والفضل فى ايضاح هذه العلاقة يعود الى المستشرقين والى ابحاث كثيرة للدكتور صروف والاب انستاس الكرملى البغدادى. ولهذا الاخير أبحاث عجيبة فى أصول الكلمات العربية وهو يعتقد إن لغتنا تحتوى على نحو ٣٠٠٠ لفظة مأخوذة عن الاغريق والرومان

وهناك ألفاظ كنا نظن إنها عريقة فى العربية ولكنها بعد البحث يتضح لنا إنها يونانية أو لاتينية وأعظم مايبعث على الشك فى الأصل العربى لبعض الالفاظ هو أننا نجد اللفظة منفردة ليس حولها مشتقات منها لافعل ولا اسم ولاحرف. وقد توجد مشتقات ولكنها ليست ثلاثية الحروف لان الاسم الاجنبى وجد قبل أن يوجد الفعل المشتق منه

مثل ذلك لفظة « تاريخ » فانها مشتقة من « أورخ » اللاتينية بمعنى القديم. وللآن يسمى علم الآثار « ارخلوجية » فى اللغات الاوربية. وأول كتاب الف عن التاريخ فى اللغة العربية لم يكن يسمى « تاريخا » وانما سمى « علم القديم » ثم شاعت بعد ذلك اللفظة اللاتينية على نحو شيوع « تقويم البلدان » قبل لفظة « الجغرافية » كأن الذوق العربى يحتاج إلى التكرار حتى يألف اللفظة الاجنبية ويسيغها. وهو يؤثر الترجمة على التعريب إلى أن تتم له هذه الاساغة

ثم لفظة « قلم » من كان يظن أنها غير عربية؟ ومع ذلك فليس هناك شك فى أنها لاتينية بل كتاب الانجليز الآن عندما يقع لهم خطأ من « زلة قلم » يعبرون عن هذا الخطأ بعبارة لاتينية هى « ابس قلموس »

ونظن أنه لم يعد هناك شك فى أن قاش وزكاة وأدب ترجع إلى أصول لاتينية وأغريقية. فزكاة هى ذكات أى العشر. وأدب هو الكلام الحسن فى اليونانية. وقاش هو جودكس. ومن أغرب ما اهتدى اليه الكرملى هو تفسيره لسدرة المنتهى بأنها « سيدرا أولتيما » أى النجم الاخير أو آخر النجوم. وكأن العرب ترجموا لفظة وعربوا الاخرى

ومن الطبيعى أن تدخل الالفاظ اليونانية واللاتينية فى اللغة العربية بكثرة لأن عرب الحجاز وهم الذين سادت لغتهم سائر لغات الجزيرة كانوا تجاراً يتعاملون مع جميع الامم الواقعة حول البحر المتوسط. وكانت هذه الأمم قد بلغت درجة عالية من الحضارة فمن المعقول أن ينقل العرب الفاظهم كما ننقل نحن الآن الفاظ الاوربيين فى العلوم والثقافة العامة. ولو كان الحجازيون يعيشون

عرف واخلاق

بقلم الاستاذ يعقوب فام

لكل طائفة قانون عرفي للمعاملة والاخلاق، فالصنعة أياً كانت لها قواعد ودستور. وعلى الفرد أو الصانع أن يخضع لهذا الدستور قبل أن يقبل في زمرة أهلها. حتى اللصوص وقطاع الطرق لهم قانون عام يضبط علاقة الفرد منهم بزميله ويحدد لكل منهم اختصاصه وتصرفاته قبل الآخر، وذلك لانهم أهل صنعة واحدة ولأحدهم على الآخر حقوق الزمالة وواجبات المهنة. تلك سنة لم يضعها انسان عن قصد وانما هي اصطلاح وعرف وجدت بحكم الظروف وبحكم التعامل والممارسة فلا يجدي أن يتساءل الفرد عن العلة لوجود هذه القوانين العرفية أو منشأها. وانما هي أمر مشاهد ملموس وهي ظاهرة من ظواهر الاجتماع

والتجار وأرباب البيوت المالية طائفة من هذه الطوائف. لها هي الاخرى قانون أدبي Ethical Code تمارسه كطبقة قائمة بذاتها لها خواصها ومميزاتها التي تحملها شخصية مختلفة عن باقي الجماعات. وبالطبع تتأثر هذه الطوائف من البيئة الاجتماعية العامة التي تعيش فيها وتخدمها وتتكسب منها. فطبقة التجار في مصر تختلف عن اخواتها في اوروبا وأمريكا والهند وتتميز عنها ببعض العوامل التي اكتسبتها من البيئة الاجتماعية المحيطة بها القريبة منها، لكن لاولئك وهؤلاء كباقي الطبقات قانوناً اخلاقياً عرفياً تسير بموجبه وتتصرف تبعاً لاحكامه المتداولة التي نزلت للجيل المعاصر من الأجيال السابقة مع شيء طفيف من التعديل الذي طرأ عليه بمقتضى العوامل العامة في الأمة

فالقانون العرفي الذي تسير التجارة في بلادنا بموجبه هو هذا: التاجر والزبون عدوان يحاول كل منهما أن يخدع الآخر في الصفقة التجارية التي تعقد بينهما. والغرض الاساسي للتاجر أن ينال من الزبون أقصى مايستطيع أن يناله من المنفعة المادية العاجلة. وبعد ذلك يذهب الشاري لحال سبيله وتنقطع الصلة بينه وبين التاجر بعد هذا إلى أن تسوقه الصدفة إلى التاجر مرة أخرى

وبمعنى آخر لو كانت السلعة تباع بعشرين قرشاً واستطاع التاجر أن يبيعها بواحد وعشرين كان هذا من حسن التصرف والنبوغ في المعاملة التجارية. أما ماذا يشعر الشاري بعد أن يذهب إلى بيته ويقبل على الاستفادة من تلك السلعة فهذا أمر لايعني التاجر في شيء. والقانون العرفي الاخلاقي الذي يسير بموجبه ذلك التاجر لايتناول في تقديره هذا الشعور مطلقاً. لقد قبل الشاري السلعة وهو في الدكان ودفع ثمنها أما بعد ذلك فهو وما يريد. فلا يجب البحث فيما وراء ذلك

تتجلى هذه الظاهرة من ذلك القانون العرفي على اتمها في حالة ما اذا كان الشاري عابر سبيل لا

تربطه بالتاجر رابطة التعارف . عندئذ وفى هذه الحالة يكون القانون صارماً لاهوادة فيه ولارحمة يأخذه أخذاً قوياً ويطلق يد البائع فيه اطلاقا كانه أصبح من أسرى الحرب الذين يجوز عليهم ما لايجوز فى الظروف الاخرى

من هذا القانون العرفى نشأت الظاهرة العجيبة التى نشكو منها فى بلادنا . فهو الاصل فى ضياع الثقة عندنا بين البائع والشارى لان كلا منهما لايثق بالآخر ولايعامله على أنه رجل يؤخذ بكلامه وأنه رجل يحترم نفسه ويصدق فى قوله . بل يتعامل معه على زعم أنه منافق شديد الطمع كثير المغلو فى الاثمان لايهمه من أمر الشارى الا أن يستلب نقوده ويخدعه فى نوع السلعة وكميتها إن أمكن

وليس أمراً عجيباً ان ترى الشارى نفسه يعرض السلعة على أصدقائه فى الطريق وفى المنزل ويسألهم رأيهم فى ثمنها وفى نوعها . وذلك لان عدم ثقته فى التاجر تجعله لايطمئن إلى حكمه وتقديره الشخصى . لا بل تجعله يشكك فى فطنته وذكائه ويحاول أن يجد من رأى الجماعة عونا له على راحة باله واسترجاع بعض الثقة فى نفسه . فيدور الكلام بينهم جميعاً على مكان الصفقة من التوفيق والنجاح أو الغبن والانخداع . وقلما تجد أن صفقة عقدت دون أن يدور عليها مثل هذا الحديث ودون أن يحاول الشارى أن يتعرف رأى من يلتصقون به يستعين بهم على الحكم على قدرته وفطنته

فالقوانين العرفية للتجارة عندنا تهدم الثقة من أساسها وتفترض عدم وجودها أصلا بين الناس والثقة كما لايخفى الدعامة الاولى للتجارة ولن تقوم تجارة وتسير إلا إذا كانت مرتكزة على الثقة . وإذا قامت وسارت يكون سيرها متعثراً متقطعاً . فتنشط حينا وتكسد أحيانا . والتاجر — بعد أن حاول بكل الطرق المنظمة أن يخدع الشارى ويبتز منه أكثر مايستطيع أن يبتز — يعجب لكساد السوق وصدود الشارين عن دكانه وسلعه ، وصدوفهم عن التعامل معه الا مضطرين اضطراراً

كل هذا لان غرض التاجر الاسلى هو منفعته الشخصية بغض النظر عما يحدث للشارى . فتراه لايعنى بتوثيق روابط الصداقة والاخلاص بينه وبين من يتعاملون معه . ذلك لانه يعاملهم على زعم أنهم لن يعودوا اليه مرة أخرى . وأن تلك الصفقة هى آخر مايعقد معهم من الصفقات . فهو لايكلف نفسه مؤونة التعرف اليهم وملاطفتهم لانهم فى نظره عابرو سبيل يمرون أمامه كما تمر الصور على الشاشة البيضاء .

وليس هذا فقط ولكنه لايتكلف التلطف مع الناس عامة لانه على مايظهر لايقدر أن منهم من قد يتصلون بمحل تجارته فى زمن قريب أو بعيد . فما دام لايبيعهم شيئاً فى ذلك الظرف بعينه فلا يهمه من أمرهم شيئاً على الاطلاق غير عالم أنه قد يقف عقبة فى سبيل تجارته وهو يدرى أو

عجباً قد يساعده على التعامل معهم فى البيع والشراء أو قد يروج سلعه فى وقت من الأوقات. لايقدر التاجر الاثر الذى يتركه دكانه وسلعه وتصرفاته مع الناس فى مقدار البيع والمكسب والرواج كأنه يشعر أن لاعلاقة بين رواج سلعه وبين الاثر الذى يبقى عند الناس بعد أن يتعاملوا معه

هذه هى مجموعة القوانين الادبية العرفية للتجارة عندنا على العموم مع بعض التفاوت هنا وهنالك . وهى مجموعة غير ملائمة للتجارة لابل معطلة لها ومضرة بها . لان رأس مال التاجر سمعته بين الناس والاثر الذى يحدثه فى نفوسهم فى كل مكان وزمان . والناس بطبيعتها قابلة التأثير وقابلة لان تتصرف بمقتضى الاثر الذى يبقى فى نفوسها من التعامل مع الافراد أيا كانوا

لقد أدرك رجال الاعمال فى أوربا وأمريكا هذه الحقائق النفسية وأخذوا يستغلونها فى ترويج تجاراتهم . لقد أدركوا أن المكسب لايأتى ان هم ذهبوا وراءه مباشرة . أى أن التاجر لايجب أن يلقى باله كله للمكسب العاجل القريب . بل يجب أن يعنى كثيراً بالجمهور واحساساته وميوله وأذواقه أو بعبارة أخرى أدركوا أنه على التاجر أولا وقبل كل شىء أن يكتسب ثقة الجمهور وتقديره واحترامه . وأن الجمهور لن يعضد تجارة مطلقا قبل أن يكون له فى أصحابها تلك الثقة وذلك التقدير

أدرك القوم هنالك هذه الحقائق فاحتكموا اليها فى تصرفاتهم وطبقوها بغير هوادة على أعمالهم لابل ذهب بهم الايمان بها الى حد يجعل معاملتهم للجمهور قائمة على خدمته وراحته قبل أن تقوم على المكسب والربح . والمبدأ السائد الآن فى التجارة فى أمريكا هو مبدأ الخدمة وليس الربح الوفير . وكل مايضطلعون به من المشروعات فى محلاتهم يرمى الى تلك الغاية بذاتها . أى خدمة الجمهور وراحته والتزلف اليه

كنت أودع نقودى فى أحد البنوك فى نيوهافن . وكنت أذهب بعض الاحيان . لاسترد منها شيئاً لمصاريفى . فما يكاد العامل المكلف بصرف الشيكات يرانى مقبلا إلا ويبادرنى بتحية حارة ويحرص على أن يذكر اسمى بعد التحية ويبتسم ابتسامة عريضة تقضى على ترددى اذا ما كنت متردداً . ثم ينهال على بالاسئلة عن صحتى ودروسى وأحوالى فى أمريكا وأحوال عائلتى هنا فى مصر وعما اذا كانت الدنيا تسير كما أشتهى وأروم . ثم يسألنى هل من خدمة يستطيع أن يؤديها لى . فأناوله الاذن ويناولنى النقود بأسرع مما ناولته الاذن وأخرج مشيعا بتمنياته الطيبة لى

تعاملت مع هذا البنك سنتين متواليتين ولم تستغرق العملية فى كل مرة إلا الدقيقة أو بعض الدقيقة . ولم أدخل اليه إلا مطمئنا ولم أخرج منه إلا مبتسما راضياً كأنى كنت فى زيارة احد أصدقائى الذين أحبهم وأرغب فى زيارتهم . وكنت أعجب كل العجب للسرعة التى بها يقومون بمطالبى . لانى لم أره مرة ينظر فى الدفاتر أو يبحث عن رصيد حسابى . أو يطلب الى أن انتظر قليلا فأمر كهذا لم يحدث فى بحر سنتين مرة واحدة

عجبت لهذا وسألت صديقا لى . سألته الا يخشى هؤلاء الناس على أموالهم أن تضيع الايخطر

يالهم أن الزبون قد يكون سارقا . وأين مظهر حرصهم على الاموال المودعة لديهم اذا كانوا يعطون الناس كلما يطلبون . فاجابني قائلا : وأنت ألا تغضب وتتعب اذا ما أبقوك ريثما يتحققون أن لك نقودا . ألا تشعر أن وقتك يضيع هباءاً وأن مصالحك تتعطل بينا تنتظر هنالك ؟ فالبنك كما أنه يحرص على أمواله أن تضيع يحرص أيضاً على راحتك وخدمتك فهو إذن له غايتان يريد أن يحققهما فى الوقت الواحد . هو يريد أن يحرص على أمواله ثم هو يريد أى يحرص على راحتك . وكلا الغرضين يتحققان اذا ماعرفك العامل شخصياً . أى اذا عرف من أنت وماذا تصنع وأين مقامك . وهذا بالضبط مايفعله العامل الذى يتعامل معك . لا بل هو مطالب بذلك . وادارة المصرف تعده مسئولا ومطالباً بالتعرف اليك وتوثيق الصلات بينك وبينه . ثم أنه يتحقق بعد خروجك عن مركزك المالى فى البنك . ويحاول أن يتذكر هذا المركز عند عودتك للتعامل معه مرة أخرى يتذكره على وجه التقريب على أقل تقدير . وبعبارة أخرى أن عمال المصرف يطالبون بمعرفة الزبائن معرفة شخصية ويطالبون أيضاً بمعرفة مالهم بالمصرف على وجه التقريب . بهذه السياسة يحقق المصرف الغرضين معاً

لقد كنت أتعامل مع بعض البنوك هنا فى القاهرة . واعلم المشقة والعنت اللذين يلقاهما الرجل منا اذا مارغب فى شيء من ماله المودع بالمصرف . كنت أذهب وأقدم الاذن . فيعطوننى قطعة من النحاس الاصفر عليها رقم . آخذ هذه واجلس الى ركن من أركان المصرف اطالع فصلا من كتاب أحرص على أن استصحبه معى الى البنك . أطالع الفصل وأبدأ غيره ثم أخرج ساعتى لانظر فيها ثم أعود للمطالعة وأظل أطالع وانظر الى الساعة الى أن يفرغ صبرى فاقوم الى العامل الذى لايعلم من أمرى شيئاً على طول عهد التعامل معه . فينظر الى نظرة جوفاء خاوية ثم يقول انتظر . فاعود انتظر .

لست أدرى لماذا لايكلف المصرف عماله أن يتعرفوا الى الزبائن . لماذا لايطالبهم بايجاد بعض الصلات الشخصية بينهم وبين من يتعامل معهم من الناس . لماذا لايحاول العامل أن يعرف أن هذا زيد ويحترف كذا وأن هذا عمرو وصناعته كذا . لماذا لايردون التحية بلطف و بشاشة عندما نحييهم . بل لماذا لايحيونا قبل أن نبدأهم بالتحية . لست أدرى لهذا سبباً سوى شعورهم بانه لارابطة مطلقا تربطهم بمن يتعامل معهم وأنه لاداعى لان يكلفوا أنفسهم مشقة وجهدا فى معرفة الناس

أو بعبارة أخرى أن اللوم فى ذلك واقع على آداب التجارة فى بلادنا أو القانون العرفى الذى يسود المعاملة بيننا لان ذلك القانون لايكلف التاجر شيئا فى سبيل الجمهور الذى يغذى تجارته ويبتاع سلعه فهو على هذا قانون بدائى غرضه الرئيسى الربح العاجل السريع بغض النظر عن الاثر السيء الذى يتركه فى نفس الجمهور .

احرصوا قبل كل شيء على راحة الجمهور سواء أكان هذا الجمهور يتعامل معنا أم لا يتعامل وسواء أكان يبتاع من مصنوعاتنا أم من مصنوعات غيرنا وعند ماتوقفوا العربات لتسلموا السلعة احرصوا على أن تنتحوا بعرباتكم ناحية بعيدة حتى لاتسببوا تعبا لانسان ما لانه ماذا يحدث لو وقفتم بعرباتكم فى مكان يصعب معه على أحد الناس أن يسير باتوموبيله؟ لاشيء سوى أن يتألم هذا الانسان وينظر الى العربة فيرى اسم المصنع ويضج بالشكوى والغضب. وقد يذهب هذا الى زوجه فى البيت وقد تضرب الزوج عن التعامل معنا لاننا لانهتم براحة الجمهور

الحق أنه يحسن بارباب الاعمال فى بلادنا أن يعدلوا من القوانين العرفية الحالية التى تضبط علاقتهم بالناس. يحسن بهم أن ينقحوا تلك القوانين حتى تعود صالحة للزمن الذى نعيش فيه

الحق أن التجارة علم وفن وأن الواجب على رجال الاعمال أن يلموا بالناحية الفنية والعملية من التجارة

يعقوب فام

استاذ فى التربية من جامعة ييل

ماذا فى القمر

القمر أقرب الاجسام السماوية لنا لاتزيد المسافة بيننا وبينه على ٢٣٨٠٠٠ ميل ولذلك فان أحد الألمان قد فكر فى ارسال قذيفة اليه تقذف اليه على طريقة الصواريخ تتفجر من خلفها من وقت لآخر مواد تدفعها إلى الأمام كلما هدأت سرعتها . وهذه الطريقة معروفة فى الصواريخ حين نرسلها فى الفضاء فتتفجر منها مواد مختلفة الألوان . والفرق الوحيد هو فى ترتيب هذه الانفجارات وفى أن الغاية منها دفع القذيفة إلى الامام كلما أوشكت سرعتها أن تهدأ حتى تبلغ القمر



فوهات البراكين الميتة فى القمر

وفكرته معقولة بل لقد جربت هذه المواد المتفجرة فى دفع الطيارات والاتوموبيلات فنجحت إلى حد ما . والرجاء فى نجاحها فى الطيارات كبير جداً إذ يمكن ارسال القذيفة من اوربا لأمريكا فى أقل من ساعة . والقذيفة تكون طيارة تقذف بالمواد المتفجرة حتى إذا قاربت غايتها هدأت سرعتها فتستعمل الموطر للطيران حتى تهبط على الارض

ولكن القائلين بالتجربة فى بلوغ القمر لايرجون استعماره فانه كما يبدو من رصده خلو من الماء والهواء والنبات . فالانسان الذى ينزله إذا لم يمت اختناقا سيموت جوعا أوعطشا . وخلو القمر من الهواء هو السبب لوضوح الضوء والظل فيه فالاشكال واضحة منفصلة لأن الهواء عندنا يعمل

للاندغام . وجو القمر خواء تام أو شبه التام ولذلك تبدو حافات البراكين واضحة جداً كأنها حلقات بيضاء. بينما أوساطها أى فوهات البراكين تبدو مظلمة غاية الظلام

ولهذا الخواء أى انعدام الهواء أثر آخر . فان الشمس إذا ضربت القمر أسختنه إلى درجة الغليان فيحمى سطحه وصخوره. فاذا كان الليل وغابت الشمس تشعث الحرارة فيبرد وتهبط الحرارة مئات الدرجات تحت الصفر. وتناوب الحر والبرد للقمر يفتت صخوره تفتيتاً مستمراً

والقمر حافل بالبراكين الميتة التى ترى فوهاتها متقاربة وأحياناً متلاصقة. ومعظم جباله من هذه البراكين . ورؤيتها ممكنة بأصغر تلسكوب وقد أطلق عليها العلماء أسماء قديمة مثل أفلاطون وابقراط وأرسطوطاليس. وهى أعلى من جبال الارض . وبعض الفوهات يبلغ قطرها ٦٠ ميلا

ويتمم القمر دورته حول الارض فى ٣٢ ر ٢٧ من الايام وقد حسب الانسان به السنين قبل أن يعرف السنة الشمسية ومازالت بعض الشعوب تعتمد عليه فى التقويم. وقد اعتمد عليه المصريون فى أول تاريخهم ولكنهم عندما عرفوا الزراعة ومارسوها اضطروا إلى الاعتماد على النظام الشمسى حتى لاتختلف الفصول وتضطرب مواعيد الزرع ولكنهم أبقوا على الاسماء القمرية القديمة فكانت برهاناً على أنهم اعتمدوا على القمر أولا قبل أن يعتمدوا على الشمس

والقمر جزء من الارض انفصل منها فى زمن ناء والمظنون أنه خرج من الفجوة العظيمة التى نسميها الآن المحيط الهادى . وهو مع بعده عنا يؤثر فى الارض إذ هو السبب الاكبر للمد والجزر والشمس هى السبب الثانى

وقد نظر الانسان الى القمر من زمان بعيد نظرة التفاؤل والاستحسان. ولذلك اشتق العرب لفظة «تهلل» من الهلال. وما زلنا نتفاءل برؤية الهلال فى أول الشهر القمرى وتتهلل وجوهنا استبشارا ، ونعل الفرس يعلق للتيمن لانه يشبه الهلال . والاوربيون يتعلقون بهذه العادة أكثر منا ولذلك كثيرا مايضعونه على أبواب الدكاكين

الطعام والذكاء

قال المستر فورد في حديث له : «معظم الأمراض انما تصيب الناس لأنهم يكثرون من الطعام أو لأنهم يخطئون اختياره . وإني اجيز لنفسي أن اقول أن كثيراً من الجرائم يعزى الى ذلك أيضا .. وعند ما احس بأني سأصاب بالبرد وأريد التغلب عليه بسرعة فكل ما اعمل اني اصوم عن الطعام ٤٨ ساعة . وعلى الاخصائيين في الأغذية أن يبحثوا عن طعام أو عن مزيج من الاطعمة تساعدنا على تقوية الارادة »

وليس فورد أول من رأى العلاقة بين الطعام والارادة . فقد اشار كثيرون من الكتاب إلى قوة الارادة عند الانجليز وعنادهم وثباتهم وعلاقتها بطعام اللحم الذي يكثرون من أكله وضعف الارادة عند الفلاحين الهنود وعلاقتها بطعام الخضروات والحبوب . وكذلك عمد بعض الأطباء في الهند الى المقابلة بين الهندوكيين الذين يقتصرون على النبات وبين بعض الطوائف الأخرى التي تكثر من طعام اللبن ومستخرجاته فوجد ان للبن تأثيراً حسناً في زيادة الذكاء والصحة

ولكن هذه تعميمات لم تقم على احصاءات يعتمد فيها قائلوها على المشاهدة الاجمالية . والرأي الشائع أنه ليس للذكاء أو قوة الارادة علاقة بالطعام وان هذه الصفات الاخلاقية أو الذهنية ترجع فقط الى الوراثة والتربية

ولكن مع الاعتراف بأهمية الوراثة والتربية لايمكن تجاهل الأمر الذي يحدثه الطعام كيفاً وكماً في الأعصاب . فقد كان الجنود وقت القتال يتناولون قليلا من الخمر لكي يزدادوا جرأة على أقتحام الاخطار . والخمر هي شراب أو طعام يؤثر في الأعصاب فيزيد الارادة ويجعل شاربه لايبالي بالاخطار . وهي مفسدة من هذه الناحية في حياتنا المدنية العادية لأنها تجرىء على ارتكاب الآثام

والذين مارسوا التعليم في القطر المصري يذكرون مع الاسف الأثر السيء الذي تحدثه الفاقة في مديرية اسوان حيث يعيش الصبيان على اتفه الاطعمة فتبدو عليهم البلادة الذهنية في فهم دروسهم . وكلنا يذكر المعرى ذلك الشاعر العظيم الذي اتلف عظمته باقتصاره على طعام واحد هو العدس فصار ينظر الى العالم بعين التشاؤم . ولعل هذا التشاؤم كان يكون تفاؤلا لو أنه توسع في الطعام

ولكن كل هذا الذي ذكرناه يقبل الجدل والانكار . فان شوبنهور كان متشائماً اكثر من المعرى ومع ذلك فانه لم يقتصر على طعام العدس . والكلام عن الشجاعة والجبن والذكاء والبلادة لايخلو من غرض وهوى اذا كان موضوع هذه الاوصاف طوائف خاصة من الناس

هو شيء يمسنا في مصر وهو مرض البلاغرة الذي يتفشى بكثرة مروعة في بعض القرى . فان هذا المرض ينشأ بين الفقراء لسوء الغذاء أولا قتصار المريض على طعام الذرة لأنه لايستطيع ان يشترى اللحم أو البيض أو اللبن . فهو مرض من أمراض النقص أى أن الغذاء نقصاً يؤثر في الجسم . و يبدأ البلاغرة بمغص ثم اسهال و ينتهي بالتأثير في الجهاز العصبي فيحدث لصاحبه بلادة ذهنية ثم بلاهة تامة لايبرأ منها

فهذا مثال واضح على ان الطعام يؤثر في الأعصاب ويحدث البلادة للذهن . وشبان مصر من الفلاحين او كثيرون منهم يصابون بهذه البلادة للفاقة الحالكة التي يعيشون فيها

ومن الاطعمة ماتنقصه احيانا بعض العناصر مثل الجير . او قد يعجز الجسم لسبب ما عن تمثيل هذه العناصر . والنتيجة واحدة في الحالين وهو ان الجسم ينقصه هذا العنصر . وعندئذ يصير الشخص عصبانيا يتفزز لأى باعث و يسأم و يكل بسرعة . وهو إذ عولج باللبن الذي يحتوى على مقدار يذكر من الجير استطاع ان يستعيد صحته

ويعرف القارىء ان قلة الحديد في الدم تحدث مايسمى بالانيميا . وهذه القلة تنشأ من عجز الجسم عن تمثيل الحديد أو من قلته في الغذاء . وعوارض الانيميا الجسمية معروفة ولكن لها عوارض عصبية ذهنية اذ تحدث للمصاب بها غما واكتئابا واضطرابات ذهنية مختلفة . وقد عرفت فوائد جديدة لطعام الكبد تشفي من هذا المرض

وكذلك اذا قل اليودين في الجسم لنقصه من الغذاء الذي تناوله أو لعجز الجسم عن تمثيله اصيب الانسان ببلادة وتراخ في الاعصاب وضعف في الارادة . وقد ينشأ الصبي على هذا النقص فيتبلد ذهنه ولايستطيع الانتفاع بالتعليم . والاطعمة التي تحتوى على اليودين أكثر من غيرها هي السمك والمحار واللبن والفواكه والخضروات

ومما يلاحظ أيضاً أن نقص الفيتامين الذي يحدث الكساح للاطفال يحدث لهم أيضاً بلادة تشفى بشفاء الكساح فينتبه الطفل و ينطلع بعد خمول طويل يقضيه وهو وادع لايلتفت إلى ماحوله

ونقص الكمية في الذكاء على وجه العموم سبب من الأسباب المباشرة لنقص الذكاء . فقد فحص عن ١٥٠٠٠ تلميذ في شيكاغو قسموا طائفتين احداهما تحتوى على الصبيان الذين يبدو من هيئتهم وضعف أجسامهم انهم قليلو الغذاء . والطائفة الأخرى يبدو عليها من امتلاء أجسامهم انهم كثيروا الغذاء . وقد اتضح بالفحص عن ذكاء الطائفتين ان كثرة الغذاء تتناسب مع كثرة الذكاء . وهذا يتفق والمشاهدات الطبية . فان ضعف الجسم أو الهزال يرافقه على الدوام تقلقل عصبي . فالسأم والقلق والأرق وسرعة الكلال كلها من صفات النحاف المهزولين أكثر مما هي من صفات الممتلئين الذين تميل أجسامهم الى السمن

أو اليودين أو الجير تؤثر فى النماء وكذلك قلة بعض الفيتامينات . ثم ان كمية الغذاء ولو احتوت على جميع العناصر تؤثر فى الذكاء أيضاً لأن الاعصاب لا تستكمل قواها إلا اذا كان الجسم عتلا أى أعلى قليلا من المتوسط . اما اذا كان اخفض قليلا من المتوسط فان الاعصاب تتقلقل ويضطرب الذهن بعض الشيء

وقد لا يرتاح القارىء بخروجه من هذا المقال بدون نصيحة عملية يستطيع أن يعمل بها . والنصح فى مثل هذا الموضوع ليس من السهل لأن ظروف كل انسان تختلف . فالصيحة المثلى للفلاح الذى يصاب بالبلاغرة هى نصيحة عقيمة لأنه لن يستطيع القيام بها وهى تتلخص فى ألا يقتصر على طعام الذرة بل عليه أن يأكل أطعمة مغذية مختلفة من اللحم والخضراوات ومستخرجات الألبان . ويجب أن يقال غير هذا الكلام لرجل يعيش فى المدن . وأحسن مايكفل لنا جميعاً غذاء حسناً أن نقلل من الثقة بالمطبخ ونأكل ما نستطيعه من الخضراوات والفواكه النيئة لأن الطبخ فى كثير من الحالات ينقص مافيها من فيتامين أو يزيل وكذلك يجب تجنب الأطعمة الكبيسة ولا نتعود طعاماً واحداً بل نتناول أطعمة مختلفة





صفحة من تاريخ السياسة الاوروبية

الاسباب الخفية للحرب العالمية

بقلم الاستاذ على احمد شكرى

فى سنة ١٩١٤ عند مااشتعلت نار الحرب العالمية وأخذ لهيبها يمتد من جهة الى أخرى حتى عم القارات الخمس وطغى على البر والبحر ولم يسلم منه حتى الجو ، جعل الذين لايعنيهم تحرى الحقائق يلقون تبعة أشعالها على المانيا وحليفتها النمسا زاعمين ان حادث اغتيال الارشيدوق فرانسيس فرديناند ولى عهد النمسا هو وعقيلته فى شوارع سيراجيفو يد « رنسيب » وأصحابه لم يكن سوى مجرد حجة سقيمة تذرعت بها أمبراطوريتا الوسط لاغراق أوربا والعالم فى بحر من الدماء ولاثارة حرب ضروس اعدتا لها العدة طيلة السنوات الخالية

والواقع ان المانيا لايمكن ان تكون اختارت أسوأ من الوقت الذى أعلنت فيه الحرب فعلا . وحسبك ان تذكر انها كانت مضطرة هى وحليفتها النمسا ان تقاتل — لغاية يوم ٤ اغسطس سنة ١٩١٤ — انجلترا وفرنسا وبلجيكا وروسيا والصرب . هذا فى حين ان حليفتهما ايطاليا أعلنت حيادها . فالذى يقول ان المانيا اختارت شهر اغسطس سنة ١٩١٤ لاشعال نار الحرب تحقيقاً لغايات استعمارية وقضاء لبانات سياسية ، يتناسى العوامل الخفية التى كانت تدفع بالمانيا بل باوربا كلها نحو هاوية الحرب . فبالرغم من ان المانيا هى التى بعثت بانذارها النهائى الى روسيا أولا ثم الى فرنسا ثانيا ثم الى بلجيكا ثالثا ، فانها كانت فى الواقع مسوقة رغم ارادتها الى اتباع ذلك الطريق أى انها أرغمت على اعلان حرب لم تكن لها مصلحة فى اعلانها فى الوقت الذى أعلنت فيه

على ان الحق كان لابد من ظهوره يوماً ما مهما حيك حوله من الأباطيل والضلالات ، فمنذ ان وضعت الحرب أوزارها رأينا سيلا عرما من المذكرات السياسية حاول فيها أصحابها ان يكشفوا الستار عن الأسباب الخفية التى أدت الى وقوع تلك المجزرة البشرية الهائلة . وقد يسر أنصار الحقيقة ان يعلموا أن معظم هذه المذكرات تخلى المانيا من كثير من التبعات التى ألقيت ظلما وعدوانا على عاتقها . لابل ان بعضها يذهب الى حد تبرئتها بتاتاً من التبعة والقائها على عواتق الحلفاء.

وأمامنا الآن كتاب شائق ظهر فى أوائل شهر ابريل الحالى سيحدث ضجة هائلة فى الدوائر السياسية ويصحح كثيراً من المزاعم التى راجت فى ابان الحرب عن المانيا وحلفائها . هذا الكتاب هو مذكرات « لورد كارنوك » وهو سير ارثر نيكلسون وكيل وزارة خارجية بريطانيا الدائم سابقاً ومتى قلنا وكيل الخارجية الدائم فقد عنينا الرجل الذى يصرف تقادير الامبراطورية البريطانية فى السبيل التى تكفل خدمة مصالح بلاده . فاللورد كارنوك يقول صراحة ان بريطانيا العظمى أعدت مشروعا لخرق حياد البلجيك وانها لولم تسبقها المانيا لسبقتها هى الى انتهاك حرمة ذلك الحياد . والكتاب مملوء

بالافشاءات الخطيرة المسلية . واليك ما كتبته الكونتس أوف ووريك فى جريدة « الديلى هيرالد » بياناً عن المحادثات التى دارت بين المارشال فرنش والمسيو كليمنصو فى سنة ١٩١٩ وهى تؤيد ماافشاه لو ردكرتوك فى مذكراته

قالت الكونتس ان المارشال فوش استطاع بواسطتها ان يجتمع بالمسيو كليمنصو وانها كانت حاضرة فى أثناء المحادثة التى دارت بينهما . وكان المسيو كليمنصو يتوقع نشوب الحرب مع المانيا عاجلا أو آجلا . فقال للجنرال فرنش انه فى حاجة الى مليون جندى بريطانى . فرد عليه الجنرال قائلا : « بل ٤٠٠ الف كافية » فقال المسيو كليمنصو : يجب ان تنزل الجنود البريطانية فى « دنكرك » وتزحف على المانيا بطريق بلجيكا . فاعترض الجنرال فرنش على ذلك بقوله « انه يتنافى مع المعاهدة التى تكفل حياد البلجيك »

فقال المسيو كليمنصو : « ان المعاهدات لايعتد بها أثناء الحرب » (كذا) واستمر يحادث قائد الجيش البريطانى فى الخطة التى يجب ان تتبع للهجوم البريطانى على البلجيك والهجوم الفرنسى على اللورين (كذا ! كذا)

فتصريحات كهذه لم تكن مألوفة فى ابان الحرب ومنها نعرف ان حادث سيراجيفو لم يكن هو السبب الوحيد بل حتى ولا السبب المباشر بل هناك أسباب عديدة خفية نحاول ان نأتى على جزء منها فى هذا المقال لان سرد الاسباب جميعها واحصاءها يحتاج الى عدة مقالات

فن أهم الاسباب الخفية التى جعلت وقوع الحرب أمراً لامناص نظام المحالفات السرية التى شطرت أوربا الى معسكرين مسلحين وهما معسكر التحالف الثلاثى وكان يشمل المانيا والنمسا وايطاليا ثم معسكر الاتفاق الودى الثلاثى وكان يحتوى على روسيا وبريطانيا وفرنسا . فان التنافس بين هذين المعسكرين أدى بطبيعة الحال الى التسابق فى التسليح ثم الاصطدام عندما طارت أول شرارة فى مخزن البارود . وقبل ان نعرض لهذين المعسكرين لابد لنا من القاء نظرة عاجلة على السياسة الاوربية فى خلال الخمسين السنة التى سبقت اعلان الحرب لنرى كيف وجد هذان المعسكران

ظهور المانيا على مسرح السياسة الأوربية

فالى ماقبل سنة ١٨٦٤ كانت حالة أوربا اجمالا كما تركتها حرب الثلاثين فى القرن السابع عشر بمعنى انه لم تكن هناك دولة المانية يحسب لها حساب وسط مجموعة الدول الاوربية . بل كانت السيطرة على القارة موزعة بين روسيا والنمسا وفرنسا . وقد قلنا « القارة » لان سياسة انجلترا كانت سياسة « العزلة الحكيمة » عن مشاكل تلك القارة

ولكن ظهور بسمارك غير وجه التاريخ الاوربى وقلبه رأساً على عقب . فان حربه مع الدانيمارك فى سنة ١٨٦٤ واستيلاءه على شلزفيج هولشتين ثم حربه مع النمسا فى سنة ١٨٦٦ وهزيمته لها فى معركة « سادوا » مكنتاه من تكوين الاتحاد الشمالى بزعامة بروسيا . وفى سنة ١٨٧٠ وقعت معركة

فبهذه الحروب الثلاث استطاع بسمارك ان يعكس الآية لان المانيا أصبحت أقوى دولة فى القارة الاوربية وبعد ان كانت روسيا هى المهددة فى كل حين بغزوات فرنسا صارت هذه هى التى تخشى خطر غارة المانيا عليها

الالزاس واللورين

على ان بسمارك لم يكتف بغرامة المائتى المليون الجنيه التى انتزعها من فرنسا بل أصر على أخذ الالزاس واللورين . ولعل هذا أكبر خطأ ارتكبه بسمارك . فلا هو أذل فرنسا الاذلال الكافى الذى ينفرها من فكرة «الثأر» لاجيال عديدة ولا هو تركها عزيزة بحيث يمكن التئام الجروح الدامية وتعود الجارتان بعد فترة قصيرة من الزمن الى الصفاء . بمعنى انه كان يمكنه ان لاينتزع هذين الاقليمين من فرنسا مكتفياً بالغرامة فيمهد طريق التفاهم فى المستقبل مع هذه الجارة العظيمة .

وهنا قد يقال ان الالزاس واللورين كانا منذ أقدم عصور التاريخ جزءاً من الاراضى الالمانية . وهذا مسلم به ولكن لايفوتنا ان فرنسا عند ماضمت هذين الاقليمين فى عهد لويس الرابع عشر لم يكونا جزءا حيويا من دولة معينة . فان المانيا لم تتكون كدولة متحدة الا فى سنة ١٨٧٠ أما قبل ذلك فكانت عدة أقاليم مختلفة وفى أغلب الاحايين متنافرة ومتشاحنة فيما بين بعضها وبعض . ففرنسا استولت فى الماضى على الاقليمين المذكورين باعتبارهما اقليمين فحسب لايمتان بصلة عدا صلة الجوار للأقاليم الاخرى . وبالعكس عند ما انتزعهما بسمارك من فرنسا فانه انتزعهما كعضو حي من دولة متحدة . فلا غرو ان ظل الجرح دامياً لايلتئم رغم مابذل من المساعى فى سبيل التقرب بين الدولتين . فخطأ بسمارك فى انتزاع هذين الاقليمين من فرنسا هو الذى جعلها لاتحلم بشىء عدا اعداد العدة لأخذ الثار وبهذا يمكن ان يقال ان الالزاس واللورين هى فى طليعة الاسباب الخفية لنشوب الحرب العالمية

تحالف الامبراطوريات الشرقية الثلاث

وقد لانبالغ اذا قلنا ان كافة ما تلا الحرب السبعينية من التغيرات والتطورات فى السياسة الاوربية يتفرع عن انتزاع بسمارك لهذين الاقليمين من جسم فرنسا . فان بسمارك بعد ان يئس من التفاهم مع فرنسا أراد ان يطمئن على المانيا الجديدة التى هى من صنع يده فالتفت الى الشرق حيث توجد روسيا ثم الى الجنوب حيث توجد النمسا وسعى ونجح فى التفاهم معهما

و لم يكن هذا بالامر العسير فان روسيا كانت تربطها ببروسيا فعلا علاقات ودية منذ اتحادهما لهزيمة نابليون . ثم جاءت حرب القرم وقمع الاضطرابات البولونية فى سنة ١٨٦٣ فعززت تلك العلاقات . ثم لاتنسى وقوف روسيا على الحياد فى الحرب السبعينية مما قضى على النمسا بالتزام الحياد أيضاً وعدم السعى للثأر لنفسها من بروسيا على معركة سادوا . كل هذه الامور وغيرها مما لايتسع له المجال سهلت على بسمارك مهمته وضمنت له النجاح فى سعيه للتقرب من روسيا

اما تقربه من النمسا فله حكاية أخرى . ذلك ان المانيا كانت شديدة العطف على المجر فما هو ان تمكن بسمارك من ابعاد الكونت « بويست » وزير خارجية النمسا وصديق فرنسا من منصبه ذلك

وتمهيد الطريق لاحلال خلفه الكونت اندراسى المجرى ، حتى اقترح هذا الاخير على الامبراطور فرانسيس جوزيف ان يزور الامبراطور غليوم الاول . ثم انضم اليهم القيصر اسكندر الثانى بناء على اقتراحه حتى يكون ثلاثتهم أقوى دعامة للسلام وليكون اجتماعهم بمثابة صدمة قوية لفكرة « الثأر » التى يحلم بها الساسة الفرنسيون. وفى سنة ١٨٧٤ اجتمع الثلاثة الامبراطرة وتمخض اجتماعهم عن الاتفاق الثلاثى الذى لم يلبث ان أدى فى العام التالى - بمناسبة زيارة غليوم الاول والجنرال مولتكه لروسيا - إلى محالفة عسكرية سرية بين روسيا والمانيا تعهدت كل منهما فيها بتقديم ٢٠٠٫٠٠٠ جندى كمساعدة فيما لو هاجمتها دولة أوربية أخرى . ولم نذكر هذه التفاصيل الا لنبين ان هذا الاتفاق كان له دخل كبير فى تسيير دفة السياسة الاوربية فيما بعد . فان ايطاليا سرعان ماسعت للتقرب من الامبراطوريات الشرقية الثلاث بينما كانت فرنسا أضعف من ان تحرك أصبعاً لمقاومته .

ولقد كان من أهم مانشأ عن هذا الاتفاق دخول المسألة الشرقية فى دور خطير . ولسنا نريد ان نعرض لادوار هذه المسألة التى تستغرق مقالات عديدة وبحسبنا ان نذكر ان نتيجة الاتفاق كانت ان النمسا وروسيا تفاهمتا على كيفية تقسيم اسلاب « الرجل المريض » ونعنى بذلك الامبراطورية العثمانية . وقد كانت كل منهما قبل ذلك الاتفاق واقفة للأخرى بالمرصاد اما الآن فقد انعكست الآية وتواضع الحليفان على ماينبغى أتباعه فى المستقبل إذا كانت الظروف مؤاتية

مؤتمر برلين

ويدخل فى هذا الباب اعلان الحرب الروسية على تركيا فى ابريل سنة ١٨٧٧ ثم عقد معاهدة سان استيفانو فى ٣ مارس سنة ١٨٧٨ ثم معارضة بعض الدول فى هذه المعاهدة وخاصة انجلترا ثم اقتراح تعديلها فى مؤتمر برلين ومحاولة بسمارك ارضاء روسيا وخروج هذه الدولة من المؤتمر مقتنعة بانقلاب بسمارك عليها برغم تأييده لكثير من مطالبهما

فمؤتمر برلين يعتبر من المراحل الحاسمة فى تغيير وجه السياسة الاوربية وحسبك ان تعرف ان العداء أخذت تستحكم حلقاته بين روسيا والمانيا بعد انفضاض المؤتمر وانبرت الصحف الروسية للطعن على المانيا مما جعل هذه تعقد فى ٧ اكتوبر سنة ١٨٧٩ محالفة دفاعية سرية مع النمسا مدتها خمس سنوات تعهدت فيها كل منهما بمساعدة الاخرى فيما لو هاجمتها روسيا والتزام الحياد فيما لو هاجمتها دولة أخرى كايطاليا أو فرنسا

وانما عجل بسمارك بهذه المحالفة لان صديقه اندراسى كان يوشك ان يغادر وزارة خارجية النمسا وقد أجمع أرباب الرأى على ان هذه المحالفة هى من خير ماعمل بسمارك لخدمة قضية السلام العام . فانه استطاع طيلة حياته ان يجعلها دفاعية بحتة ولكن خلفته فى منصبه البرنس بيلوف ثم الدكتور بتمان هولفيج من بعده سمحا للنمسا ان تحول المحالفة الدفاعية الى هجومية أيضاً

ومع ان بسمارك عاد فى ١٨ يونية سنة ١٨٨١ فعقد معاهدة سرية مع روسيا جددت عدة مرات الا ان هذه ظلت تعتقد ان أحلامها القديمة فى البواغز والاستانة لم تفشل فى مؤتمر برلين الابسبب

موقف بسمارك. فهذا الاعتقاد، يضاف اليه ازدياد نفوذ أصحاب الجامعة السلافية فى الوقت الذى نشطت فيه فكرة «الانتقام» فى فرنسا، مهد الطريق للتفاهم الفرنسى الروسى

وقد رأى بسمارك بثاقب نظره انه لايستطيع اكتساب صداقة روسيا واحباط تفاهمها مع فرنسا إلا إذا لوح لها بالبواغيز والاستانة فعقد معها فى ١٨ يونية سنة ١٨٨٧ معاهدة فى هذا الصدد علما منه بان انجلترا لن توافق على استيلاء روسيا على الاستانة. وكانت مدة المعاهدة الجديدة ثلاث سنوات استقال بسمارك من منصبه فى خلالها و بدت طلائع التفاهم الروسى الفرنسى تظهر جلية للعيان

المحالفة الثلاثية ١٨٨٣

وفى سنة ١٧٨٢ انضمت ايطاليا الى المحالفة الالمانية النمساوية بعد ان رأت ازدياد نفوذ فرنسا فى شمال افريقيا على أثر استيلائها على تونس

فانت ترى من سرد هذه الحوادث التاريخية ان تخوف المانيا من «انتقام» فرنسا وحرصها على بقاء الحالة فى أوربا كما تركتها الحرب السبعينية، هو الذى جعلها تبحث يميناً ويساراً عن حلفاء يساعدونها على الاحتفاظ بما يسمونه فى العرف السياسى بالحالة «الراهنة». أو بعبارة أخرى ان المحالفة الثلاثية كانت دفاعية. ولكن روسيا — كما مر بك — كانت تطمع الى زيادة نفوذها فى البلقان تمهيداً لتحقيق اطماعها القديمة فى البواغيز والاستانة. فلم يكن ثمة مفر بعد ان رأت بسمارك لايساعدها على تحقيق هذه الاحلام والاطماع ان تولى وجهها شطر الغرب. ولم تجد صعوبة فى التفاهم مع فرنسا التى كانت لاتزال متشبعة بفكرة «الانتقام» لهزيمة سنة ١٨٧٠

المحالفة الروسية الفرنسية سنة ١٨٩٤

وكان طبيعيا — لسبب ازدياد شعور العداء فى روسيا وفرنسا ضد المانيا — ان تتفاهم هاتان الدولتان وأن يؤدى تفاهمهما الذى بدأ فى سنة ١٨٩١ الى تحالف فى سنة ١٨٩٤. ومما ساعد على عقد هذا التحالف ابراق اسكندر الثالث قيصر روسيا وارعاده لان بسمارك رشح البرنس فرديناند دى كوبرج لعرش بلغاريا مما حمل روسيا على الاعتقاد بأن فى الأمر دسيسة وأن بسمارك يرمى إلى لعبة فى البلقان مع أنه سبق أن أطلق يد روسيا فيه. يضاف إلى هذا أن روسيا بعد أن اضطرتها الحاجة إلى الاقتراض التفتت إلى باريس فقدمت لها قروضاً تبلغ ٢٫٤٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك. ثم لاتنس ان استقالة بسمارك فى سنة ١٨٩١ وعدم رغبة الامبراطور غليوم فى تجديد المعاهدة الأخيرة التى عقدتها مع روسيا جعل هذه تشخص بوجهها نحو فرنسا

وقد يكون من الانصاف أن نذكر هنا أن المحالفة الفرنسية الروسية فى سنة ١٨٩٤ والمحالفة النمساوية الألمانية فى سنة ١٨٧٩ والمحالفة الثلاثية فى ١٨٨٢ كانت كلها دفاعية بحتة فى بدء الأمر وانما تحولت المحالفة الفرنسية الروسية الى هجومية فى عهد بوانكاريه ودلكاسيه واسفولسكى وملليران

موقف انجلترا

وكان لا بد لكل من الفريقين ان يحسب حساب انجلترا التى كانت ملتزمة الحياد ازاء المشاكل القارية . ولقد بذل بسمارك جهودا عديدة لاستمالتها الى ناحيته ولكن اللورد سالسبرى كان ضد فكرة ترك الحياد . على ان اللورد فكر فيما بعد فى تقسيم تركيا على ان تذهب مصر لانجلترا وطرابلس لايطاليا وسلانيك للنمسا والاستانة والبواغيز لروسيا ولكن مارشال بيبرشتين عارض هو وهولشتين فى هذا الاقتراح واشارا بالاحتفاظ بتركيا وارغامها على تنفيذ الاصلاحات الخاصة برعاياها المسيحيين

ثم جاء تشمبرلن وعرض على المانيا فى يوم ٢٩ مارس سنة ١٨٩٨ عقد محالفة دفاعية بين الدولتين ولمح بأن انجلترا وقد قررت الخروج من حيادها فكرت فى محالفة المانيا فان رفضت هذه اضطرت انجلترا إلى محالفة فرنسا وروسيا

ولكن هذا الاقتراح قابله البرنس بيلوف بالتحفظ التام لأنه ارتاب فى نية انجلترا واحس أنها تريد تسخير المانيا لمصلحتها ضد روسيا وفرنسا فى حين أن المانيا لا تستطيع الاعتماد على مساعدة انجلترا لو هوجمت على حدودها الشرقية والغربية فى آن واحد

ثم تبين لانجلترا بعد حوادث عديدة لامحل لها لذكرها هنا وخاصة بعد أصرار المانيا على تقوية اسطولها ، أن مصلحتها تقضى عليها بالتحول إلى ناحية فرنسا وتصفية المشاكل التى كانت تكدر صفو العلاقات بين البلادين والتى أخذت تزداد فى شدتها بعد حادث فاشودة المذكور. وهكذا تم الاتفاق بين الدولتين فى سنة ١٩٠٤ وهو المعروف بالاتفاق الودى

اتفاقية سنة ١٩٠٤

واذا جاز لنا أن نفرد الفضل لشخص أو لأشخاص معينين فى عقد اتفاق سنة ١٩٠٤ فاننا نفرده للملك ادوارد السابع ملك السلام ،كما يسميه الانجليز والى المسيو دلكاسيه وزير خارجية فرنسا

فان الاول بكثرة زياراته كولى عهد انجلترا الى العاصمة الفرنسية والريفيرا نجح فى ازالة كثير من سوء الظن نحو بلاده . وفى سنة ١٩٠٣ - وبناء على رغبته - ذهب الى زيارة باريس بصفة رسمية فاستقبل فيها استقبالا حماسيا كبيراً ساعد بلا شك على تمهيد الطريق . لعقد التفاهم المذكور فى العام التالى . أما الثانى فانه رأى أن فكرة الانتقام لاتتحقق إلا بمساعدة انجلترا . ولذا سعى إلى تصفية ما بينها وبين فرنسا من المشاكل العديدة فى كافة أقطار العالم إلى أن تمكن من عقد الاتفاق المذكور مع لورد لانسدون وزير الخارجية فى وزارة بلفور

ولقد حاول المسيو دلكاسيه أن لا يشمل الاتفاق مركز مصر التى كانت لفرنسا مصالح خطيرة فيها ولكن لورد لانسدون .كما يؤخذ من مذكراته التى المعنا اليها فى صدر مذكرات لورد غراى التى نقلناها الى العربية - افهم الوزير الفرنسى أن الاتفاق غير جدير باهتمام انجلترا ان لم يسو مركز مصر فاتفق فى النهاية - وللورد كرومر ضلع كبير فى هذا الاتفاق - على أن تكف

فرنسا عن معارضة انجلترا فى وادى النيل أو تذكرها بموعد الجلاء. بينما تساعد انجلترا فرنسا على ابتلاع مراكش. وكان لابد أن يتضمن اتفاق كهذا فقرات سرية تنص على تعاون الدولتين فى حالة وقوع حرب عامة كما بينت الحوادث ذلك جليا فيما بعد

وقد رأت فرنسا فى الاتفاق المذكور فرصة لتحقيق أحلامها فيما يختص بالالزاس واللورين كما رأت فيه انجلترا فرصة تساعدها على القضاء على الاسطول الألمانى الذى ازداد خطره عليها . وكذلك رأت فيه روسيا حليفة فرنسا فرصة لتحقيق أمانيها فى البواغيز والاستانة

فاتفاق سنة ١٩٠٤ كان إذن حادثاً خطيراً فى عالم السياسة الاوربية وقد جعل البعيدى النظر يتوقعون نشوب الحرب عاجلا أم آجلا بين المعسكرين الاوربيين

ونحسبنا لا نبالغ إذا قلنا أن ماتلا عقد ذلك الاتفاق من الحوادث كان نتيجة طبيعية له . فتحكك ألمانيا بفرنسا حتى أرغمتها على اقالة دلكاسيه ثم زيارة غليوم الثانى إلى طنجة ثم عقد مؤتمر الجزيرة وما أعقب ذلك من المحادثات العسكرية والبحرية بين انجلترا وفرنسا ثم استيلاء ايطاليا على طرابلس ونشوب الحروب البلقانية — كل ذلك كان بلا جدال بسبب هذا الاتفاق المشؤوم . ولقد طالما تكتمت فرنسا وانجلترا وجود الفقرات السرية التى أسلفنا القول عليها ولكن حادث اغادير فى سنة ١٩١١ واستعداد انجلترا لخوض غمار الحرب ضد ألمانيا أقنع الملأ بأن هناك أموراً تضمنها الاتفاق المذكور ولا يعرف عنها شيئا سواد الشعب فى كل من فرنسا وانجلترا

على أن اعلان انجلترا الحرب على ألمانيا فى ٤ اغسطس سنة ١٩١٤ بسبب حياد بلجيكا كما زعموا وقتئذ — والحقيقة بسبب الاتفاق الودى — قد فضح سراً آخر ألا وهو أن الفقرات السرية المشار اليها أخفاها السير غراى عن كثير من زملائه الوزراء كما أخفاها عن البرلمان . واحتجاجاً على هذا التصرف استقال من وزارة مستر اسكويث كل من لورد مورلى والسير تريفليان والمستر جون برنز

ولا ينبغى أن يفوتنا هنا أن موقف انجلترا العدائى حيال تركيا فى أبان الحرب الطرابلسية والحروب البلقانية واحتجازها البارجتين اللتين أوصت على صنعهما فى المصانع البريطانية ورفض دول الحلفاء مساعى تركيا للتقرب من هذه الدول على نحو ما فصله جمال باشا فى مذكراته التى نقلناها الى العربية — كل هذا جعل انضمام تركيا الى ألمانيا فى الحرب العالمية أمراً لا جدال فيه وخاصة بعد وصول البارجتين جوبن وبرسلاو . كذلك انضمت بلغاريا اليها للانتقام من جيرانها البلقانيين الذين حرموها فى معاهدة بوخارست من كثير من ثمار انتصاراتها ضد تركيا

وبالطبع لا يسع المقام الاسهاب فى تفصيل هذه المسائل الخطيرة التى تحتاج لا إلى مقال أو اثنين بل إلى مجلد ضخم قائم بذاته . ونرى أن نختم هذا المقال الآن بذكر الأسباب الخفية التى زاها كانت سببا فى اشعال الحرب العالمية الماضية

أولا — ظهور ألمانيا على مسرح السياسة الاوروبية كامبراطورية متحدة يحسب لها حساب
ثانيا — الحرب السبعينية وسلخ الالزاس واللورين عن فرنسا
ثالثا — تخوف المانيا من انتقام فرنسا جعلها تسعى لعقد محالفات فى الشرق أولا مع روسيا وأخيراً مع النمسا وايطاليا حتى تكونت المحالفة الثلاثية التى كانت دفاعية بحت فى بدء الأمر
رابعاً — محاولة النمسا وايطاليا تحويل تلك المحالفة من دفاعية الى هجومية بعد خروج بسمارك من الحكومة الالمانية . ومن ثم رأينا نشاط النمسا فى البلقان ضد الروسيا ونشاط فرنسا فى تونس ضد ايطاليا ؟
خامسا — رغبة روسيا فى تحقيق احلامها فى البواغيز والاستانة جعلتها تتقرب من فرنسا التى كانت أيضاً تحلم بالانتقام
سادسا — تخوف انجلترا من زيادة الاسطول الالمانى ورغبتها فى الاستيلاء على مصر نهائيا جعلتها تعقد مع فرنسا اتفاق سنة ١٩٠٤ الذى جعل وقوع الحرب أمراً لا مناص منه

هذه هى فى نظرنا الاسباب الجوهرية الرئيسية التى حولت سياسة اوروبا الى ناحية الحرب وبديهى أن فى الاستطاعة مضاعفة هذه الاسباب ولكنا نعتقد أن كل ما يمكن أن يذكره الانسان من الاسباب يعتبر متفرعاً عن الاسباب الرئيسية المذكورة

اذن فلم تكن جناية سيراجيفو ولا اختراق حرمة الحياد البلجيكى السبب فى نشوب الحرب بل ان هذين الحادثين يضاف إليهما تعجيل روسيا بالتعبئة العامة كانت بين الاسباب المباشرة لوقوع الحرب فى أسوأ وقت بالنسبة لألمانيا

فكل قول بان المانيا كانت تستعد للحرب فى طى الخفاء منذ سنوات عديدة بينما كان الحلفاء كالحمل الوديع منصرفين الى أعمال السلام انما ينم عن تجاهل قائله بتاريخ السياسة الاوروبية فى خلال الخمسين عاماً الماضية . ولو شئنا لبينا لك أن ألمانيا مع استعدادها الحربى ظلت اكثر من ربع قرن محتفظة بالسلام مع أن فرصا نادرة عديدة لاحت دون أن تنتهزها كالحرب الروسية اليابانية والحرب البويرية وحادث فاشودة وغيرها وغيرها . فالحلفاء بينما كانوا مشتغلين بالفتوحات وتوسيع مستعمراتهم كانت ألمانيا محتفظة بالسلام

فلما وقعت الواقعة وأرغمت ألمانيا ارغاماً على امتشاق الحسام للدفاع عن كيانها ضد الحلفاء الذين طوقوها بنطاق حديدى راحوا يتهمونها بالتحرش والاعتداء ولكن التاريخ الذى لا يعرف المحاباة يقرر أن الواقع غير ذلك كما يؤخذ من سيل الكتب والمذكرات التى تظهر يوميا فى بلاد الحلفاء وبأقلام ساسة الحلفاء وفيها تقرير الواقع وانصاف للحقيقة والتاريخ

علی احمد شكرى

بعد عشرة اجيال

بقلم الأستاذ حافظ محمود

دوت مدافع العيد فى مطلع الشمس وتبعتها فترة من الصباح هادئة الجو جليلة السكون ، ثم انطلقت فجأة زمامير الأطفال الزاعقة تعلن أفراح هذه الأنفس الصغيرة البيضاء ، وغمر السكون دفعة واحدة صوت العجلات تروح وتجيء فى الطريق وقد امتزجت رائحة الجو برائحة الفطير تخالطها روائح العطر الأخضر والزهر والرياحين التى تحملها أيدى الحزانى الذين يذكرون موتاهم فى هذا الصباح السعيد

وكانت حركة أيقظت أمثالى النائمين الذين حظوا بسهرة طويلة متأخرة ، فصحوت وما أجمل أن يصحو الانسان على صوت طفل مرح يغنى ورائحة عطر ذكى تفوح

على أن للعيد برامجه ومراسيمه الخاصة ، وفى مقدمة هذه وهذه امتلاء جيب من الجيوب بحزمة من البطاقات الشخصية يمر بها الصديق على منازل أصدقائه مهدياً لكل واحد واحدة تحمل ما نسميه « أرق التهانى » . وإذن فقد انتهى بى برنامج هذا المطاف وأنا فى رفقة أصدقائى الى صديق لنا خبير بالعلوم المغنطيسية حيث أمضينا عنده السهرة نشهد تجاربه العجيبة ، فاذا منا واحد يظهر استعداده لقبول المغنطيسية من صديقنا العالم ، وإذا هو بعد دقائق يكشف لنا عن شيء مجهول . .

عاد المنوم بالنائم الى ماضيه سنة بعد سنة حتى عاد صديقنا النائم الى بطن أمه يتشكل وجهه بما يحسه عن نفسه انه ليس إلا طفلا ثم ليس إلا جنيناً ثم ليس إلا علقة . ثم ينتقل به الرجل المغنطيسى الى ما قبل أن يكون نطفة من مادة البشرية فاذا هو شيء ، نعم شيء كائن ، لكنه فان فى الكون لا يستطيع أن يفهم إلا أنه موجود ومرتاح الى وجوده والى كونه فى حل من قيود الأبدان ثم يرجع النائم تحت ايحاء المنوم الى جنين فطفل ينمو سنة بعد سنة حتى يقع بشبابه الحالى من جديد . وتأبى لذة العلم التى تملكت صديقنا المنوم إلا أن يسير بصديقنا النائم الى المستقبل كما سار به الى الماضى ، فاذا هو يكبر ويكبر فيسرد الحوادث التى سيلاقيها بجملة يكفهر فيها للشدائد ويبسم للتوفيق الى أن وصل موعده فى الخلاص من هذه الدنيا فاضطربت أنفاسه وهبط نبضه وخشينا عليه من موت صحيح فأوحى اليه المنوم انه يريد أن يبرح بذهنه هذا العمر حياً لا ميتاً ، فهدأ قليلا قليلا وابتسم ابتسامة الرضاء ، وكاد يغنينا أغانى الأطيار ، ثم عاد مرة ثانية يقول لنا انه فى فى وجود يحمل عنه أعباءه فيشعر فيه بالانتعاش ، وان هناك حياة . .

استغرقت هذه الجلسة أول نصف من الليل حيث تنبه النائم المغنطيسى بعد أن أوحى اليه المنوم أن ينسى كل شيء مما رآه احتفاظاً بسلامة أعصابه ، وآوى كل منا الى منزله فالى مخدعه وفى خواطرى حياة غير هذه الحياة

ما هذا ؟ ! .. أنا الآن فى ساحة عريضة الاتساع يخيل إلى كأنها ملعب من الملاعب الرومانية القديمة الضخمة ، وقد اصطف الناس على مدرج هرمى يشهدون اللعب وهم لا يلبسون غير ستر لأوساط أبدانهم فحسب ، وقد ظهرت على المسرح سبع راقصات صغيرات يرقصن رقصاً يقولون انه الرقص الفرعونى المقدس ، وقد تضوعت أجسامهن البيضاء فى شىء قليل من السمرة برائحة العطور القوية الأخاذة ، وقد سطعت الشمس فأكسبت هذه الأجسام العارية لمعاناً يجذب اليها الأنظار

ولئن كان هـــذا كله أدهشنى فقد زاد دهشتى شاب واقف بينهن يدير آلة كآلات السينما الصغيرة فيبعث مفعولها من أشعات الشمس ألواناً تهبط طبقات السماء الى المسرح العظيم حيث تخالط أجسام الراقصات اللامعة ألوان طبيعية زاهية تضنع من سيمهن صحبة تشبه باقة ورد مختلف الألوان ! والموسيقى كانت حينئذ تعزف حسب ترقيع أقدامهن على خشبة المسرح أنغاماً ثائرة تهيا أو هادئة تثور شيئاً بعد شىء ، آخذة بالقلب الى النشوة والسرور . فلما فرغ هـذا الفصل البديع كانت الزهور والورود تسابق بعضها بعضاً من أيدى الجمهور المتفرج إلى رؤوس الراقصات حتى أصبحن بعد لحظة قليلة وسط كنز من الورد والأزهار ... وتسرب المتفرجون فتياناً وفتيات وعلى آلاف شفاههم بسمات جميلة إلى الخارج على نماش بلورية الارضية تسطع من تحتها حروف من نور مكتوبة بها جمل التهانى بعيد الفطر العالمى .. !

حيرنى من غير شك أن يكون عيد الفطر عالمياً خالصاً ، على أنى بينا كنت أخرج وسط هذا الزحام الكثير اصطدمت أو كدت أصطدم بشاب من الخارجين ، فلما التقت عيونا فى كلمة الاعتذار اللازمة ظلت هذه الاعين شاخصة بعضها إلى بعض فترة حائرة ، ثم وجدتنى من بعد بين ذراعى الشاب فى عناق حار طويل ، وقال صاحبى :

— الا تذكرنى ؟ أنا صديقك أحمس ..

— ومن يكون أحمس ؟ !

— أحمس صديقك القديم الذى نام نوماً مغنطيسياً عند صاحبه منذ مئات السنين

— مئات السنين ! ! لقد حدث ماتقول فى هذه الليلة ذاتها ..

— الليلة ! لعلك فى حلم ياعزيزى ... شىء غريب ... أنك تلبس ملابس قديمة جداً : جاكته وبنطلون وطربوش أيضا ، لعلك كنت فى مرقص من مراقص التنكر ؟

تعقدت المناقشة بيننا حول هذا الموضوع ، كل منا لايكاد يصدق صاحبه وقتا غير قصير والناس ينصرفون من حولنا حتى لم يبق فى الطريق أحد غيرنا فقال صديقى وهو يأخذ بذراعى

— هيا نتحرك لئلا يخالفنا البوليس على هذا الوقوف

— يخالفونا على الوقوف ! كيف ألسنا نحن فى مصر ! ؟

— نعم فى مصر ياصديقى ، لكنها مصر جديدة غير التى عرفتها فى القرن العشرين

— وإذن فان حيرتى لم تكن كاذبة حين قرأت نعت عيد الفطر بالعالمى ؟

ــ حتى هذا لست تعرفه !؟ لقد وافقت عصبة الأمم منذ عشرين سنة على أن يصوم العالم كله صوم تزهد وقنوع على السنة الاسلامية القديمة أسبوعاً واحداً ثم يفطر ويحتفل العالم كله بعيد الفطر مع عيد السنة الجديدة التي تتكون من ثلاثة عشر شهر ثلاثة أيام هذا اليوم أولها

ــ أنك تفعمني اندهاشاً .. لكن .. دعني أشهد كيف يمضي الشباب ساعات العيد الباسمة

***

نظر صاحبي إلى ساعة أصبعه الذهبية التي تشبه الخاتم وقال : لم يبق غير ساعة واحدة على قيام البلون السريع المسافر إلى المريخ من وادى الملوك فتعال نجرب هل نستطيع الوصول . . . احتججت بأننا لو ركبنا أسرع طيارة فلسنا بقادرين على الوصول قبل فراغ هذه الساعة الباقية ، لكن صاحبي لم يعر لاحتجاجي سمعاً ، وعرج بنا على محل فى السوق يشبه مظهره مخزناً من مخازن البسكلتات الجديدة . وهناك استأجر لنا عجلتين ودفع إلى بواحدة منهما فما كدت أعتدل فوق كرسيها حتى انتشر من جانبيها جناحان شفافان كجناحى فراشة خضراء ، وارتفعت فى الجو خلف عجلة صاحبي الذى استغرق من ربكتى فى الضحك . . . ومهما كان من شىء فقد وصلنا وادى الملوك قبل مضى الساعة الباقية من الزمن وأنا أسأل صاحبي عن هذا « الجن » الذى نركبه فقال أنه « البراق »

هناك فى وادى الملوك دخلنا إلى المطار بين الأعمدة الفرعونية الخالدة التى تبعث رؤيتها الروع والجلال . ومن شباك كشك يشبه فى تركيبه تمثالا صغيراً لأبى الهول قطعنا تذكرتين إلى المريخ ثم كنا بعد دقيقة ثانية فى البلون العجيب المركب من سبع طبقات عمودية فى كل طبقة خانان يسع كل خان لجماعة من الركاب أكثر من عشرين . ودقت أجراس الأعمدة أربع عشرة دقة سريعة أحسست بعدها أننا بين الأرض والسماء فوقعت بين أيدى زملائى وزميلاتى الراكبين فى شبه اغماء طويل . واذ أنا بعد هذا كله أجد زهرتين صناعيتين تحت أنفى ينبعث منهما هواء أرضى منعش ، وقد وصلنا إلى المريخ فى بلوننا كما يصل المصطافون فى البواخر إلى الشواطىء الفرنسية حيث يكون هناك صف من الحسان ينتظر الناس .. ولملى دهشت حين ارتمي صديقى بين ذراعى فتاة ، على أنى ملئت استغراباً حين قدمها صاحبي إلى باسم رجل ، وهنا يتبسم صاحبي القديم ويجيب على دهشتى بأن ليس فى المريخ غير جنس واحد فيه انوثة وفيه رجولة معاً . وأخذت أتمعن هذا الانسان المريخى ذى التكوين الثنائى فاذا جسم بض كأجسام الصبية الناشئين لايميزه عنهم غير صدر متفح وقامة تكاد تكون منحنية إلى الوراء حيث تشخص عين واحدة إلى السماء فى وضعها الدائم وسألت صاحبي إلى أين المسير ؟ فأجاب إلى « سينما الطبيعة » !

وصلنا هذه التى يسمونها « سينما الطبيعة » منزلقين بمزالق كهذه التى يستعملها اليوم المرتاضون فى شمال أوربا على الثلوج ، فاذا نحن بعد قليل نجلس فى شبه مرصد ازاء منظار زجاجى ضخم يبلغ طولا وعرضاً وسمكا حجم جدار كبير حيث كانت هناك أزرار يضغطها انسان مريخى فتنعكس أشعة الشمس على نصف الكوكب الأرضى الذى جئنا منه وتبدو مناظره على صفحة السماء

من خلف المنظار الهائل كأنها على بعد ذراعين من مجلسنا . وهناك تظهر الارض جميلة فاتنة على ضفاف النيل مرة وعلى ضفاف البسفور مرة ، فوق قمم الالب مرة وفوق قمم الهملايا ثانية ، ومازلنا نشهد هذه القطع من جمال الارض فى لذة وسكون على لوحة المنظار ساعة طويلة انصرفنا بعدها إلى حديقة من حدائق المريخ حيث كانت الحديقة سفح جبل اسود تنبت فيه نباتات زرقاء اللون يسير نموها منخفضاً إلى تحت غير متصاعد إلى فوق كما هى حال النبات عندنا على الارض . وهناك التقينا بحفل من الناس أغلبيتهم مريخيون يستمعون إلى خطيب ، فوقفنا معهم نستمع اليه مثلهم ، ومع أننى لم أفهم من لغته المريخية حرفاً فقد شاقنى النظر إلى ثوبه الرسمى البسيط الذى يشبه ليف النبات وورق الشجر الاصفر

هنا سمعنا رنين أجراس البلون آتية من بعد سحيق تعلن أن البلون يوشك أن يتحرك ، وكانت المسافة بيننا وبين المطار أكثر بعداً من أن ندركها بسرعة أقدامنا فحملنا صاحبنا المريخى كلينا رغم صغره كأننا حزمتان خفيفتان ، وسار فى سرعة لو كانت على الأرض لسميناها هستيرية إذ استطعنا أن نكون على مقعدنا قبل قيام البالون السريع بأكثر من دقيقة تناولنا فيها مع صديقنا أو صديقتنا المريخيه أعذب التحيات . وأخذ البلون طريقه الى الارض فى ظلام حالك وطنين مصم ، على أنني رغم هذا الطنين لم يفتنى أن أسأل زميلى عما قاله الخطيب فى حديقة المريخ ، فاجاب بأنه زعيم مريخى يدعو سكان الكواكب جميعاً إلى الاتحاد فى أمة واحدة

وبينما كانت محركات البلون الضخمة تنفرد وتنقبض فى أصوات قوية قبل رسوخ عجلاته على الارض حيث بدأنا نرى النور بصيصاً فوق بصيص أحسست بصوت نقر خفيف على باب ، ، كان الباب باب مخدعى وقد وقف به أخى الصغير يوقظنى مستنجزاً اياى وعدى له بنزهة عيدية فخمة

حافظ محمود

****

كلمات من نيتشه

ماهو القرد إذا قيس إلى الانسان ؟ أضحوكة وخزى . وهكذا سيكون الشأن فى الانسان إذا قيس بالسبرمان : أضحوكة وخزى

لقد تطورتم من ديدان الى بشر ولكنكم مازلتم تحتوون فى لباب نفوسكم على الديدان . وكنتم قردة ومع ذلك فالانسان الآن هو قرد أكثر من القردة

السبرمان هو معنى الأرض فلتكن مشيئتكم التى تعلنونها : معنى الأرض هو السبرمان .

لقد آن الاوان لأن يعرف الانسان غايته من هذه الدنيا ويزرع جرثومة رجائه فى المستقبل

الانسان أقسى الحيوانات نظر إلى تمثيل المأساة وقتال الثيران وقتل الناس فشعر بسعادة لم يشعر بها قط . فلما اخترع الجحيم جعله جنته على الارض .

ان مايكرهه الناس : هذا الذئب الذى تكرهه الكلاب هو الفكر الحر عدو القيود الذى لايعبد شيئاً

الى نابليون يعزى هذا الشرف وهو أنه أتاح مدة ما لرجل الحرب أن يرجح فى القيمة والمقام رجل التجارة

أود أن أرى الرجل يخص نفسه للقتال والمرأة تخص نفسها للحمل وأن يستطيع كل منهما أن يرقص برأسه ورجليه

أكثر الرجال شهوانية أنماهم الذين يتجنبون النساء ويعذبون أجسامهم

ذلك الرجل الذى يرى فى المرأة عدوة يخشى من طبيعته شهوة لا يستطيع كبحها فكأن الشهوة تكره نفسها وتكره الوسيلة الى أشباعها

للحب رغبة خفية فى اكتشاف أكثر مايمكن من الصفات الحسنة فى شخص الحبيب وفى التسامى بهذه الصفات

سعادة الرجل هى « انى أريد » . وسعادة المرأة هى « هو يريد »

النقد الصحيح الوحيد لأى فلسفة هو : هل يمكن أن نعيش بما يطابق مبادئها ؟

أحسن موت نموته هو ذلك الذى يحدث لنا فى المعركة وقت انتصارنا وأحسن موت بعد ذلك هو ذلك الذى يحدث لنا وقت هزيمتنا

الحرية هى الرغبة فى أن نكون مسئولين أمام أنفسنا

أشعة رونتجن

يعرف الناس الآن أشعة رونتجن لاستعمالها فى تشخيص الامراض ومعرفة مكان الحصاة من الكبد أو الكلية أو عند ابتلاع أحد الاطفال شيئاً من المواد الصلبة كالحديد أو نحوه . وكذلك عند بداية التدرن أو عند اصابة أحد الافراد بعيار نارى

فالمصاب يقف عارى الجسم فى الناحية التى يراد الفحص عنها ثم تسلط عليه هذه الأشعة فتخترق جسمه ولكنها لا تستطيع أن تنفذ الجسم الصلب كالحصاة أو الرصاصة أو الدرنة . فاذا وقع ظله على ستار ظهر الهيكل العظمى واضحاً كما يظهر هذا الجسم الصلب . ثم تظهر سائر الاعضاء بوضوح أقل وكلما قلت كثافتها تضاءل ظلها



أشعة رونتجن
صورة فوتوغرافية لليد الانسانية التى سلطت عليها أشعة رونتجن ويتضح من الصورة أن هذه الاشعة اخترقت اللحم ولكنها لم تستطع اختراق العظم

وهذا التشخيص يوفر على المريض أو المصاب عناء كبيراً فى الاهتداء الى مكان المرض . وهل هو يستطيع التخلص من الجسم الغريب بعملية أو لا . كما يوفر على الجراح الوقت فى الاهتداء الى مكان هذا الجسم

وهذه الاشعة تسمى أيضاً ، أشعة اكس ، وهذه اللفظة الثانية تستعمل فى الجبر للدلالة على المجهول من الكميات وقد استعملها رونتجن لأنه لم يعرف ماهية هذه الاشعة وهذه الماهية ما تزال مجهولة الى الآن وان كان الاطباء والعلماء ينتفعون بها . وقد ذكرنا فائدتها فى تشخيص الامراض . وهى الآن تستعمل فى الصناعة لبيان عوار المواد واظهار التدليس . وقد استعملت حديثاً فى اظهار الغش فى التصوير

ويرجع اكتشاف هذه الأشعة الى المصادفات الغريبة . وذلك أن السير كروكس العالم الانجليزى

كان قد صنع أنبوبة وأفرغ منها الهواء حتى جعل باطنها خواء أو مايقارب الخواء التام . وهذه الأنبوبة من زجاج . ثم سلط عليها تياراً كهربائياً قوياً يسير فى هذا الخواء فوجد أن القطب السلبى للتيار يشع أشعة تضىء الجزيئات القليلة الباقية من الغاز بالانبوبة . وكان غرض السير كروكس من هذه التجارب أن يبحث عن أصل المادة وتاليف الذرات . وبينا العلماء يشتغلون بهذا البحث ويستعملون هذه الأنبوبة لهذه الغاية وجد أحدهم أنه اذا وضع للإنبوبة حاجزاً صغيراً من الالومنيوم بدلا من الزجاج أمكن هذه الأشعة أن تنفذ من الالومنيوم وتخرج . فكأن الأشعة تخترق بعض الأجسام

وكان العالم الالمانى رونتجن مهموماً أيضا بهذا البحث وأمامه « أنبوبة كروكس » هذه وقد سلط عليها تياراً كهربائياً قويا وكان قد غطاها بجسم أسود واتفق ان كان قريبا من هذه الانبوبة لوحة فتوغرافية صغيرة دهش رونتجن أشد الدهشة حين رآها قد تأثرت بهذه الأشعة المحجوزة عنها بجسم أسود . فادرك من ذلك أن هذه الاشعة تخترق الاجسام

ومن ذلك الوقت اتجه بحثه الى قدرة هذه الاشعة على اختراق الأجسام فاخذ فى درس خواصها من هذه الناحية . والغريب فى هذه الاشعة أنها تختلف من أشعة الضوء العادية من حيث أنها لاتنعكس اذا سلطت على مرآة وكذلك لاتنكسر اذا سلطت على الماء وانما تنفذ الاثنين الماء والمرآة على خط مستقيم

وهذه الأشعة تستعمل الآن كما قلنا للتشخيص ولكنها تستعمل أيضا للمعالجة . فالسرطان فى بدايته يتأثر بها ويشفى . ولكنها تضر كما تفيد ولذلك فانها اذا سلطت على جسم سليم أحدثت مرضا فى الجلد يستعصى على الشفاء

أشعة رونتجن

صورة فتوغرافية لساق امرأة وقدمها ، وقد اخترقت أشعة رونتجن الاجسام المختلفة بقوات متفاوتة . فلم تستطع اختراق الحديد فى الحذاء ولذلك فالمسامير والازرار حتى طرف الخيط واضح ، وكذلك الحال فى عظام الساق والقدم ولكنها اخترقت لحم الساق وجلد الحذاء

فلسفة برجسون

كان القرن الماضي قرن المادية الفائزة والصناعة الظافرة . ويبدو للتأمل أن الاولى كانت ثمرة الثانية أي أن الفلسفة المادية هي نتيجة الوسط الصناعي . فكان الفلاسفة يفسرون الحياة والعقل والاخلاق تفسيراً مادياً على مبادىء الطبيعيات ولكن هذا التفسير قد عكس الآن . فان المادة الآن تفسر بنواميس الحياة أو بما يكاد يكون كذلك

والفضل في هذا الانقلاب لبرجسون الفيلسوف الفرنسي فانه هو الذي دأب في الابانة والايضاح لسمات الحياة وتمييزها من المادة . وهو من أصل يهودي ولد سنة ١٨٥٩ واشتغل بالرياضيات والطبيعيات ولكنه بادمانه لدرس هذه العلوم انتهى الى أن الحياة تجل عن المادة . والف طائفة من المؤلفات في بحث هذا الموضوع أهمها « المادة والذاكرة » و « التطور الخالق » وقد نالت مؤلفاته شهرة عظيمة في أوربا لأنها ذكرت في « القائمة » التي ينشرها البابا ويذكر فيها الكتب التي لا يجوز للمؤمنين أن يقرأوها

ومؤلفات برجسون تدل على درس عميق وبصيرة نافذة في تطور الكائنات وهو أحياناً يجزم حيث كان يجب الشك ولكن هذا الجزم يضطر اليه اضطراراً لكي يتمم نظامه الفلسفي . وليس من السهل أن تلخص نظرياته العدة فقد تناول في ابحاثه شتى الموضوعات ولكن له فكرة واحدة فيها كلها تتلخص في أن الحياة غير المادة وان العقل ليس منحصراً في الدماغ

برجسون

ولايضاح ذلك نقول أن الحياة مبدأ كائن يستعمل المادة لتكوين الاجسام الحية . ولكن هذه المادة ليست أصلا للحياة وانما هي وسيلة فقط تؤدي بها الحياة أغراضها . والحياة بطبيعتها نشيطة عاملة والمادة بطبيعتها هادئة راكدة . ومن هذه الناحية يمكننا أن نقول أن المادة تعوق الحياة وانهما كلتاهما اي المادة والحياة في كفاح مستمر . تريد الحياة التقدم والتشوف والحركة فلا تسعفها المادة بهذه الاغراض . وتغلب الموت في النهاية انما هو تغلب المادة على الحياة

وقد يقال هنا أننا لا نرى حياة مطلقة غير متلبسة بالمادة فكيف ندعي وجود الحياة بلا مادة ؟

فقط . كماء النهر يتحيز القناة التى يسير فيها ويتخذ وضعها ولكن هذا الماء ليس القناة . وليست القناة هى علة وجود هذا الماء اذ لو لم تكن القناة لاستطاع ماء النهر أن ينساح أو يتخذ وضعاً آخر

ونحن نرى أن للحياة خصائص أو كفايات لكل منها عضو فى الاجسام الحية . ولكن هذا العضو ليس علة هذه الكفايات أو الخصائص وانما هو أداتها التى بها تظهر وتستطيع العمل والتأدية عن نفسها . فالعقل والنظر والهضم والمشى خصائص فى الحياة لها أعضاء فى الاجسام الحية وهى الدماغ والعين والمعدة والارجل . ولكن هذه الأعضاء ليست أصلا لهذه الخصائص كما أن الاجسام ليست أصلا للحياة وانما عكس ذلك هو الصحيح وهو أن الحياة أصل الاجسام والعقل أصل الدماغ والنظر أصل العين . وهلم جرا

وقد يعترض هنا بأننا لم نر نظراً بلا عين ولا هضما بلا معدة . ولكن هذا الاعتراض يمكن نقضه بان نقول مثلا باننا لا نرى رجلا يمشى فى الشارع بلا ملابس . فليست الملابس هى علة ظهوره فى الشارع وانما هى الوسيلة الى ذلك . والواقع أننا نرى هضما بلا معدة كما هو الشأن فى الخلايا البسيطة مثل الاميبة وكما نرى فى الديدان التى تعيش فى إمعائنا إذ تهضم الطعام بجلدها بدلا من قناتها الهضمية . ولو كان العضو هو أصل الوظيفة أى لو كانت العين هى الاصل فى النظر لوجب أن نرى هذا العضو ناشئاً على طريقة واحدة فى جميع الاجسام . ولكن الواقع يخالف ذلك. ففى الحيوان الفقرى تنشأ شبكية العين فى الجنين من الدماغ بينما هذه الشبكية تنشأ فى الحيوان الرخو من الجلد . فمن ذلك نفهم أن الحياة يمكنها أن تؤدى وظيفة الهضم بالجلد أو بالمعدة . وتؤدى وظيفة النظر باجزاء من الدماغ أو باجزاء من الجلد . فكأن الحياة بمثابة الصانع القادر الذى يختار ويميز بين أدواته ويستعمل ماشاء منها لأغراضه . وليست هذه الأدوات متسلطة عليه مستبدة به . ولكن هذه الأدوات قليلة ومن هنا اضطرار الحياة الى أن تحد المادة من قوتها . وقد يأتى وقت يمكن الحياة فيه أن تتغلب على المادة أو تستغنى عنها . كما أننا يمكننا أن نتخيل الحياة وقد اتخذت أوضاعاً أخرى فى الكواكب الاخرى . فنحن هنا على هذه الكرة الارضية أحياء وأفراد مختلفون ولكن هذا لا يمنع أن تكون الحياة فى كوكب آخر فرداً واحداً بجسم واحد

هذه هى الفكرة الأصلية فى فلسفة برجسون . وهناك افكار أخرى ثانوية نذكر بعضها فيما يلى :

١ — ان التطور انجمالى ناحيتين واضحتين إحداهما ناحية الغريزة التى بلغت أوجها فى الحشرات كالنمل والنحل . وناحية العقل الذى بلغ اوجه فى الانسان . ولكن فى الانسان قليلا من الغريزة كما أن فى النمل قليلا من العقل . والغريزة ألصق بحقائق الكون من العقل . فالطفل بغريزته يعرف حلمة الثدى وغريزته صادقة لا تخطىء والنحلة تعرف بغريزتها رحيق الزهرة ولا تخطىء . بينما نحن بعقولنا نخطىء ونتلمس الصواب بالتجربة و الاختبار

ولكن الانسان استطاع أن يتسامى بعقله فيجعل منه ذهناً يفلسف به . وكذلك يمكنه أن

يتسامى بغريزته فيجعل منها بصيرة تهديه الى حقائق الكون بدون الحاجة الى عناء التجربة والاختبار. وقد ركدت فينا هذه البصيرة ولكنها لم تمت فيمكننا استحياؤها والانتفاع بها في ادراك الحقائق

٢ — ان الحياة نفسها هي الله ولا بد أنها ستنتصر يوما ما على المادة وقد تستغني عنها

٣ — ان الوعي أو الدراية أو الوجدان هي صفة الحياة التي تزداد بتقدم الحياة وازدياد قدرتها على الاختيار. وانما يمكن الاختيار ويزداد ايضاً اذا كثرت الذكريات الماضية. فنحن حين نتردد نشعر بوجداننا أو وعينا ولكن هذا التردد محال لو لم تكن الذكريات الماضية كثيرة تجعلنا نلقى صعوبة في البت والفصل فيما نختاره

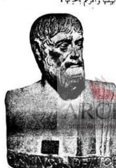
°°°

هذه هي خلاصة فلسفة برجسون. والعقدة التي قد تستعصي على الفهم هي هذه البصيرة التي يقول انا يمكننا أن نستعيدها ونعرف بها حقائق الكون وأسرار الطبيعة كما تعرف النحلة رحيق الزهرة. وليس برجسون اول من استصغر شأن العقل في فهم الحقائق فقد كان هذا دأب روسو الأديب الفرنسي كما كان دأب نيتشه الفيلسوف الالماني وولم جيمس عالم النفسيات الامريكي. ولكن أحسن ما في برجسون هو دعوته الى الخروج من المذاهب المادية التي تسلطت على رجال القرن التاسع عشر



يوليان الامبراطور الكافر

يوليان هو أحد امبراطرة الدولة الرومانية تولى عرش الدولة سنة ٣٦١ وهلك سنة ٣٦٣ وقد ذكره أبو جعفر الطبرى فى تاريخه المطول بقوله : «فلكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له لليانوس كان يدين بملة الروم التى كانت قبل النصرانية ويسر ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك حتى اذا ملك أظهر ملة الروم وأعادها كهيئتها وأمرهم باحيائها» .


الامبراطور يوليان

وذكره عند موته وهو يحارب الفرس فقال : «كان جالساً ذات يوم فى حجرته فأصابه سهم غرب فى فؤاده فقتله . فأسقط فى روع جنده وهالهم الذى نزل به ويئسوا من التقصى من بلاد فارس وصار واشورى لاملك عليهم ولاسائس .فطلبوا الى يوسانوس أن يتولى الملك فيملكوه عليهم . فأبى ذلك وألحوا عليه فأعلمهم أنه على ملة النصرانية وانه لايلى ناساهم له مخالفون فى الملة. فأخبرته الروم انهم على ملته وانهم انما كانوا يكتمونها مخافة لليانوس» .

هذا ما ذكره الطبرى فى كتابه الضخم «تاريخ الامم والملوك» ، والانسان يقرأ هذا الخبر ويتعجب من رجل ينشأ فى المسيحية ثم يعود الى الوثنية ويحاول أن يمحو هذه المسيحية الناشئة ويعيد الى الرومان وثنيتهم القديمة . وهذه الفقرات الصغيرة التى نقلناها عن الطبرى لا تغنى فى ايضاح الاسباب لهذه الردة ولذلك يجب أن نرجع الى تاريخ مطول آخر هو تاريخ جيبون «انحطاط وسقوط الدولة الرومانية» .

وجيبون هذا مؤرخ انجليزى لا يعطف على المسيحية بل ينتهز الفرص للوقوع فيها والحط من قدرها . ولذلك فهو يسهب فى فضائل يوليان . ولكن القارىء يمكنه مع ذلك أن يميز بين الهوى والنزاهة. وليس التاريخ آراء وانما هو وقائع وحوادث تستخلص منها الآراء.

فقد ذكر جيبون على سبيل المدح لهذا الامبراطور انه مع ارتداده وكراهته للمسيحية لم يتعصب للوثنية إلا بمقدار ضئيل لا يؤذى المخالفين . فقد سبقه دقلديانوس الذى حارب المسيحية وقتل المؤمنين بها كما سبقه قسطنطين الذى عم المسيحية وجعلها دين الدولة وحارب الوثنية . ولكن يوليان

لم يضطهد المسيحيين وانما أذاع الحرية الدينية فى الامبراطورية فاستطاع الوثنيون أن يعبدوا الهتهم كما استطاع المسيحيون أن يعبدوا ربهم جنباً لجنب يقام المعبد الى جانب الكنيسة ويحمى الاثنان من الاعتداء بدون أى تحيز لأحدهما . ولكن يوليان مع هذه النزاهة والرغبة الصادقة فى حرية الايمان اضطر أن يتحيز وينساق مع الهوى فمنع المعلمين المسيحيين من التدريس بالمدارس

وقد نشأ يوليان فى بيت قسطنطين وكان هو وأخوه الذى سبقه على العرش من الأسرة الامبراطورية . وكان القصر الامبراطورى فى قسطنطينية حافلا بالدسائس كما كان قصر السلاطين الأتراك بعد ذلك فى هذه العاصمة نفسها . فأرسل الشقيقان الى أثينا وهما طفلين لكى يتعلما وبقيا مدة طويلة فى رعاية اسقف يمت اليهما بقرابة من ناحية الأم ويشرف على تعليمهما . وكانت المسيحية جديدة لم يمض على اعلانها دينا رسميا للدولة أكثر من خمسين سنة فكان كثير من العامة والخاصة ما زالون متعلقين بالآلهة القديمة يظهرون المسيحية تقرباً للسلطان و يبطنون الوثنية التى جرى عليها آباؤهم . وكانت الثقافة فى أثينا ما تزال قائمة على أفكار الفلاسفة والأدباء الأغريق قد اشربت الروح والأساطير الوثنية . ولم تكن المسيحية فى ذلك الوقت بالدين المفهوم فقد أثار مجمع نيقية الذى عقد سنة ٣٢٥ شقاقا عظيما بشأن طبيعة المسيح . ونشأ الفتى يوليان فى هذه الاضطرابات الفكرية تحوطه آثار الأغريق وفنونهم وآدابهم فشعر كأن المسيحية دين أسيوى يغير على ديانة الآباء والجدود ويحيل المعابد كنائس فاستثار ذلك نخوته الوطنية فنزع الى الدفاع عن وثنية آبائه

وكان نزوعه الى الوثنية سبباً لأن يتخلق بأخلاق السلف القديم من الرومان والأغريق ولأن يكره ما جد فى الدولة من الأخلاق الشرقية التى نقلت عن الفرس . فانه عند ما دخل القصر وجد آلافاً من الخصيان والجوارى فطردهم وعاش فى تقشف يشبه ذلك التقشف الرومانى القديم . فكان رفض النوم على الأسرة ويفترش الأرض وأرخى لحيته على طريقة فلاسفة الأغريق . وخطب ذات مرة يحض على التقشف وضرب مثلا بنفسه انه لا يقص أظافره ولا يغسل الحبر من أصابعه . وأنشأ فى قسطنطينية مجلس الشيوخ الرومانى وجعل له الرأى فى شئون الدولة . واكب على القراءة والكتابة وألف كتاباً فى نقض المسيحية . وأعاد المدارس فى أثينا وخصها بأوقاف وأحيا الفنون فى بناء المعابد والتماثيل

ولكن هذا كله وان كان قد بدا له انه نهضة لم يكن فى الواقع سوى سكرات الموت للوثنية . فانه ما كاد يعلن خبر وفاته فى الامبراطورية حتى عادت المسيحية الى أقوى ما كانت عليه قبلا . وذلك لأن الوثنية كانت قد انتهت مهمتها و رشحت العالم لقبول الايمان بالله واحد هو إله البشر جميعهم الذى لا يحابى ولا يداجى . والجميع أمامه سواء . وهى اذا كانت قد عملت لانحطاط الفنون الجميلة بهدم الأصنام والمعابد فانها عملت لتقوية الروابط الانسانية والأخاء بين الناس . ولذلك فان الناس ازدادوا بالمسيحية — وبعد ذلك بالاسلام — كرامة انسانية لم تكن للوثنى فى العصور القديمة .

سمة القديسين

من المعجزات المألوفة — على ما فى هذه العبارة من تناقض — ما يعرفه كثير من الأقباط فى الكنائس الخاصة بالشهيد مارى جرجس . فان المريضة وهى فى العادة أنثى تحمل اليه بعد مرض عصبى طويل قد يبلغ الصرع أو الجنون أو يكون دون ذلك . فما هو أن يصلى عليها القسيس و يستنجد بالشهيد مارى جرجس أن يخرج الروح المفسدة التى تفسد الجسم حتى تعلو صرخات المريضة ثم تنتهى الصرخات بهدوء وبقعة حمراء على ظاهر الجلد ، وقد يخرج الدم من هذه البقعة أو لا يخرج ولكن المريضة تتألم منها وتشعر أنها جرحت فى مكانها . والمحقق فى هذه الحال أن تبرأ من مرضها

وهذه معجزة كما قلنا ، مألوفة ، لا يمكن الانسان أن يصدقها اذا لم يرها . وهو عند ما يراها لأول مرة يخطر بباله الغش والخداع ولكن هذا الخاطر يزول بالتحقيق ودقة النظر ومباشرة المعجزة ، من أولها لآخرها

و « سمة القداسة » أو هذه البقعة الحمراء التى ترى على جلد المرضى تفتح أذهاننا لفهم المعجزات التى كان يقوم بها القديسون . وذلك أن المعجزة ليست شيئا يخالف النواميس الطبيعية وانما هى عمل طبيعى وكل ما فيه الاعجاز أى انه لا يستطيعه كل انسان إلا اذا استوفى شروط القيام به

ففى الطبيعة البشرية قوى كامنة كثيرة جداً لا تتاح لنا الفرصة بالوقوف عليها إلا فى فترات قصيرة من حياتنا أو قد لا تتاح بتاتا . والنفس البشرية خزانة تحتوى على الخير والشر تسير مع الديدان فى الارض وتطير مع الملائكة فى السماء وتدخر لنا ذكريات قديمة نظن أننا نسيناها . ومن هذه القوى الكامنة تلك الصلة بين العقل والجسم والتأثير الذى يحدثه الاول فى الثانى فيعمل لصحته أو لمرضه

وتأثير العقل فى الجسم هو الذى يسمى الآن بالاستهواء أو التنويم المغنطيسى . وقد كان المفروض أولا عندما عرفت هذه الخاصة أى الصلة بين العقل والجسم أن بين الناس قوة مغنطيسية تنتقل عند الاستهواء من المنوم فتجعل الشخص الآخر ينام . ولكن اتضح بعد التحقيق والتحليل أن النوم الذى يحدث بالاستهواء انما يحدث بتأثير الشخص النائم فى نفسه أى أنه يسمع كلام المنوم حين يقول له « أنت نائم » فيتوهم صحة هذا الكلام ويؤثر فى نفسه وينام

فالاستهواء هو فى ظاهره حادث من شخص آخر ولكنه فى حقيقته حادث ذاتى ليس لشخص المنوم من الفضل فيه سوى التلقين ولم يقم برهان على أن هناك علاقة مغنطيسية بين الاشخاص . فعندما يعمد أحد القديسين الى المريض فيقول له : « أنت شفيت » و يشفى المريض بالفعل .

١ — أن المرض كان عصبيا ينقاد للوهم والتأثير ولم يكن مرضا ميكروبيا

٢ — أن المريض قد صدق وآمن بأنه سيشفى وبذلك أثر فى نفسه أى أن عقله الذى توهم الصدق وآمن بالشفاء قد أثر فى جسمه وعمل للشفاء

ومن هنا نفهم كيف أن الايمان ضرورى جداً للمعجزة. لأن المريض اذا لم يؤمن ويصدق لم يستطع التأثير فى نفسه



البالور زوجوت الفتاة الرومانية التى تظهر على وجهها مزوزكات سكياهزوجها

وتعرف الان أمراض عدة تسمى فى الطب «الامراض الوظيفية» أى أن المرض يتعلق بوظيفة العضو وليس بالعضو ذاته. فقد يتوهم أحد الناس أن ذراعه مشلولة ولا يكون بجسمه أو أعصابه أية علة. ولكن العلة فى عقله وهو أنه توهم الشلل فى نفسه. فاذا عالجنا هذا الوهم بالتلقين وأثبتنا فى ذهنه بطرق شتى أنه سليم معافى عوفى وشفى

وكما يحدث العقل شللا فى بعض الاعضاء. كذلك يحدث عللا أخرى فى الجسم. ونحن نقول «العقل» ولكن من الاصح أن نقول «العقل الباطن» لأنه حين تحدث لنا هذه الامراض لا يكون عقلنا تحت إرادتنا ولا نحن ندرى بعمله. بل الواقع اننا حين ندرى بالحقيقة ونعرف اننا قد أوهمنا أنفسنا على غير وعى يزول المرض وتعود الصحة

ولنضرب للقارىء مثالين على ذلك :

١ — كانت حوادث الشلل والفالج كثيرة فى الحرب الكبرى. وكانت قائمة على الوهم يتوهم الجندى ان القنبلة التى انفجرت بجواره قد أصابته وشلت ذراعه وأعمت عينيه. فاذا بحث الطبيب عن مكان الاصابة لم يجده حتى كان يظن ان الجندى يدعى ذلك رغبة فى الفرار من ميدان القتال. ولكن قليلا من الفحص يبين ان الجندى صادق فى دعواه فالعين مثلا مفتوحة ولكنها لا تطرف يمر الضوء المفاجىء أمامها فلا تغمض. والذراع المشلولة تبقى مشـــلولة حتى فى النوم. فما السر فى ذلك ؟